كتاب تذكاري مقدم للأستاذ الدكتور

رأفت غنيمي الشيخ

كتاب تذكاري مقدم للأستاذ الدكتور

رأفت غنيمي الشيخ

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

بحـــوث أسيـــوية

كتاب تذكاري مقدم للأستاذ الدكتور

رأفـت غنيمي الشيـخ

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
العميد الأسبق لكلية الآداب جامعة الزقازيق
مؤسس معهد الدراسات الأسيوية

تحرير د. عصام السيد عبد الحميد

إعــداد

د. ناجي عبد الباسط هدهود
د. عصام السيد عبد الحميد
د. صفاء محمد صبره
د. عبد الحكيم عامر الطحاوي
د. محمد عبد الحميد الحناوي
د. محمد رفعت عبد العزيز
د. محمد عاطف عبد المقصود
د. خليـــل عبـــد العظيـــم
د. هشـــام محمـــد هاشـــم

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(..يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...)

[المجادلة: ١١]

الفهرس

في البدء لي كلمة

يقول الله عز وجل في كتابه العزيز ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الأحزاب: ٢٣
وفي الحديث الشريف «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا».

إنها لمناسبة جميلة على نفسي أن اقدم لهذا الكتاب الوثائقي التاريخي لرجل التاريخ وصاحب التاريخ فهو التاريخ بعينه ... فهو قائد وصاحب قلم وراعي مسيرة علمية شامخة يزداد ضوءه وبريقه ... رجل علمني الكثير والكثير وما زلت أنهل من بحر علمه الواسع الغزير، ولو أني أعرف قرض الشعر لسطرت في شخص سيادته قصائد وأبيات ولكن يجول في خاطري هذه الكلمات .. فهو رجل انعم به ذو محبة وعطاء عالماً قلدته الآمال وشاحاً فمضى للعلى مبارك الأنحاء .. حكيم والقول من فيه بلسم يشفي لسماعه وإن دون دواء .. قلباً يشع ضياء لمن حوله حليماً عطوفاً صدري فاض فيه حباً ووفاء بدراً من حيث التفت رأيته يهدي إلى عينيك نوراً وأملاً جميلاً لمستقبل وضاء.. شمس يشع في السماء والأرض ضوئها .. نجم يتلألأ في نخبة العلماء.. زينة للسماء ومرشداً للسائلين ورقعة في كرم العطاء والإخاء.. ملأ المكان والزمان بعلمه وجهده فكان الوفاء من رجال أوفياء في زمن قل فيه الوفاء... فسر أيها العالم على نهجكم فالله ناصركم وناصر الله في حفظ ومعتصم.

إنها لمناسبة كريمة أن نوثق في هذا الكتاب التذكاري أعمال معلمنا وقدوتنا الحسنة والمثل الذي يحتذى به في العمل والعطاء إنه الأستاذ الدكتور رافت غنيمي الشيخ فدعائي إلى الله سبحانه وتعالى أن تدوم المحبة وأن تبقى الذكريات في نفوسنا جميعاً نحن القائمين على إعداد هذا الكتاب عبق نستنشق منه رحيق المحبة والوفاء ونتذكر سوياً عندما نرغب أن نسترجع شريط الذكريات وتستمع إلى وقع اثيرها كلما كانت الإنجازات.

إن هذا الكتاب التذكاري لهو أقل القليل في تكريم رجل أعطى حياته كلها للعلم والعلماء وأقولها بكل صراحة وقناعة لم يشهد التاريخ رجالاً عقدوا عزمهم ونواياهم على غاية تناهت في السمو ثم نذروا لها حياتهم على نسق تناهى في الجسارة والتضحية كما شهدناه في أستاذنا الفاضل الأستاذ الدكتور رافت غنيمي الشيخ ...

فماذا عساي أن أقول في سيادته وعن ماذا أتحدث؟ هل أتحدث عن سجله العلمي والعملي؟ أو عن ذلك الرجل المفعم بالحيوية والنشاط ورجل المهمات الجسام؟ هل أسرد مجهوداته في جميع المناصب القيادية واللجان والمجالس والجمعيات العلمية والمؤلفات والكتب والمراجع التي قام بإصدارها وكذلك بعض الجامعات التي تولى رئاستها... إن

جامعة الزقازيق والعديد من الجامعات الأخرى تتمثل في شخص سيادته تاريخاً ناصعاً ورجل يتحرك.

لقد قضى الأستاذ الدكتور رافت غنيمي الشيخ زمناً طويلاً يخدم هذه الجامعة وينفذ ويتابع العديد من البرامج التطويرية في مجالات العمل والمواقع التي اسندت إليه، ولو تحدثت عن هذه الأعمال لعددت وما أكملت، وأطلت وما أوفيت، واسهبت وما اشفيت.

لقد تميزنا والدنا العزيز الأستاذ الدكتور رافت غنيمي الشيخ بالعديد من الصفات المتميزة فالتواضع هو سمة من سماته كما أنه من سمات الصالحين الأبرار.. وحب الناس لا يعطى إلا لقلب نقي يرجو ما عند الله سبحانه وتعالى .. كذلك فقد تميز استاذي الفاضل بصفات حسنة وشمائل كريمة وخصال حميدة وحرصه التام ايضاً على تنفيذ جميع مهام عمله بكل أمانة وشجاعة ووفاء.. لقد كان يسبق الزمن في آداء مهامه بكل دقة وتفانٍ .. كما استطاع سيادته بخبرته الكبيرة والثرية أن يغرس في جميع من حوله القوة وإعطاء الدعم والاستفادة من هذه الخبرة لكل من يتقرب منه وطلب إفادته ونصيحته، كذلك جهده الواضح والملموس في المحافل العلمية المختلفة سواء المحلية منها أو الإقليمية أو الدولية وتحليله المتعمق لكل ما يصدر عنها من اقتراحات أو توصيات أو قرارات يخدم بها وطنه وأهله... ولإن أجد حرجاً في كثرة الحديث عن هذا الفارس الأصيل والشهم الكريم.. هذا العملاق المتخصص في علم التاريخ الحديث والمعاصر فلا استطيع أن استكمل حديثي عنه حتى لا يكون هنالك إختصار مخل أو إسهاب لا يفيه حقه... وحتى اسلم من هذا المحظور فإن خير ما أعمله هو أن اترك منجزاته تتحدث عن نفسها من خلال هذا الكتاب الوثائقي، وسيقول التاريخ كلمته في عالمنا الجليل وبكل صدق وامانة ... ,كان هنا رجلاً .. وهذا هو الأثر، فهنيئاً لسيادته بكل هذه الإنجازات -ولله الحمد- وهذا التاريخ المشرف.. هنيئاً لاسرته ولعائلته الكريمة.. هنيئاً نحن أبناءه وتلامذته بكل هذا العطاء المنقطع النظير...

فتعال معي عزيزي القارئ لنتصفح سوياً ما بداخل هذا السفر.

وخير الكلام قول الله عز وجل في كتابه العظيم: ﴿من عمل صالحاً من ذكراً أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ صدق الله العظيم.

بقلم الدكتور عصام السيد عبد الحميد

مخرج بالتلفزيون المصري

القناة الثالثة

البداية :
رأفت الشيخ وتربية عين شمس

د. محمد رفعت عبدالعزيز
رئيس قسم التاريخ بتربية عين شمس

قد قرنوا باسمك رأفة... أتعجب أكانت صدفة؟

هو: رأفت غنيمي الشيخ... المؤرخ الإنسان... بله الإنسان المؤرخ.

هي: تربية عين شمس... جامعة في ذاتها ... مصغرة لكنها عريقة.

هو: مؤرخ غزير الإنتاج عميق الفكر... ورجل عظيم... بله إنسان عظيم.. تنظير في إنتاجه فيخيل إليك أنه متفرغ للعلم لا غير، وتنظر في علاقاته الإنسانية فيخيل إليك أنه متفرغ للعلاقات الاجتماعية دون غيرها.

هي: أقدم وأعرق كلية للتربية بمصر والشرق الأوسط، إذ تعود إلى عام ١٩٢٩م باسم معهد التربية العالي للمعلمين الذي أنشىء في عهد وزارة محمد محمود باشا (١٩٢٨-١٩٢٩) وظل المعهد يؤدي رسالته في إعداد المعلمين حتى عام ١٩٤٩م.

وفي عام ١٩٥٠م ضم المعهد إلى جامعة إبراهيم باشا الكبير (عين شمس حالياً) عند إنشائها، وفي ١٥ سبتمبر عام ١٩٥٢م صدر قرار وزير المعارف آنذاك إسماعيل محمود القباني بإنشاء كلية المعلمين بدلاً من معهد التربية العالي للمعلمين، وكان أول رئيس لقسم العلو الاجتماعية آنذاك الأستاذ الدكتور ماهر كامل أستاذ علم النفس.

وفي عام ١٩٦٦م صدر القرار الجمهوري رقم ٢١٢٣ بضم كلية المعلمين بالقاهرة إلى جامعة عين شمس، وكان يشغل منصب رئيس القسم في ذلك الوقت الأستاذ الدكتور نظير حسان سعداوي أستاذ التاريخ الأوروبي الوسيط.

وفي نهاية عام ١٩٧٠م ضمت كلية المعلمين بالقاهرة إلى كلية التربية بموجب القرار الجمهوري رقم ١٨٠٣ لسنة ١٩٧٠م. ونص المادة الثانية منه على ما يأتي: تضم كليتا التربية التابعتين لجامعة عين شمس في كلية واحدة تسمى كلية التربية، وهي الكلية في وضعها الحالي.

هو: التحق مدرساً بقسم العلوم الاجتماعية في كلية التربية جامعة عين شمس في نوفمبر ١٩٧٢م، وحصل على درجة أستاذ مساعد في نوفمبر ١٩٧٧م وحصل على درجة الأستاذية عام ١٩٨١م، وانتقل بعدها إلى جامعة الزقازيق للعمل وكيلاً بكلية الآداب بها.

هو وهي: وفي كلية التربية جامعة عين شمس زامل العديد من كبار أساتذتها مثل أحمد اللقاني، شكري عباس حلمي، عبدالغني عبود، عبدالفتاح الشاذلي، سمير البلتاجي، محمود كامل الناقة، طلعت منصور، مراد وهبة، نظمي لوقا، محمد الهادي عفيفي، محمد منير مرسي، عبدالسلام عبدالغفار، الدمرداش سرحان، محمد قدري لطفي، أحمد زكي صالح، وليم عبيد، علي عزت، عادل سلامة، حسين إسماعيل، فتحي يونس... إلخ.

رحم الله من توفي منهم، وأطال في حياة الباقي.

هو: تتلمذ على يد جيل من عمالقة أساتذة التاريخ منهم عبدالشافي غنيم عبدالقادر، الذي تتلمذ عليه في مدرسة الخديوية الثانوية، وكان يدرس الدكتوراه مع الدكتور محمد مصطفى زيادة في آداب القاهرة، وبعد الدكتوراه عيّن في كلية المعلمين، واختار تلميذه الأثير مدرساً تحت رئاسته في قسم العلوم الاجتماعية، كما تتلمذ على كل من محمد فؤاد شكري، محمد أنيس، جلال يحيى، محمد محمود السروجي، عبدالعزيز نوار، سواء كان ذلك في مرحلتي الماجستير والدكتوراه أو بحوث الترقية.

هو وهي: شهدت كلية التربية العديد من إنتاجه العلمي منها:

- أفريقيا في العلاقات الدولية (١٩٧٤م).
- في تاريخ العرب الحديث (١٩٧٥م).

- التعليم المصري في ليبيا (١٩٧٧م).
- مصر والسودان في العلاقات الدولية (١٩٧٩م).
- أمريكيا في العلاقات الدولية (١٩٧٩م).
- قضايا إسلامية معاصرة (١٩٨٠م).

أيضاً... فقد اشترك - في نفس الفترة ونفس الموقع - في مشروع العلاقات العربية الأمريكية مع مركز بحوث الشرق الأوسط (١٩٧٥-١٩٧٧م)، وألف كتابين أحدهما عن علاقة الولايات المتحدة بالمملكة العربية السعودية، والآخر عن علاقة الولايات المتحدة بالعراق وأقطار الخليج، كما عمل رئيساً لوحدة البحوث بمركز بحوث تاريخ مصر المعاصر وألف كتابين أولهما (مصرع السردار السير لي ستاك)، والآخر (قضية مصرع أحمد ماهر) (١٩٨٠-١٩٨٢م).

كما عمل - في نفس الفترة ونفس الموقع - أميناً مساعداً لوحدة الاتحاد الاشتراكي لأعضاء هيئة التدريس في كلية التربية، وكان يرأسه أستاذه محمد الهادي عفيفي كأمين عام وعميد للكلية في نفس الوقت، وقد شهدت هذه الفترة نشاطاً ملحوظاً حيث استضافت الكلية العديد من القيادات السياسية البارزة.

هو وهي: وقد تتلمذ على يديه -ومايزال- العديد من الأساتذة والأساتذة المساعدين والمدرسين والمدرسين المساعدين والمعيدين، نذكر منهم -كيفما اتفق- محمد عبدالحميد عيسى، علي السيد الشخيبي، يحيى عطية سليمان، علي إبراهيم عبداللطيف، عبدالعزيز عبدالفتاح حجازي، محمد رفعت عبدالعزيز، نجوى عبدالنبي شحاته، سهام طه محمود، جمال معوض شقره، عودة حسان عواد أبو شيخه، محمود عبدالقادر عبدالقادر، أشرف محمد عبدالرحمن مؤنس، أسامة سيد علي أحمد، محاسن محمد علي الوقاد، محمد عبدالسميع عثمان، سامية القطان، محمود أبو زيد إبراهيم، حسام الدين محمود عزب، محمد إبراهيم عيد، حسام هيبة، سوزان، حافظ

فرج أحمد، حسن البلاوي، عبدالرحمن سيد سليمان، محمد المصيلحي، سميرة محمد إبراهيم شند، طلعت عبدالحميد فائق، بركات محمد مراد، فريال حسن خليفة، وداد أبوالنجا يونس، السيد أحمد علي الكيلاني، عبدالله محمد حسنين شلبي، أحمد أنور محمد سيد، عبدالمنعم الجزار، إبراهيم رشاد (يرحهما الله)، نبيل يوسف عبده، مصطفى الحادي، مصطفى البغدادي، جمعه محمد مصطفى الجندي، إيمان مصطفى عبدالعظيم، والمدرسين المساعدين والمعيدين، ميرفت عثمان حسن، ياسر عبدالخالق، مصطفى أحمد شلبي، جيهان رشدي محمد، صفاء عبدالشافي محمد، أمل يوسف عبدالله، رجب محمد إبراهيم بشير، شيماء محمد صبحي، أنور حلمي، ولاء وجيه، رشا محمد أحمد، الشيماء فتحي محمد، إنجي محمد أحمد، آية محمود.

ومازال -متعه الله بالصحة والعافية- يشرف سيمينار التاريخ بعلمه وأستاذيته، فله منا جزيل الشكر والامتنان والدعاء بأن يبارك الله في عمره وعمله.

وهذه بعض شهادات لبعض من تتلمذوا عليه:

أ.د. رأفت غنيمي الشيخ....

الأستاذ الفاضل والعلامة الكبير الأستاذ الدكتور رأفت الشيخ علم من أعلام التاريخ في مصر والعالم العربي، يعتلي قمة الحياة الثقافية، وصل إلى منزلة اجتماعية رفيعة، استطاع بتواضعه وحسن رعايته لتلاميذه وحبه لفعل الخير أن ينال حب وتقدير وعرفان كل من يتعامل معه، أطال الله لنا في عمره ولجيزيه عما يفعل.

د. جمعة محمد مصطفى الجندي

كلية التربية - جامة عين شمس

الأب والأستاذ... رافت الشيخ:

لقد أسعدني الحظ وتتلمذت، بل وتعلمت على يد رائد من رواد التدريس الجامعي، أستاذ عالم وإنسان قدير، يزخر قلبه بكل معاني الحب والإنسانية.
حيث يتحدث في العلم تجد عالماً فصيحاً قديراً بليغاً بشوشاً تستزيد من علمه الفياض، صاحب فكر ورؤية متجددة تنم عن وفرة بل وغزارة معلوماته.
وحينما تعامل الإنسان، تجد الأب الحنون الرؤوف الذي يحنو على ولده ويوجهه دون قسوة أو إساءة، بل برفق وأبوة حانية تؤسر من يتعامل معها.
فكلما سألته تجد إجابة، وكلما طلبت منه تجد عطفاً ورداً سريعاً حانياً دون تردد، أيٍّ كان طلبك.
إنه مثال للقدوة الحسنة في العلم والإنسانية، رجل بحق تجمعت فيه الخصال، قلما تجده ويسعدك الحظ إذا قابلته.

د. إيمان مصطفى عبدالعظيم

تربية عين شمس

أ.د. رافت غنيمي اشيخ... الإنسان:

الهادىء، العطوف، العالم، المعطاء، المتسامح، الذي يمتلك عبقرية فكرية وسياسية ينر وجودها في أي إنسان فهي هبة حباه الله بها.
كان، ومازال، وسيظل قدوة ومثلاً راقياً استطاع أن يوصل رسالته العلمية، ويقنع بها الجميع، ونحن جميعاً نعرف أن الأستاذ الإنسان في معظم الأحوال يقتدي به في كل جوانب شخصيته، كما كان شخياً للكثير من الأساتذة الأجلاء الذين يتقلدون مناصب رفيعة اليوم.
اتسم أسلوب تعامله معنا في المحاضرة باللطف الجم، والأدب الرفيع، فيركز دائماً على اتباع الخطوات المنهجية، والأسس العلمية في التدريس، حيث يبدأ بمقدمة أو تمهيد، ثم يتناول متن الموضوع نفسه بحيكة وترتيب منطقي مقنع، وينتهي بخاتمة فيها تشويق وترغيب وتجميع للمادة العلمية مما يدفع بعيداً

الشعور بالملل أو الضيق من المحاضرة، وتتسع صدورنا لطلب المزيد والاستفادة، فبشخصيته الجميلة أيضاً لم يتعرض قط لموقف طرد فيه طالباً من محاضرة، أو ترك محاضرته وخرج منها غاضباً ناقماً، بل كان بوتقة ينصهر فيها كل شيء، ولا تخرج إلا كل جميل يجبر الجميع على احترامه.

صفاء عبدالشافي محمد

تربي عيش شمس

أ.د. رافت غنيمي الشيخ...

صاحب الفضل العظيم والعلم الوفير، صاحب الهدف السامي بأن يكون يداً لم يحتاج إليها طبقاً للمعايير والمبادىء التي جمعت بين الأخلاق والعلم، فهو الصادق المعطاء الذي يبحث دائماً عن التوحد والامتزاج، ويبتعد عن التحطيم والانكسار، ويملك قلباً إنسانياً كبيراً يمنحه نوراً روحانياً يشع في نظراته وقسماته، ويرى في العمل والعلم نور الإيمان سروراً وسعادة، فهو يبذل أكثر مما يأخذ، فإنني أدعو الله له بالعمر الطويل متمنية له من الله رد الجميل كما يليق به، فهو نعم الأب والشقيق والأستاذ.

أمل يوسف عبدالله

أ.د. رافت غنيمي الشيخ...

د. رافت غنيمي الشيخ علماً على جيله... حمل هموم الفكر وأمانة الكلمة ونقل هذه الأمانة بما ورثه من تراث فكري وتاريخي وبأسلوب جديد وفهم جديد وعرض جديد.

دخل مجال التاريخ وتحمل تبعات ومسؤوليات الماضي كله..

فعاش بتلك المسؤوليات والتبعات وأعطى الدراسات التاريخية بكل طاقته..

كوّن جيلاً ذا طابع خاص متميز درج على حب البحث والنقد والتقصي والتحليل. عالماً غزير العلم واسع المعرفة جم التواضع إذا سكت سمعت حكمة

الزمن وإذا تكلم نهلت من علم لا ينضب.

أنور حلمي

عرفناك منارة للعلم والمعرفة... بحراً يفيض بالعطاء الذي ليس له حدود... قدرة يحتذى بها للأجيال القادمة... علماً نرتشف منه كلما أردنا أن نرتقي كلماتكم تتناثر كحبات اللؤلؤ تحمل بين طياتها علماً لا يقارن ومعرفة قل أن نجدها إلا في كل من أفنى شبابه في البحث والدراسة حتى يقدم ثمرة هذا الجهد لأبنائه...

فشكراً على ما تقدمه لنا من علم يضيء لنا مستقبلاً باهراً..

ولاء وجيه

معيدة - قسم تاريخ تربية عين شمس

عرفته عالماً وإنساناً

ابنك/ محمد عبدالحميد الحناوي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك
رئيس قسم التاريخ - وكيل كلية الآداب لشؤون التعليم والطلاب
جامعة أسيوط

حينما علمت بأن كتاباً تذكارياً سوف يخرج إلى النور بمناسبة بلوغ شيخنا وأستاذنا المبجل الدكتور رأفت غنيمي الشيخ -أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر والعميد الأسبق لكلية الآداب ومؤسس معهد الدراسات الآسيوية بجامعة الزقازيق، سن السبعين- أمد الله في عمره ليظل مدداً وسنداً وعوناً لكل تلاميذه ومريديه ومحبيه في مصر والعالم العربي ونبراساً وهادياً لكل سائر في طريق العلم والنور- بادرت ودون تردد في إبداء رغبتي أن أكون أحد المحتفين به من تلاميذه وأبنائه الذين تتلمذوا على يديه ونشأوا وترعرعوا في مدرسته العلمية والأخلاقية من خلال تلك الكلمات علها تكون ومضة أمل وضياء شمعة لمن يبدأون رحلة المسير في طريق ودرب العلم الطويل ولعلها مني ومن زملائي رفقاء الطريق كلمة حب ووفاء وإخلاص «فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله».

لقد كانت بداية معرفتي بأستاذي منذ ربع قرن مضى مع بداية الثمانينيات من القرن الماضي حينما جلست أستمع إليه مناقشاً لأطروحة ماجستير لأحد زملائنا بقسم التاريخ بمدرج العبادي بآداب الإسكندرية برفقة أستاذيّ الجليلين عمر عبدالعزيز -متعه الله بالصحة وجلال الدين يحيى (رحمه الله)، وكنت حينئذ طالباً في بداية دراساتي العليا، وكأي طالب علم يتمنى ولو للحظة واحدة أن يخاطبه أستاذ كبير في قدر العالم رأفت الشيخ، ومرت سنوات خمس أعددت فيها رسالتي للماجستير في التاريخ الحديث تحت إشراف أستاذي المرحوم جلال يحيى، لمناقشتها بكلية الآداب -جامعة المنيا

في اليوم السابع من شهر يوليو عام ١٩٨٥م والتقيت بأستاذي الدكتور/ رأفت، الذي لبى دعوة أستاذي المرحوم جلال يحيى لمناقشة رسالة الماجستير التي أعدها زميلي بالدراسات العليا الدكتور/ محمد القاضي وذلك في اليوم التالي لمناقشتي، وكانت سعادتي غامرة لجلوس أستاذي الدكتور/ رأفت مستمعاً لمناقشة أطروحتي للماجستير، وزادت سعادتي عندما أبدى رغبته في إهدائه نسخة من رسالتي، فما كان مني إلا أن طلبت من أستاذي المرحوم/ جلال يحيى، أن يقدم هذا الإهداء بخط يده على نسختي الخاصة لأستاذي الدكتور رأفت، وأردف الدكتور جلال قائلاً للدكتور رأفت: إنني سأغادر مصر مسافراً إلى المملكة العربية السعودية للعمل بجامعة الملك سعود، وأرغب في أن تتبنى هذين التلميذين خلال الفترة القادمة التي سأتغيب فيها عن مصر. فما كان من أستاذي الدكتور رأفت إلا أن رحّب بنا قائلاً: إنهما تلميذين يستحقان الرعاية.

ومن هنا بدأت رحلتي العلمية المباشرة لكي أتتلمذ على أيدي أستاذي الذي حباني برعايته الكريمة وعطفه المتواصل، فقد أعددت خطة رسالة الدكتوراة تحت إشراف سيادته ومبشاركة المرحوم الدكتور/ جلال الذي غادر البلاد بعدها مباشرة إلى الأراضي السعودية، هذه الرحلة العلمية خلال تلك السنوات الطوال تعلمت منها الكثير والكثير من المفاهيم الإنسانية والعلمية في كيفية تعامل الأستاذ والمعلم مع تلاميذه وغرسه للقيم النبيلة في نفوسهم وإعلاء هذه القيم على ما عداها ومن هنا تتشكل مدرسة الأستاذ العلمية والفكرية التي تعلمنا منها ولازلنا ننهل من قيم ومفاهيم تلك المدرسة فترسخت أصالتها في أعماقنا.

ولكوني أحد مريدي وتلاميذ هذه المدرسة العلمية يمكنني رصد بعض سمات وملامح هذه المدرسة كما أراها:

أولاً: نهضت دعائم مدرسة أستاذنا على الفضيلة والخلق القويكم وارتكزت على دعائم التمسك بالقيم الدينية والخلقية وهي سمة شيخنا في التعامل

مع تلاميذه يغرس فيهم هذه المبادىء السمحة باعتباره مرشداً ومعلماً وهادياً لهم بقدوته الحسنة عملاً بقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عل بها إلى يوم القيامة، لا ينقص من أجورهم شيء....» الحديث الشريف.

فأستاذنا -وكما أعلم- نشأ في بيئة دينية صالحة انعكست بقيمها النبيلة على علاقاته مع زملائه وتلاميذه، وهذه القيم بلا شك أهم ما يميز هذه المدرسة الإنسانية قبل أن تصبح مدرسة علمية. وقد لمست بنفسي ذلك من خلال علاقتي بأستاذي عندما كان يراسلني وبخط يده ليحثني على ألا أركن إلى الدعة والسكون ومحفزاً إياي على مواصلة البحث ومشوار العلم وموالاته بماكتبت في الرسالة لمراجعتها معه، كما أنه لا يتوانى عن الدفاع عن تلميذه دفاع الأسد عن عرينه مقدراً جهد الطالب معتبراً إياه ابناً له، ومن هنا يتولد خلق الوفاء بين التلميذ وأستاذه ومفهوم التواصل بين جيل وآخر يليه لتستمر رحلة الحياة بما فيها من صفات نبيلة.

وقد كنت أتردد عليه في مكتبه في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي عندما كان وكيلاً للدراسات العليا لآداب الزقازيق، ثم بعد أن صار عميداً للكلية مرحباً بشوشاً رغم عظم وجسامة المسؤولية وزخم العمل الجامعي ومشاغله وهمومه، ناقلاً له بعد رحلتي من الإسكندرية إلى الزقازيق فصلاً من الرسالة فيعدني وبأدب جم بتسلم هذا الفصل في الأسبوع التالي مباشرة بعد مراجعته على أن آتيه بالفصل الآخر، وكان وفياً بالعهد، فتولدت الثقة بالأستاذ نتيجة لصدقه مع تلاميذه.

ثانياً: من ملامح وسمات مدرسة أستاذنا أنها نهضت على أسس علمية راسخة أصيلة ترتكز على التنوع والانفتاح على المدارس العلمية الأخرى وتوجيه تلاميذنا للاستفادة من عناصر التميز في كل مدرسة دون حرج أو وجل، ولهذا كان التنوع وإنتاج المزيد من الدراسات والأبحاث في مختلف ميادين وفروع التاريخ الحديث والمعاصر من مبتداه إلى منتهاه زمنياً. فصار

لأستاذنا الفضل في أن تخرجَ إلى حيز وجود الدراسات التاريخية عشرات الرسائل العلمية في هذا المجال في تاريخ مصر، وأفريقيا، والعالم العربي، وعلى وجه التحديد منطقة الخليج العربي، وشبه الجزيرة العربية، والعراق، إلى جانب الدراسات الأوروبية والعلاقات الدولية. ومن هنا كان التنوع وطرق أبواب جديدة للبحث العلمي التاريخ من أهم ركائز هذه المدرسة التي أنجبت عشرات الباحثين في مختلف أنحاء الوطن العربي.

ثالثاً: تميزت مدرسة شيخنا بإيمانها العميق بأهمية الحوار العلمي البناء من خلال الندوات والمؤتمرات العلمية المتواصلة، فقد شهدت جامعة الزقازيق في فترة عمادته لكلية الآداب ثم عمادته لمعهد الدراسات الآسيوية عشرات المؤتمرات والندوات العلمية عاماً بعد آخر فلا يكاد يمر عام بدون مؤتمر دولي يستضيف كثير من العلماء والباحثين والمهتمين بالدراسات التاريخية والإنسانية من كل أنحاء العالم العربي وبخاصة في جزئه الآسيوي، وهو أمر حيوي لتوطيد علاقات مصر مع شقيقاتها العربيات وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، وفي خضم هذا الجهد المتواصل لم يغفل الأستاذ دعوة تلاميذه للمشاركة في هذه المؤتمرات بأبحاثهم وتواجدهم ليحققوا أهداف المدرسة في المزيد من التلاحم والتواصل العلمي.

وقد شاركت في العديد من هذه المؤتمرات بالإضافة إلى السمينارات (الجلسات العلمية) التي كانت تعقد أسبوعياً بكلية الآداب يلتف حوله تلاميذه من المعيدين والمدرسين المساعدين والباحثين ليشجعهم على الأستزادة من العلم وغرس مفاهيمه في نفوسهم، فأثمرت وأينعت لدى مئات الباحثين في مختلف جامعات مصر من شمالها إلى أقصى جنوبها.

رابعاً: اهتمت مدرسة شيخنا بقضايا التجديد والإصلاح الفكري والمعنوي والمادي من خلال تبني أجندة إصلاح أمور التعليم الجامعي بالمشاركة في وضع اللوائح وصياغة المقررات الجامعية في العديد من الكليات التي أنشأت أو تلك التي بصدد إنشائها بجامعة قناة السويس وغيرها من الجامعات. وم

أجل الأعمال التي نهض بها أستاذنا على عاتقية في هذا المجال والذي يحسب له إنشاء معهد الدراسات الآسيوية بجامعة الزقازيق والذي ساهم في تخريج عدد كبير من حملة درجتي الماجستير والدكتوراه في الدراسات الآسيوية بعضها يؤدي دوره الأكاديمي في الجامعات المصرية الآن بكفاءة عالية.

خامساً: لعل من أهم ركائز ودعامات مدرسة أستاذنا إيمانها العميق بضرورة التواصل والتلاحم بين الجيل القديم وهو جيل الأساتذة العظام، وجيل الشباب من الباحثين والأبناء الذين تتلمذوا على أيديهم، وهو ما يؤمن به الأستاذ ويتعهد ترسيخ مبادئه من خلال علاقاته مع تلاميذه إذ يبادر دوماً بالاتصال بهؤلاء التلاميذ ولا ينقطع عن السؤال عنهم رغم مشاغله، والرد على مكتاباتهم في المناسبات العديدة حتى لا تنفصم عرى المودة العلمية، ولهذا تواصلت «حبات مسبحة» التواصل جيلاً بعد جيل فصار شيخنا أستاذاً لا لجيل واحد أو جيلين بل لثلاثة أجيال من التلاميذ حملة الدكتوراه والذين تبوأوا مقاعد العلم ومناصب الإدارة في الجامعات المصرية.

ولعل تجربتي الشخصية معه كواحد من تلاميذه خير دليل على ذلك، فقد حباني بفضله ورعايته بعد أن تخرجت على يديه حاملاً لدرجة الدكتوراه، وتشجيعي لإنهاء أبحاثي للترقية ومساندتي مساندة الأب لولده، ولم يكتف بذلك بل واصل معي رحلة العطاء ولايزال بالسماح لي بمشاركته في مناقشة الرسائل العلمية بالجامعات المصرية.

وكانت آخر مساهماته المتواضعة بجانب سيادته مناقشته لأحد تلاميذي وتلاميذه بآداب أسيوط، والمشاركة بجانبه في عضوية لجنة تطوير مناهج التاريخ الحديث والمعاصر المنبثقة عن لجنة تطوير كليات التربية بمصر من خلال العمل المتواصل عبر جلسات طويلة خلال الشهر الحالي (فبراير ٢٠٠٥م).

ولعلي أكون قد عبرت بقلمي المتواضع ولغتي العاجزة عن التعبير عما يجيش

بصدري نحو أستاذي ومعلمي وأستاذ جيلي الأستاذ الدكتور/ رأفت غنيمي الشيخ، وليس لي من كلمات أخرى إلا أن أقول:

أستاذي أنك مفخر
للجامعة ومذخراً وإباء
أستاذي إنك راية
تشدو وتمشع تحتها الجوزاء
أستاذي إنن محتاجون
إليك في زمن يشوه وجهه الجبناء
أستاذي نود أن نراك دوماً
فأنت فارس يشهد به الكتاب والأدباء

متعك الله بالصحة والعافية وطول العمر والبقاء لتكون نبراساً وتظل مصباحاً وضاء لجيل بعد جيل.

مشواري مع أستاذي

بقلم: أ.د. عاطف عبدالمقصود
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب - جامعة المنيا

النقاء والصفاء والعطاء بلا حدود -الكرم بكل صوره- اللباقة والكياسة والبشاشة- العلم الغزير مع تواضع العلماء- الموضوعية المتناهية- الشجاعة مع الصبر والسماحة مع الطيبة حتى مع من يخالفونه في الرأي. هو الإخلاص والتفاني لكل من حوله- الدقة والنظام من أجمل صفاته. احترامه لنفسه ولكل من حوله صغيراً كان أم كبيراً يجعلك تحترمه.

من يراه لأول مرة يشعر أنه يعرفه منذ فترة طويلة يشعرك يحبه فتحبه، يشعرك بدفء صداقته مرة فتصادقه، لا يذكر اسمه في أي مجتمع إلا وينال احترام وثناء الجميع، أياديه بيضاء على كل من حوله، مثار إعجاب واحترام، مثل أعلى يحتذى به. هذه هي بعض صفاته وليست كلها لأنني إذا عددت كل الصفات في شخص فلابد أن يكون مثار الاحترام فما بالكم بأن هذه الصفات في أستاذي الأستاذ الدكتور غنيمي الشيخ وهو غني عن التعريف. إنه عمدة من عمد التاريخ الحديث، عمدة في كليته وفي جامعته، عمدة في محافظته وفي قريته.

أما عن مشواري مع أستاذنا فيبدأ منذ عام ١٩٧٥م عندما كنت طالباً بالفرقة الرابعة بقسم التاريخ بكلية الآداب بالمنيا وذلك عندما تم تكليفي مع أحدا لزملاء بالذهاب إلى كلية التربية جامعة عين شمس لمقابلته واستلام نسخ من كتاب سيادته «أفريقيا في العلاقات الدولية» والذي كان مقرراً علينا، فذهبنا إلى مكتبه بقسم التاريخ بكلية التربية بجامعة عين شمس وذلك في أحد أيام شهر يناير ١٩٧٥م، وما أن دخلنا عليه وعرفناه بأنفسنا

وجدنا أمامنا أستاذاً مبتسماً بشوشاً لا تفارق الابتسامة وجهه، واستقبلنا استقبالاً حاراً توجه بدعوة لنا لحضور محاضرة لأقراننا من طلاب قسم التاريخ بكلية تربية عين شمس ودخلنا قاعة المحاضرة وقد قام بتعريفنا إلى الطلاب بأننا جئنا من صعيد مصر وأننا سنحضر معهم المحاضرة وكان الترحاب من أستاذنا ومن الطلاب، ولم يكن ترحاباً فقط بل احتفالاً بنا.
وبعد انتهاء المحاضرة كن أنا وزميلي نظن أن الأمر قد انتهى وسنذهب إلى سبيلنا، ولكن كانت المفاجأة أن أستاذنا أصر على اصطحابنا بسيارته إلى المكتبة التي توجد بها نسخ الكتاب، وذهبنا إلى المكتبة واستلمنا النسخ الخاصة بنا، وظننا أن المقابلة قد انتهت عند هذا الحد، ولكننا وجدنا أستاذنا يسألنا عن مقصدنا بعد ذلك فأخبرناه بننا سنذهب إلى محطة السكة الحديد (رمسيس) للعودة إلى المنيا فوجدناه يصر على توصيلنا إلى المحطة وقد حاولنا إثنائه عن ذلك ولم لم نفلح أمام إصراره الذي وضعنا في حرج شديد ونحن الطلاب أمام أستاذ. وقد عرفت فيما بعد أن إصرار أستاذنا طبيعي لأن هذه طبيعته وأنه يتصرف بتلقائية شديدة وكان هذا الانطباع الأول عن أستاذنا جعلني أنا وزميلي نتساءل ونتحاور عن شخصية الدكتور رأفت الشيخ هذه الشخصية التي جعلتك من أول لقاء تحبه بل لا أبالغ إذا قلت أنه منذ هذه اللحظة أصبح مثلاً أعلى وأن هذه هي أخلاق أستاذ الجامعة تواضع العلماء مع الأخلاق والسمو والعلم الغزير.
وتخرجت وطلبت لأداء الخدمة العسكرية، وفي ذات الوقت انتظمت في مرحلة الدراسات العليا وبدأت مرحلة البحث العلمي وبدأت أبحث بجوار أستاذي في آداب المنيا عن مرشد، وذار في خلدي شخصية أستاذنا وبدأت أقلب في أوراقي حتى وجدت تليفوناته التي كان أعطانا إياها أثناء لقائنا به وقلت لما لا أتصل به ولن أخسر شيئاً إذا ردني وأنني في الاتصال سوف أعرف مدى استعداده. واتصلت بأستاذنا وذكرته بشخصي فإذا به يتذكرني جيداً بل وسأل عن زميلي الذي رآه معي في أول لقاء وسأل عن أخباري

العلمية وعرفته بوضعي وموضوعي فأخذ يلميني قائمة من المصادر والمراجع المهمة لبحثي وعدد أنه سو يرسل لي بعض هذه المراجع سواء من تأليفه أو تصوير ما يمكن تصويره، وإذا بطرود هذه الكتب تصلني بريدياً وبدأت مرحلة جديدة في علاقتي بأستاذنا. كانت الاتصالات التليفونية أو الرسائل حيث إن ظروفي لم تكن تسمح لي بمقابلته حيث إن سيادته انتقل إلى كلية الآداب جامعة الزقازيق وكنت أنا ضابطاً احتياطياً بالقوات المسلحة ووجدت أن أستاذنا لم يبخل عليّ بعلمه ولا بمؤلفاته أو ما عنده من كتب ومراجع تخص بحثي وكان يقوم بتصوير ما يمكن تصويره وإرساله لي وعندما طلبت منه أن يعرفني قيمة ما يقوم به غضب غضباً شديداً وكان تعيره أنها مجرد ملاليم وعرفت قيمة هذا الرجل وازداد جبي لشخصه.

واستمرت اتصالاتنا التليفونية وكنت وقتذاك قد أنهيت الخدمة العسكرية وخرجت خارج الوطن في رحلة عمل قصيرة عدت منها في صيف ١٩٨٢م، وبمرجد عودتي عرفت أن أستاذنا سوف يأتي لمناقشة رسالة ماجستير بالمنيا فذهبت إليه وكلي شوق لرؤيته وكنت في شرف استقباله بمحطة المنيا وكان هذا هو ثني لقاء به وجهاً لوجه فإذا به يتذكرني ويستفسر عن أخبار رسالة الماجستير الخاصة ي وما قطعته من عمل وكان يوماً جميلاً بصحبة أستاذنا وكان الخبر الأجمل هو موافقة أستاذنا للحضور إلى المنيا أسبوعياً لتدريس بعض ساعات الدراسات العليا لطلاب تمهيدي ماجستير التاريخ الحديث وحدد يوم الأحد لحضوره من كل أسبوع وهكذا أصبح لي شرف الاستمتاع بحلو حديثه كل أسبوع عقب محاضراته كان يعقد سينمار التاريخ بمكتب أستاذي الأستاذ الدكتور جلال يحيى، وفي مارس ١٩٨٣م، كانت المفاجأة السارة لي عندا تم تشكيل لجنة مناقشتي للماجستير إذ إن اللجنة كانت تضم أستاذنا وذهبت إليه بالزقازيق لكي أسلم لسيادته النسخة الخاصة به من رسالة الماجستير ومنذ أن وصلت إليه بمكتبه ورغم انشغاله شعرت بدفء اللقاء من كرم واستقبال وحفاوة توجه أستاذنا بدعوة على الغداء في منزله

ثم إصراره على توديعي بمحطة الأتوبيس للعودة إلى القاهرة وإذا به يقوم بدفع ثمن التذكرة دون علمي وقد سألت نفسي عن هذا الكرم وكنت أسمع عن الكرم الشرقاوي ولكن أستاذنا قد فاق حاتم الطائي وعلى ما أعتقد لو أن حاتم كان في زمننا لتعلم من أستاذنا كيف يكون الكرم.

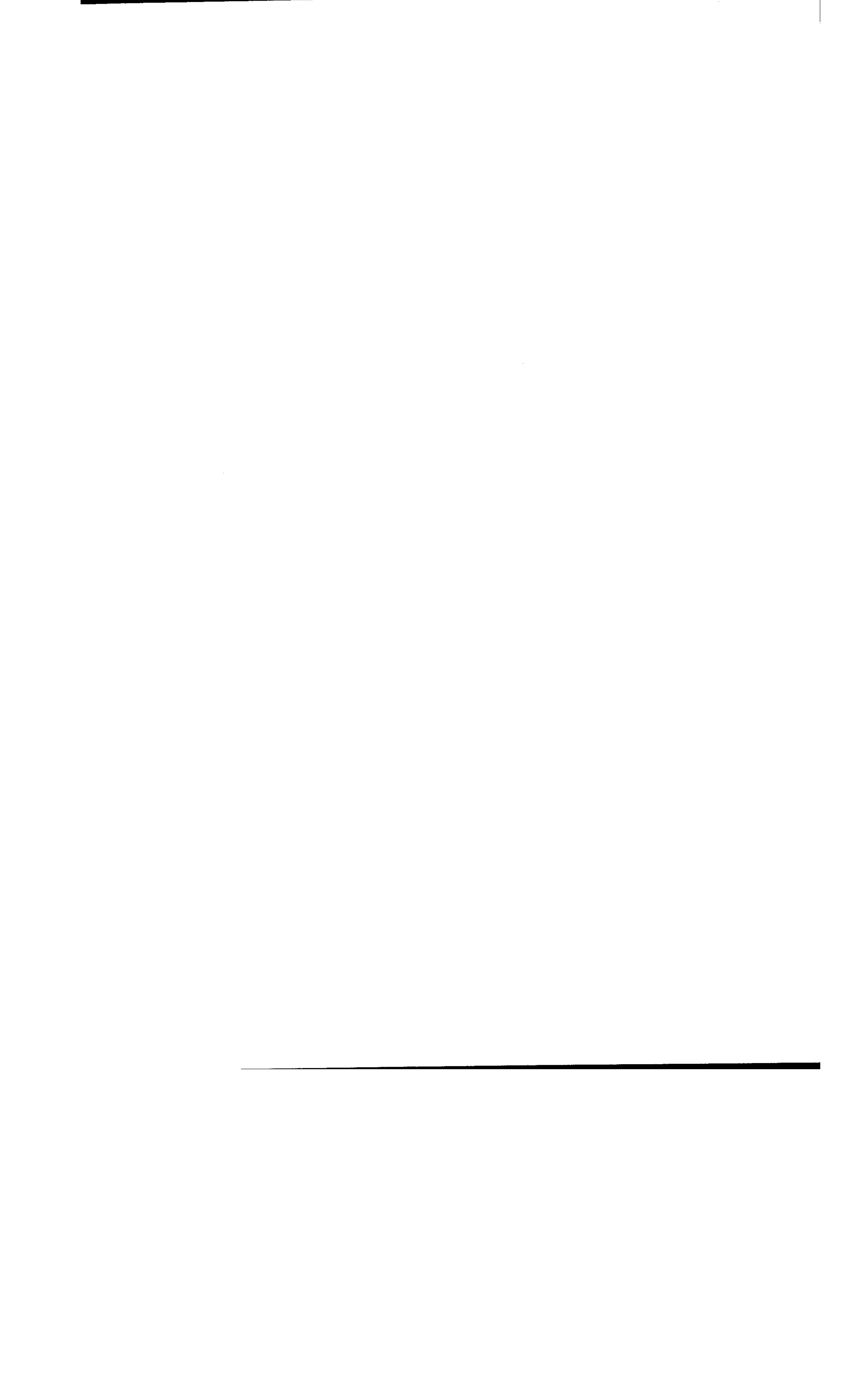
وجاء يوم المناقشة واستمتع الحضور بمناقشة أستاذنا وكان الإجماع على أنه أبدع في المناقشة والتعليقات والموضوعية وأجمع الحضور على حب هذا الرجل دون أن يعرفونه من قبل.

وازدادت أواصر المحبة والصداقة وهنا أقول الصداقة حيث لم تكد تمر مناسبة إلا وكنا دائمي الاتصال وتوثقت أكثر بعد أن تم تعييني مدرساً مساعداً بجامعة المنصورة فأصبحت قريباً من أستاذنا لأخذ المشورة والنصائح وكان أستاذنا مرشدي ومعلمي وصديقي وأصبح يمدني بكل المراجع والمصادر التي يمكن أن تفيدني في موضوع رسالة الدكتوراه الخاصة بي بل وكان يرشدني إلي أماكن بعض المصادر والمراجع الخاصة بموضوعي.

وأصبحت زياراتي منتظمة لأستاذنا ذلك لقرب المنصورة من الزقازيق، وشغل أستاذنا في هذه الأثناء عمادة كلية الآداب بالزقازيق وازدادت مشغولياته وعلى الرغم من كثرة هذه المشغوليات إلا أنه كان دائم الحفاوة والاستقبال في كل زيارة لي وكان الكرم الحاتمي هو عنوان الاستقبال والوداع وكان أول المهنئين لي عند حصولي على درجة الدكتوراه (حيث لم يكن بلجنة المناقشة) وكانت التهنئة الكبرى عندما دعاني رسمياً وبدعوة خاصة شخصية لحضور ندوة العلاقات المصرية السعودية (الندوة الأولى) وكان ذلك بعد حصولي على الدكتوراه بأشهر قليلة وكان تشجيع أستاذي لي بضرورة حضوري للندوة وأن أعد بحثاً وتناقشنا كثيراً في موضوع البحث الذي سأتقدم به ونالت فكرته استحسان أستاذنا وحضرت الندوة وكان أستاذنا على الرغم من انشغاله التام بالإعداد والترتيب والضيوف وإقامتهم إلا أنه كان يأخذ بيدي ويقوم بتعريفي بالحضور وتعريفهم بي.

وأصبحت العلاقة أكثر تميزاً وازدادت متانة وقوة وأصبح أستاذنا ملاذي في كل ضائقة أو أزمة تمر بي لأخذ رأيه والاستشارة بمشورته التي كان لا يضن بها على أحد، ونقلت إلى آداب المنيا ولم تنقطع الصلة به، وكان من أول المهنئين لي عند حصولي على درجة أستاذ مساعد عام ١٩٩٣م، وتمت إعارتي للمملكة العربية السعودية في ذات العام ولم تنقطع الاتصالات بيننا وعدت عام ٢٠٠٠م وكانت التهنئة لي بالعودة ممثلة في دعوتي لمناقشة رسالة في آداب الزقازيق كان أستاذنا مشرفاً عليها وهكذا دارت الأيام وجلس التلميذ بجوار أستاذه وكانت الدعوة تمثل لي شيئاً كبيراً إذ إن الأستاذ يشجع التلميذ ويأخذ بيده في كل مرحلة وكانت كلمات أستاذي التي قدمني بها أكثر مما أستحق حتى كادت الدموع تنهمر من عيني بسبب ما أعطاني ووصفني وأصبح أستاذنا لا يخلف موعداً أو مناسبة إلا ووجدته سباقاً في الاتصال متتبعاً أخباري وكنت أشاوره وأحدثه عن أخباري العلمية وكان أول المهنئين لي عند حصولي على درجة أستاذ وكأنه هو الذي رقي وضرب المثل الرفيع في الأخلاق الرفيعة الجميلة.

متعه الله بالصحة والعافية وجزاه كل خير على ما قدمه للعلم ولطلابه ومحبيه ومريديه ليظل لنا نبراساً نستضيء به في ظلمات الليالي ونتخذه هادياً ومرشداً لنا في جميع أمورنا.



رأفت الشيخ والدراسات الإعلامية

بقلم أ.د. محمد معوض
أستاذ الإعلام ووكيل معهد الدراسات العليا للطفولة
جامعة عين شمس

منذ إنشاء قسم الدراسات الإعلامية المتخصصة في كلية الآداب جامعة الزقازيق في بداية الثمانينات كان الأستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ أستاذ التاريخ ووكل كلية الآداب وعميدها الأسبق -بدون إطراء أو مجاملة- من أهم الشخصيات الجامعية والقيادية التي دعمت القسم في كل المجَالات العلمية والعملية، وكان له الفضل في أن يكون للقسم هذه السمعة الطيبة والمكانة العلمية المتميزة بين أقرانه من أقسام الدراسات الإعلامية في الجامعات المصرية والعربية وحتى بداية التسعينات.

وكنت أتابع جهوده العلمية والعملية لدعم هذا القسم منذ انتدابي من جامعة عين شمس للتدريس في قسم الإعلام في منتصف الثمانينات، وقد يطول بنا الحديث ويتشعب إذا تطرقت لسرد جهوده العلمية والعملية، لهذا سأكتفي بتقديم بعض جهوده لإثراء الدراسات الإعلامية، وتذليل الصعاب أمام الباحثين وتوجيههم بل والإشراف عليهم، ومازلت أتذكر دوره البارز في توجيه الباحث عادل عبدالرزاق ضيف[1] أول من سجل دراسته للماجستير بعنوان: مجلس التعاون العربي في الصحافة المصرية نهاية الثمانينات وبداية التسعينات، ونعلم أن الإعلام قد نما وانتشر وملك الأشهاد والأسماع معتمداً على كثير من العلوم ومنها التاريخ وعلم النفس والسياسة والاجتماع والاقتصاد وغيرها، حتى أصبحت له نظرياته ومدارسه وتخصصاته خلال العقود الأخيرة، وأشهد أنني استفدت من العمل مع الأستاذ الدكتور رأفت الشيخ عميد كلية الآداب آنذاك في الإشراف على الزميل الفاضل الدكتور

عـادل ضـيف، ولم يقف الأمـر عند هذا الحـد، وإنما أتاح سيـادته بعـد ذلك بعداً هاماً للدراسـات الإعلاميـة في معـهد الدراسـات الآسيوية، والذي يرجع الفضل في تأسيسه وإنشائه لجهوده المخلصة لدعم البحث العلمي، وأشرف مع بعض الزمـلاء المتخصصين في الإعـلام على الكثير من الدراسـات الهامة التي أثرت المكتبة الإعلامية، وأضافت إليا الكثير، ومن أحدثها دراسة عصام السيد بعنوان «الخطاب الإعـلامي للثورة الإسـلاميـة في إيران وتأثيره على عـلاقاتها الخـارجيـة: دراسـة تحليليـة، والتي نوقـشت في آخـر شـهر يناير ٢٠٠٥م في مقـر المعهد، واشتركت في مناقشتها مع سعادة السفيـر محمد فتحي رفاعة رافع الطهطاوي[٢].

من جهة أخـرى كان لعلاقاته الواسعـة والمثمرة دورها في عقد الكثيـر من اللقاءت والمؤتمرات والندوات العلمية ذات السمعة العلمية والإبداعية، والتي جمعت رابطة الجامعات الإسلامية وبعض الجامعات العريقي، ومنها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسـلامية وجامعة القناة وجامعة الزقازيق وغيرها، وفتح فيها المجال على مصراعيه للدراسات والبحوث الإعلاميـة، بالإضافة إلى كافة المجالات الأخرى، وشارك فيها كثير من أساتذة الإعلام ببحوثهم ودراساتهم[٣] وأذكر أنني قدمت دراسـة بعنوان «الإذاعة السعـودية في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود» وذلك للندوة العلمية المشتركة بين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والزقازيق وقناة السويس في أكتوبر ١٩٨٧م، تم نشرها في بحوث وأعمال الندوة، كما نشرته دارة الملك عبدالعزيز فيما بعد، هذا بالإضافة إلى ندوة أخرى تناولت حرب أكتوبر ١٩٧٣م، والمعروفة بحرب رمضان والتي تم عقدها في نوفمبر ١٩٨٨م.

وقدمت فيها دراسة بعنوان: التليفزيون السعـودي ودوره في نشر الثقـافة الإسلامية عقب حرب رمضان أكتوبر ١٩٧٣م.

من جهة أخرى لم يدعم الأستاذ الدكتور رأفت الشيخ عميد كلية الآداب قسم الإعـلام كليته فقط، وإنما كان متعاوناً مع جميع القيـادات الجامعيـة لدعم

أقسام الإعلام المنافسة في الجامعات المصرية، وأذكر أن قسم الإعلام وثقافة الطفل بمعهد الدراسات العليا للطفولة الذي شرفت برئاسته كان في احتياج شديد للكوادر العلمية المتخصصة في صحافة وإعلام الأطفال، وأذكر أن سيادته وافق لأول مرة في حياة الجامعة المصرية على نقل الزميلة الدكتورة نجوى عبدالسلام فهمي[٤] أستاذة الإعلام بجامعة عين شمس (حالياً) وقت أن كانت مدرسة مساعدة بقسم الدراسات الإعلامية بجامعة الزقازيق بدرجتها الحالية مدعماً قسم الإعلام وثقافة الطفل حيث أنها متخصصة في صحافة الأطفال، ومؤكداً على أن جميع أقسام الإعلام تنتمي للجامعة المصرية التي ينتمي لها سيادته وتفانيه وحبه وانتمائه لوطنه الأكبر، واعتزازه بجامعة عين شمس رغم كونه عميداً في جامعة الزقازيق، ونقلتله شكر وتقدير عميد معهد الدراسات العليا للطفولة الأستاذ الدكتور قدري حفني «آنذاك» على هذا الجهد الصادق لدعم الجامعة المصرية، هذا بالإضافة إلى مواقفه الكثيرة لدعم طلاب الدراسات العليا سواء في الدبلوم أو السنة التمهيدية للماجستير بكلية الآداب بالزقازيق.

أما على مستوى الدراسة الجامعية الأولى فكنت أدرِّس مادتي التحرير الإذاعي والتلفيزيون والإذاعة المدرسية، وتحتاج المادة الأولى إلى التدريب العملي والتعرف على أساليب ممارسة التحرير الإذاعي والتليفزيوني في إذاعة وتليفزيون جمهورية مصر العربية، وطلبت من سيادته دعم طلبة وطالبات المرحلة الجامعية في قسم الدراسات الإعلامية لتدريبم في إدارات الأخبار والشئون السياسية وزيارة أماكن البث بها للتعرف على أساليب الممارسة الإعلامية في الإذاعة والتليفزيون، وكان لهذه الممارسة ولدوره الكبير في تحقيقها وتذليله الصعاب التي تتابها بحكم عمله كعميد لكلية الآداب وباتصالاته مع المسؤولين في وزارة الإعلام آنذاك ومنهم السيد عبدالسلام الناوي رئيس التليفزيون آنذاك، ورؤساء التحرير ومدراء القنوات الإذاعية والتلفزيون المحلية، أن تدرب عدد كبير من أبناء قسم الإعلام في

أقسام وإدارات إذاعة وتليفريون حمهورية مصر العربية العامة والإقليمية، وبفضل متابعة ومساندة رئيسة القسم آنذاك الأستاذة الدكتورة نوال عمر - رحمها الله- كان لكل هذه العوامل الفضل الأكبر في عمل الكثير من خريجي قسم الدراسات الإعلامية في مختلف وسائ الإعلام (صحافة، إذاعة، تليفزيون). كما قدم من خيرة بناته زميلة عزيزة تعمل في أحد أقسم الإعلام المصرية هي الدكتورة أسماء رأفت الشيخ عضو هيئة التدريس بقسم الصحافة والإعلام بكلية الآداب جامعة المنوفية. وقدم كثيراً من جهده ومحاولاته لإنشاء كلية الآداب جامعة قناة السويس مؤكداً على إنشاء قسم للإعلام فيه مستهدفاً تكوين جيل من الباحثين المتخصصين لخدمة مجتمع القناة، هذا بالإضافة إلى الكثير من مؤلفاته العلمية التي يشهد بها لجميع وأعماله الكثيرة التي لا يتسع المجال لذكرها لخدمة العلم والجامعة والمجتمع، كما ساهم في دعم شعبة الإعلام العمالي بالجامعة العمالية، تحمل عناء السفر المتواصل من مقر عمله بجامعة الزقازيق ومقر الجامعة العمالية في مدينة نصر حباً لأبناء الطبقة العاملة من المخلصين الدارسين المتعطشين للإعلام العمالي ضارباً المثل لعطاء أستاذ الجامعة المخلص والمؤمن بقيمة العلم ودوره في خدمة المجتمع وتنميته، وكنا نشفق على سيادته من كثرة المشاغل وعناء السفر يشاركني في هذا الشعور نائب رئيس الجامعة العمالية الأستاذ الدكتور عماد الدين حسن والذي أصبحت الجامعة العمالية بفضل جهوده والمخلصين أمثاله منبراً وصرحاً علمياً يعتز به الجميع لخدمة أبناء المجتمع المصري، وتخريج الكوادر الإعلامية التي تعمل بصمت في خدمة النقابات العمالية وكل مواقع العمل والإنتاج والخدمات، هذا بالإضافة إلى تبنيه لعدد من الباحثين في الجامعة العمالية ودعمهم وتوجيههم والإشراف عليهم.

لهذا فمن حقنا أن نعتز ونفخر بعلم من أعلام جمهورية مصر العربية، ومؤسس لكليات الآداب ومعهد الدراسات الآسيوية وكثير من المواقع العلمية

هو الأستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ شاكرين له جهوده الصادقة لخدمة الجامعة والمجتمع معتزين بأستاذيته وعلمه الواسع، مكنّين له كل الود والتقدير والعرفان، داعين بدوام الصحة والسعادة، والله نسأل أن يحفظه علماً بارزاً، ومنارة إشعاع تضيء الطريق لكل الباحثين الشرفاء في مجالات العلم والمعرفة في كليات الآداب ومعهد الدراسات الآسيوية، وأرجو أن تكون كل جهوده العلمية والعملية مصدر نفع ومعرفة وحافز علم وعمل وأن تكون في ميزان حسناته والله وحده الموفق وهو من وراء القصد.

هوامش :

١- عادل عبدالرزاق ضيف، عضو هيئة التدريس حالياً بقسم الإعلام بكلية الآداب، جامعة حلوان والمعار للعمل بسلطنة عمان مستشاراً إعلامياً لمجلس الوزراء.

٢- سفير جمهورية مصر العربية السابق في إيران.

٣- تعمل الأستاذة الدكتورة نجوى عبدالسلام فهمي حالياً بقسم الإعلام بكلية الآداب، جامعة عين شمس.

٤- أمثال د. إبراهيم المسلمي، د. صلاح عبدالحميد، د. نوال عمر، أ. عبدالمجيد شكري، أ. أحمد مسعود، وغيرهم كثير.

المشروعات الزراعية في تركيا
وأثرها في الحد من الهجرة إلى أوروبا

بحث من إعداد

د. ناجي عبد الباسط هدهود

عضو هيئة التدريس بمعهد البحوث والدراسات الأسيوية

جامعة الزقازيق

اقدمه متواضعاً إلى أستاذي الأستاذ الدكتور رافت غنيمى الشيخ، تقديراً لجهوده العلمية منذ ان التحقت بالمعهد حتى صرت عضو هيئة تدريس به، ومتمنياً لسيادته دوام الصحة وطول العمر ليستفيد منه تلاميذه.

د. ناجي هدهود

مقدمة :

تهتم تركيا بإقامة مشروعات زراعية على إجزاء من أراضيها باستخدام مياه نهري الفرات ودجلة وغيرها من الأنهار التي تنبع من هضبة الأناضول وتصب في بحر إيجة وبحر مرمرة وفي البحر المتوسط أمام ميناء الاسكندرونة، بهدف استثمار مياه هذا الأنهار لإقامة مجتمعات مستقرة منتجة.

ولما كانت قضية المياه خاصة في نهري الفرات ودجلة قضية تشترك فيها أطراف عربية هي العراق وسوريا، فإن تركيا اهتمت بهذه القضية أكثر من مياه الأنهار الأخرى، حتى يمكن لها أستخدام المياه في جنوب شرق تركيا اعتماداً على نهري الفرات ودجلة لتحقيق الأهداف التالية:

أولاً: ورقة ضغط سياسي على حكومتي دمشق وبغداد، فمن ناحية تركيا من سوريا أن تنسى لواء الإسكندرونة السوري الذي أخذته تركيا بعد الحرب

العالمية الأولى، كما تريد تركيا من سوريا عدم تشجيع حزب العمال الكردستاني التركي المطالب بمطالب سياسية من حكومة أنقرة تتمثل في إقامة حكم ذاتي -على الأقل- لمنطقة الأكراد في جنوب شرق تركيا.

كما تريد تركيا من العراق الضغط على أكراد العراق لكي لا يقدموا أية معونات أو مأوى لحزب العمال الكردستاني التركي، خاصة أن لتركيا مطامع في إقليم الموصل العراق الغني بالنفط في شمال العراق منذ الحرب العالمية الأولى.

ثانياً: إقامة مجتمعات تركية وكردية مستقرة في جنوب شرق تركيا تكون نواة لجذب الأيدي العاملة المنتجة تعمل في المشروعات الزراعية وايضاً المشروعات الصناعية حتى تصبح تركيا آمنة من ناحية العراق وسوريا وقد حققت الاستقرار التنمية لملايين من سكان تلك الناطق.

ثالثا: أن تتقلص الهجرة التركية والكردية إلى دول الاتحاد الأوروبي بحثاً عن فرص عمل طالما تحققت هذه الفرص على الأرض التركية وبعائد مجز.

رابعاً: تحقيق أمل تركيا في الانضمام للاتحاد الأوروبي حتى تضمن لمنتجاتنا المميزات التي تتحقق لمنتجات دول الاتحاد، كما تضمن لسكان تركيا أن يتمتعوا بالمزايا التي يتمتع بها مواطنو دول الإتحاد الأوروبي.

ومن هذا المنطلق كان لابد من الحديث عن منطقة جنوب شرق تركيا حيث يعيش الأكراد الأتراك، مع الإشارة إلى الأرض والشعب والأحداث التي مرت بأهالي هذه المنطقة خاصة بعد سقوط الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية وقيام جمهورية تركيا الحديثة بزعامة مصطفى كمال أتاتورك منذ عام ١٩٢٣م، وحتى الآن.

ويسوقنا الموضوع لدراسة المشروعات الزراعية التي تسعى حكومة تركيا خلال الربع الأخير من القرن العشرين لتحقيقها، وأهمها مشروع الـ غاب وما رافقه من إقامة سدود على نهري الفرات ودجلة لتخزين المياه للاستفادة بها في هذا المشروع والآثار الاقتصادية لمشروعات المياه التركية في المجالين

الزراعي والصناعي.

وأختتم بحثي بالحديث عن دعائم الاستقرار في جنوب شرق تركيا على تقليص أعداد المهاجرين إلى أوروبا، خاصة بعد أن أظهرت دول الاتحاد الأوروبي مخاوفها من هجرة أكراد تركيا إلى الأراضي الأوروبية، وقد أبدت تركيا تحركاً في هذا الاتجاه بتوقيعها اتفاق الوحدة الجمركية بين الاتحاد الأوروبي وتركيا، كخطوة على الطريق لإنضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي.

وعلى الله قصد السبيل وبه نستعين.

دكتور/ ناجي هدهود

نبذة جغرافية:

حيث إن البحث يتطرق إلى المشروعات الزراعية وبالتالي المشروعات الصناعية التي تسعى حكومة تركيا إقامتها على مياه الأنهار التي تنبع من هضبة الأناضول وتصب في بحار أريحة ومرمرة. والبحر المتوسط، أو تلك التي تجري من هضبة الأناضول إلى أراضي كل من سوريا والعراق وتصب في الخيلج العربي، وأعني بها نهري الفرات ودجلة، لذلك كان لزاماً علينا ذكر نبذة جغرافية عن تركيا بصفة عامة، وجنوب شرق تركيا بصفة خاصة.

وتركيا الحديثة وريثة الدولة العثمانية التي قامت في هضبة الأناضول (شبه جزيرة آسيا الصغرى) عام ١٢٩٩م، على يد قبيلة تركية من الأتراك السلاحقة الذين ينتمون إلى الغز والذين كان موطنهم يمتد من حدود الصين حتى شواطئ بحر الخزر (قزوين)، وكانوا على اتصال مستمر ببلاد ما وراء النهر خاصة مناطق التركستان الشرقية.

ويرجع تاريخ الأتراك الذين سكنوا هضبة الأناضول إلى أوائل القرن السابع الهجري الموافق لأوائل القرن الثالث عشر الميلادي عندما هاجرت مجموعة من أتراك وسط آسيا هرباً من الفظائع التي ارتكبها جنكيز خان وأولاده ضد المسلمين هناك، وسارت هذه المجموعة حتى وصلت إلى شبه جزيرة آسيا

الصغرى بزعامة «أرطفرل» الذي انضم إلى أحد فريقين من سكان الأناضول يتقاتلان وعندما انتصر الفريق الذي ناصره «أرطفول» ورجاله منحهم السلطان السلجوقي المنتصر وكان سلطاناً علي قونية - أرضاً خصبة متسعة تقع على الضفة اليسرى لنهر «سقاريا» وسفوح جبال أرمينيا وهضابها على حدود الإمبراطورية البيزنطية، ثم تعين أمريا على مقاطعة «اسكي شهر».

وترجع تسمية الإمارة التركية هذه باسم عثمان -الإمارة العثمانية- نسبة إلى عثمان بن أرطفرل الذي صد غزو مغوليا على شبه جزيرة آسيا الصغرى بعد أن هرب من آمامهم آخر سلاطين السلاجقة حيث قتل في بلاط إمبراطور الدولة البزنطية، ومن ثم بسط عثمان سلطانه على الإمارات التركية الأخرى في آسيا الصغرى، واتخذ من الإجراءات ما جعل إمارته كياناً سياسياً باسم الدولة العثمانية عام ١٢٩٩م.

واتسعت الدولة العثمانية بحيث ضمت كل شبه جزيرة آسيا الصغرى وأسقطت الدولة البيزنطية واستولت على عاصمتها القسطنطينية عام ١٤٥٣م، وفتحت وضمت البلاد العربية في الشام والعراق ومصر وشمال أفريقيا في مدة ٦٠ عاماً من ١٥١٤م إلى ١٥٧٤م، ووقفت جيوشها أمام أسوار فيينا عاصمة النمسا عام ١٥٢٦م.

ولكن هذه الامبراطورية المترامية الأطراف أصابها الضعف اعتباراً من القرن الثامن عشر بظهور حركات استقلال وانفصال في كثير من ولايتها. ولذلك عندما اشتركت في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م إلى جانب ألمانيا انهزمت مع هزيمة الألمان على يد دول الوفاق بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، ومن ثم تقسمت ممتلكاتها بين استقلال وانتداب حتى خرج من زعماء تركيا مصطفى كمال الذي سمي أتاتورك، أي أبو الأتراك وأسقط الحكم العثماني والخلافة الإسلامية وأقام حكماً علمانياً باسم الجمهورية.

وتركيا الحديثة تشترك في الحدود مع كل من روسيا الاتحادية وأذربيجان، وسوريا والعراق، وبلغاريا ورومانيا واليونان، وتتحكم في مضيقي البسفور

والدردنيل الموصلان بين البحر الأسود والبحر المتوسط.

الأكراد الأتراك في جنوب شرق تركيا

تمهيد:

يعد الأكراد شعباً متميز الملامح والخصائص والتاريخ واللغة والثقافة يدين غالبيتهم بالإسلام السني، وقضيتهم القومية هي إقامة دولة كردية في منطقة كردستان(١). ويجمع المؤرخون على أن القضية الكردية بدأت في الظهور على مسرح الأحداث العالمية بشكل واضح بعد أن أعلن الرئيس الأمريكي ويلسون مبادئه المعروفة، والتي تضمنت حق الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية في تقرير مصيرها، ففي عام ١٩٢٠م. وقع سلطان تركيا معاهدة سيفر الشهيرة والتي نصت في مادتها رقم «٦٢» على بلورة مشروع للحكم الذاتي المحلي للمناطق التي تقطنها أغلبية كردية والتي تقع شرقي العراق وشمال حدود سوريا والعراق مع تركيا ونصت المادة «٦٢» أيضاً على ضرورة موافقة الحكومة التركية على ما يتم التوصل إليه في هذا الشأن، وأنه إذا حدث خلال عام من التصديق على الاتفاقية أن تقدم الأكراد القاطنين المنطقة التي حددتها المادة «٦٢» إلى عصبة الأمم المتحدة بطلب الاستقلال عن تركيا، وف حالة اعتراف عصبة الأمم بأن الأكراد قادرون على الاستقلال، يمنحون الاستقلال، فإن تركيا تتعهد بقبول هذه التوصية، وتتنازل عن جميع حقوقها وامتيازاتها فيها غير أن نجاح الحركة الكمالية في تركيا، وما أعقبها من تطورات حال دون وضع المعاهدة المذكورة موضع التطبيق ورفض الأتراك تنفيذها، ووافق الحلفاء على استبدالها بمعاهدة لوزان(٢).

وتقع كردستان وطن الشعب الكردي في جنوب غرب قارة آسيا حيث يحدها خوزستان في إيران، فجبل حمرتي في العراق، وحتى ساحل الإسكندرونة، حيث يربطهما بحدودها العربية مدينتي أضنة وسيواس في الأناضول(١).

الأكراد والأتراك:

منطقة كردستان مقسمة الآن بين خمس دول تركيا وإيران والعراق وسوريا والاتحاد السوفيتي السابق (أرمينيا وأذربيجان) والجزء الأكبر من أراضي كردستان كان من نصيب تركيا بعد تفتت العالم الإسلامي في أعقاب الحرب العالمية الأولى، ويطلق عليه غرب كردستان ويقع في شرق وجنوب شرق تركيا، أما العراق فيسيطر على جنوب كردستان بما يسمى شمال العراق، أما إيران فتسيطر على شرق كردستان بما يسمى جنوب غرب إيران، وسوريا تسيطر على جزء صغير من جنوب غربها. ويسيطر الاتحاد السوفيتي (السابق) هو الآخر على جزء من أقصى شمالها(١).

يتراوح عدد الأكراد وفقاً لأغلب التقديرات ما بين ٣٠ مليون و٣٨ مليون نسمة، ويتوزعون على أربع دول من أكثر دول منطقة الشرق الأوسط تشبثاً بكياناتها القومية، وهي تركيا (١٢-١٦ مليوناً) وإيران (٦-٨ مليون) والعراق (٤-٥ ملايين) وسوريا (١,٥ مليون) هذا إلى جانب حوالي عشرة ملايين يعيشون ف عواصم هذه الدول ومدنها الكبرى على سبيل المثال ثلاثة ملايين في استانبول ومليون في طهران ونصف مليون في دمشق وحلب ويعني ذلك أن الغالبية الساحقة من الأكراد تعيش في المنطقة المنسوبة إليهم والتي كان يطلق عليها كردستان، والتي تقدر مساحتها ما بين ٤٣٠ و ٥٣٠ ألف كيلو متر مربع.

والواقع إذا ما نظرنا إلى المنطقة الكردية نجد لها حدود جغرافية محددة. كما أنها لا تمتلك حدوداً سياسية دولية(٢).

ويعاني الأكراد من الانقسامات الداخلية التي نجد أساسها في الروح القبلية أو التنظيم القبلي العشائري، وهكذا وإلى جانب الحدود التي فرضت على الأكراد في إقليم كردستان، والتي وزعتهم على أربع دول، وإمعاناً في الإنقسام أضاف الأكراد حدوداً أخرى فيما بينهم مضت مع التقسيم القبلي،

ويعد الاقتتال بين الأكراد عموماً الملمح الأساسي الواضح في تاريخهم الطويل.

هذا يؤدي بنا لإدراك التداعيات السلبية لمحاولة كل طرف به أقلية كردية، أو حتى من قبل بعض القوى الخارجية لاستغلال القضية الكردية بأكملها أو داخل بلد معين أو توظيف طرف كردي بذاته لتسوية حسابات سياسية مع الطرف الآخر، وهذا يقودنا إلى أن هذا التلاعب الأكراد وقضيتهم انعكس سلباً على مصالح الأطراف الإقليمية التي قامت بهذا التلاعب.

وتمثل المشكلة الكردية عنصر قلق سياسي للدول المعنية في المنطقة، فتركيا ترفض جاهدة إقامة أي كيان مستقل للأكراد في أراضيها.

وهكذا تجتمع دول المنطقة، رغم ما بينها من خلافات وتباينات سياسية على محاصرة المشكلة الكردية، ورفض الإقرار بحق تقرير المصير للمجتمعات الكردية التي تعيش في أراضي كل منها.

الحركة السياسية الكردية في تركيا وأبعادها:

يشير المعنى العام لكلمة حركة إلى سلسلة أفعال، والجهود التي يقوم بها عدد من الأشخاص من أجل تحقيق هدف معين.

تسعى الحركات الكردية إلى تحديد هويتها العرقية ومطالبها بأساليب سياسية مختلفة في كل من دول المنطقة التي تشملها الأكراد في تاريخهم وفي كل المناطق التي عاشوا فيها مهمشين اقتصادياً، ولذلك فإن مستوى الخدمات الاجتماعية ومستوى التنمية الاقتصادية في الأقاليم التي يعيشون فيها محدود جداً ومن هنا يظهر عامل القومية الكردية الحديثة وهو أوضح ما يكون في تركيا لأن تركيا أضافت بعداً آخر. وهو الفلسفة الكمالية الذي أنكر تماماً شيئاً يسمى بالقومية الكردية، واعتبر أن هناك قومية واحدة هي القومية التركية، بعكس الحال في الدول الأخرى مثل العراق حيث حدث نوع من الاعتراف الثقافي بالأكراد.

إن حركة عبدالله أوجلان ليست هي الحركة الأولى، لكن هذه هي الحركة

الخامسة التي سبقتها حركات وموجات مستمرة قام بها أكراد تركيا، من أجل تكوين دولة مستقلة تشملهم منذ عام ١٨٨٠م مع تصاعد الحركة القومية بصفة عامة في الأمبراطورية العثمانية، وتمثل ذلك في أول ثورة قام بها الأكراد في عام ١٨٨٠م. والتي قام بها الشيخ عبيد الله مطالباً بدولة مستقلة للأكراد، وذلك تأثراً بحركة القومية العربية التي بدأت في التبلور آنذاك وتأثراً بالقوميات التي بدأت آنذاك، وتأثراً بالقوميات الأوروبية، لذلك فالأكراد لم يكونوا استثناء من هذه القاعدة، ومن ثم ومع التهميش الاقتصادي والتشتت كانت الثورات، حتى ثورة الشيخ سيد رضا في منطقة «ديرسيم» وهذه الثورة انتشرت انتشاراً كبيراً، ولكن قبض عليه عام ١٩٣٧م، وأعدم، لتنتهي حقبة مهمة من حقب الاحتجاج الكردي على تركيا.. وبعها بدأت حقبة الصمت، ولم تبدأ إرهاصات التحول إلا عام ١٩٥٠م حيث شهدت تركيا أول إنتخابات تعددية بعد الفترة الكمالية.

القضية الكردية:

بدأت القضية الكردية في الظهور من جديد حيث أعترف «عدنان مندريس» رئيس الوزراء التركي، بالأكراد وحقوقهم وسمح لهم بممارسة بعض الحقوق الثقافية، ولكن ما لبث الأمر أن واجه نكسة أخرى عام ١٩٦٠م. عندما قام الجيش بالانقلاب الشهير الذي أدى إلى سقوط حكومة "مندريس"، وكان من بين أسباب هذا الإنقلاب عدم موافقة الجيش التركي على حقوق الأكراد، وبعدها أعدم مندريس ليغلق الفصل الذي كان من الممكن أن يكون فرصة لولا أنها ضاعت.

وفي السبعينات عاد القمع وسحبت الحقوق الثقافية التي كانت ممنوحة لهم، مما أدى إلى زيادة راديكالية الأكراد، فبدأوا في تنظيم حركات سياسية للدفاع عن حقوقهم، ولعبت الحرب الباردة دوراً في هذه المسألة، خصوصاً أن الاتحاد السوفيتي سابقاً والمنظمات اليسارية لعبت دوراً في دعم أكراد تركيا كجزء من ردهم على تحالف تركيا مع حلف الأطلنطي.

في هذه الفترة ظهر حزب العمال الكردستاني في عام ١٩٧٤م على يد عبدالله أوجلان الذي شكل عدداً من الخلايا التنظيمية العسكرية في المناطق الريفية في جنوب شرق الأناضول كما تمكن من فتح عدد من المكاتب التابعة له في بعض العواصم العالمية «بلغاريا - قبرص - سوريا».

ورغم أن السلطات التركية تمكنت من تصفية خلايا الحزب في أعقاب انقلاب سبتمبر ١٩٨٠م، إلا أن الحزب عاد ليمارس نشاطه العسكري على نطاق واسع في أغسطس ١٩٨٤م وتصاعدت حدة عمليات العنف التي يمارسها حزب العمال الكردستاني ضد الدولة التركية وامتد هذا العنف ليشتمل أهدافاً سياحية، وهو ما هدد استقرار تركيا ووحدتها وأصبحت الحرب التي تخوضها الدولة التركية ضد حزب العمال الكردي تشغل حوالي ٣٠٪ من أفراد الجيش التركي، وتستهلك قدراً كبيراً من موازنة الدولة. وقام الحزب بعدة عمليات اقتحام سفارات ومكاتب تركية في عدة مدن أوروبية في فرنسا وألمانيا وسويسرا وكانت مطالب المقتحمين في التحدث إلى وسائل الإعلام عن وضعهم في تركيا. وقد ساهمت هذه الأعمال في إثارة قضية حقوق الإنسان في تركيا.

ومنذ أن أندلعت المواجهة العسكرية بين القوات التركية وحزب العمال الكردي في ١٥ أغسطس ١٩٨٤م راح ضحيتها حتى نهاية عام ١٩٩٢م ما يقرب من سبعة آلاف مواطن، وهو رقم مرتفع بالتأكيد إلا أن عام ١٩٩٣م شهد تحولاً كبيراً في عدد الضحايا بلغ ٤١٨٠ قتيلاً منهم ١٩٤٤ من مقاتلي الحزب و١٥١١ مدنياً و ٧٢٥ من قوات الأمنز وقدر تقرير أعدته الاستخبارات التركية أن ٣٧٥ ألفاً من سكان المناطق الكردية يقدمون دعماً لحزب العمال الكردستاني، الأمر الذي يجعل سيطرته شبه كاملة على الطرق في هذا المناطق.

وتكمن المعضلة الكردية في تركيا في أن العديد من زعماء القوى السياسية وقيادات الجيش يرفضون بحزم الاعتراف بالهوية التركية والسماح للأكراد

باستخدام لغتهم في التعليم وَف بث برامج إذاعية وتليفزيونية، وإصدار صحف خاصة بهم، لاعتبارهم ذلك مقدمة لإنفصال كردي، حيث يرون أن حزب العمال الكردستاني حركة سياسية انفصالية، بل وهناك من رجال السياسة الأتراك من يعترفون بأن سوء الحالة الاقتصادية وتردي الخدمات في منطقة جنوب شرق الأناضول هي أحد أهم مصادر التمرد الكردي. كما يتضح من الجدول الآتي:

(هنا جدول)

ويتضح من الجدول السابق أن الفترة من ١٩٩٠-١٩٩١م بلغت استثمارات تركيا في الجنوب الشرقي ذروتها.

حيث يبين الجدول التالي النسبة المئوية لتوزيع الاستثمارات في الأقاليم في تركيا من ٨٩-٩٣ (٢)

(هنا جدول)

ومع تفاقم المواجهات واستمرارها، وانتشار القلاقل والاضطرابات حاولت السلطة التركية احتواء المشكلة عبر سلسلة إجراءات ذات طابع أمني ومشاريع اقتصادية في مناطق جنوب شرق الأناضول حيث يغلب الوجود الكردي.

وانطلاقاً من أن التخلف الاقتصادي والاجتماعي هو أحد العوامل الرئيسية لتصاعد أعمال الإنفصال الكردي جاء مشروع الـ "غاب" الذي سوف نشير إليه لاحقاً، وتشير الأرقام إلى أن نسبة الإنفاق على الاستثمارات تبعاً لعدد السكان في كل إقليم تبلغ أقصاها في مناطق الجنوب الشرقي من تركيا، وذلك من عامي ١٩٩٠، ١٩٩١م ويتضح من الجدولين السابقين أنه قد احتل الجنوب الشرقي المركز الثاني من حيث حجم الاستثمارات عام ١٩٩٠ بعد إقليم مرمرة الذي يحتكر القسم الأعظم من استثمارات الدولة وبلغت نسبة الاستمارات في الجنوب الشرقي ٢٢,٧ ف المئة عام ١٩٩٠م. من مجموع

استثمارات بعد إقليم مرمرة (٣٣,٦ في المئة) ومع أن النسبة انخفضت إلى النصف عام ١٩٩١م، وبلغت في الجنوب الشرقي ١٢,٦ في المئة فإن الانخفاض الحاد ظهر عامي ١٩٩٢ و١٩٩٣م، إذ بلغت نسبة الاستثمارات في الجنوب الشرقي على التوالي ٢,٣ ، ٣,٥ في المئة، ويمكن أن يعزي سبب إرتفاع النسبة عامي ١٩٩٠ و ١٩٩١م إلى تكثيف عمليات البناء في سد أتاتورك فيما شهد عاما ١٩٩٢ و١٩٩٣م تزايد حدة الصراع المسلح بين المقاتلين الأكراد والجيش التركي، الذي استنزف جزءاً كبيراً من الإنفاق المقرر للجنوب الشرقي ومقابل الانخفاض الكبير في الاستثمارات في الجنوب الشرقي، كانت نسبة الاستثمارات ترتفع بصورة كبيرة في مناطق الغرب التركي عام ١٩٩٢م، زادت النسبة في منطقة مرمرة ٧٠ في المئة عما كانت عليه عام ١٩٩١م.

إضافة إلى اتساع نطاق المواجهات بين الجيش التركي وحزب العمال الكردستاني يرتبط تراجع الاستثمارات في الجنوب الشرقي بتفاقم الأزمة الاقتصادية التي نتجت عن حرب الخليج الثانية وخسارة تركيا مليارات الدولارات إثر فرض الحظر الاقتصادي الدولي على العراق، وإغلاق خط أنابيب كركوك، برمورطاليق. وانقطاع التبادل التجاري بين جنوب شرق تركيا والعراق، وعدم التزام الدول المتحالفة تعويض تركيا خسائرها في حرب الخليج والتي قدرتها «تانسيو تشيللر» في خريف ١٩٩٣م. بـ ١٦ مليار دولار، وكان قرار الحكومة التركية المضي قدماً في تعزيز الحل العسكري للمشكلة الكردية رغم تأثيره الكبير على وضع الاقتصاد التركي ومشاريع الاستثمار، ولاسيما تلك المتعلقة بمشروع الـ "الغاب" وفي مقاومة تركيا للحركة الكردية تتكبد مالا يقل عن ثمانية مليارات دولار سنوياً، وأوقع النزاع أكثر من ١٣٠٠٠ قتيلاً في الفترة من ١٩٨٤-١٩٩٥م.

ويعادل مجموع الإنفاق الحربي لعام ١٩٩٣م، والذي يقارب الثمانية مليارات دولار نصف موازنة مشروع الـ «غاب» أو نصف خسائر تركيا من حرب

الخليج الثانية أو ضعف الإيرادات السياحية لعام ١٩٩٢م، أو ربع الإنتاج الصناعي أو نصف مجموع الصادرات. وتركت الاشتباكات بين الجيش التركي وحزب العمال الكردستاني، وإنعدام الأمن وقطع الطرق في الجنوب الشرقي والهجرات القسرية المتواصلة من المناطق لكردية إلى الغرب التركي، أثرها البالغ في مجمل النشاط الاقتصادي في مناطق الجنوب الشرقي، وأوصلتها إلى حافة الشلل، فتوقفت الاستثمارات وأغلقت مراكز البيع والتوزيع أبوابها، كما أغلق العديد من الفروع المصرفية، وتوقف التحصيل بالسندات أو الشيكات، وأضطرأصحاب المصانع إما إلى بيعها إو إقفالها نهائياً. وتوقفت القروض الحكومية مما شل سياسة تشجيع الاستثمار.

انعكاس المشكلة الكردية على الصعيدين الإقليمي والدولي:

لم تكن العلاقات العسكرية بي تركيا وإسرائيل بدون مقدمات، فالواقع أن الإسرائيليين خضعوا لعدة عوامل أدت بدورها إلى التغيير العميق في سياستهم تجاه تركيا، فأولاً إن إسرائيل طالما امتنعت عن معارضة ما يسمى بالإرهاب الكردي رغم تكرار إلتماسات تركيا لها في هذا السبيل، فكانت إسرائيل تستند في سياستها هذه، على رغبتها في عدم فتح جبهة إرهابية جديدة ضدها، بوقوفها ضد حزب العمال الكردستاني. ولذلك كانت هناك مشاعر عميقة في إسرائيل لتأييد الأكراد نابعة من الدعم المكثف للنضال الكردي في شمال العراق في الستينات وفي السبعينات ولقد ساهم إتفاق التعاون بين تركيا وإسرائيل في تحول الجهود الرامية لمناهضة الإرهاب الكردي إلى اتفاق أمني بين البلدين، بل ومساندة تركيا دون تردد في صراعها ضد حزب العمال الكردستاني، ولم يكتف نيتانياهو رئيس وزراء إسرائيل الأسبق بإدانة الإرهاب الكردي، بل أقدم على خطوة أخرى وأعلن أنه لن يكون هناك سلام مع سوريا إلا إذا أنهت دعمها لحزب العمال الكردستاني.

والاتفاقيات التركية، الإسرائيلية سواء في مجال الاستخبارات وتبادل المعلومات أو في مجال التدريب وفتح الأجواء التركية أمام الطائرات الإسرائيلية، وإحكام القبضة الإسرائيلية على سوريا (بحراً وجواً وبراً) هدفها كما هو واضح محاصرة سوريا لإجبارها على السلام بالشروط الإسرائيلية إلى جانب وضع سوريا تحت المراقبة، وتعظيم دور تركيا واسرائيل في مشروعات الشرق الأوسط الجديد، وهي بالتأكيد أداة ضغط جديدة في يد تركيا للتصدي لأية محاولات سورية عراقية للمطالبة بتقاسم مياه نهري الفرات ودجلة وهكذا وقع الضغط المزدوج على سوريا في صيف ١٩٩٨م وصولاً لإعلان تركيا حشد قواتها على الحدود السورية استعداداً لخوض حرب مدمرة مع سوريا، تبعها إبرام الاتفاقات الأمنية بين تركيا وسوريا وانتهي بالاتفاق الذي صار يعرف باتفاق أضنة مع وقف نشاط حزب العمال الكردستاني، وطرد أوجلان ثم مطاردته حتى تم القبض عليه وترحيله إلى تركيا.

ولا شك أن عملية أوجلان سوف تتدرج باعتبارها واحدة من أكثر العمليات السرية للمخابرات إثارة في منطقة الشرق الأوسط في أواخر القرن العشرين وإنها عملية تعكس التحالفات الخفية لقوى تلاقت مصالحها في لحظة معينة عند إنجاز هدف معين محدد، وعملية اختطاف أوجلان لتدل على محنة شعب، وهوية يصعب إنكارها، أي الشعب الكردي والقومية الكردية ولم تكن صدفة تلك المشاهد العاطفية المؤثرة لآلاف الأكراد الذين تظاهروا في كل عواصم العالم الكبرى غضباً واحتجاجاً على اختطاف زعيمهم الذي يعتبرونه رمز نضالهم التحرري، ومع ذلك لم تقل عن ذلك دلالة مظاهر الفرح والفخر والشجن.. لدى ألوف الأتراك الذين هللوا لاعتقال أوجلان ونادوا بانفعال وحماس لمحاكمته وإعدامه باعتباره إرهابياً قاتلاً يستند كل هذا السلوك التركي إلى عامل واحد هو لب التفكير سواء الأكراد أم الأتراك هذا العامل الواحد يتلخص في كلمة واحدة تشمل كل ما

يصدره الأكراد من أفعال وحركات قومية، هذه الكلمة هي (أتاتورك) مؤسس الجمهورية التركية، وضع مبادئ التزمت بها القوات المسلحة التركية وكل المؤسسات التركية هي مفهوم أتاتورك في حدود التراب التركي والمبادئ الستة كأيدولوجية للحكم في تركيا وهي:

١- النظام الجمهوري.

٢- الوطنية المتجسدة بقومية الشعب التركي كأمة واحدة متميزة.

٣- علمانية الدولة.

٤- ديمقراطية التمثيل الشعبي حسب المفهوم الأوروبي.

٥- نظام الحرية والمراقبة في اقتصاد الدولة ومراقبة القطاع الخاص وإيقافه إذا أخل بالصالح العام.

٦- الثورية والتطور في التكنولوجيا، ومناحي الحياة للقضاء على الجهل والفقر والتخلف.

فلقد أوضح أتاتورك حدود تركيا بعد نجاح حرب الاستقلال: أن وحدة الوطن التركي الذي حارب من أجله المحاربون لا ترضى بالتجزئة، وأن وحدة الوطن الجديد يودعه الزعيم أمانه في عنق الشعب. وبالتالي فالقوات المسلحة تقف ضد حركة الحزب الكردستاني لأنه يطالب بفصل الجنوب الشرقي من تركيا، وإقامة دولة كردية عليه. وحتى عندما تراجع أوجلان عن فكرة الدولة الكردية المستقلة ونادى بحكم ذاتي لكردستان تركيا. فهمت الإدارة التركية أن هذا ضد مبادئ أتاتورك ومقدمة للانفصال الكامل فعادته. واستطاعت تركيا أن تحقق ما تصبوا إليه بالقبض على زعيم الحزب.

مشروع الـ غاب:

يعيش ثلث سكان تركيا البالغ عددهم ٧٠ مليون نسمة (حسب إحصاء عام ٢٠٠٠م) في المناطق الريفية ويساهم إنتاجها الزراعي بنسبة ٢٣٪ من ناتجها المحلي لعام ١٩٩٤م، وتقدر مساحة الأراضي الصالحة للزراعة بنحو

٢٥٠٧٣٠ كم٢ أي ٣٢٪ من مساحتها الإجمالية، ويبلغ معدل التنمية الزراعية بحدود ٤,٥٪، وتعتمد أغلب زراعتها على الأمطار بينما تشغل الغابات مساحات قدرها ١٨,٥٪ من مساحتها الكلية وتبلغ مساحة المراعي ٥٠,١٪. وقد خصصت تركيا ٥٠٪ من أراضيها الزراعية لزراعة الحبوب وخاصة القمح الذي يحتل ٦٠٪ من معظم أراضي هضبة الأناضول حيث تعتمد في زراعتها على مياه الأمطار، وبنسبة أقل على الري للأراضي الواقعة عند مجاري وأحواض الأنهار، والتي تتبع من:

١- سواحل البحر الأسود: حيث يوجد أنهار قزل، إرمك وسفاريا.

٢- مرتفعات اليتيك: حيث توجد عدة أنهار منها بنيشي، قيزل، وكلكيت.

٣- مرتفعات بحر أريجة: حيث توجد عدة أنهار هي مندريسي، جبدير، وسيمر.

٤- سواحل بحر مرمرة: حيث توجد عدة أنهار منها ساكاريا الأدنى.

٥- مرتفعات طوروس في لواء الاسكندرونة: حيث توجد أنهار أمانتي وكاجون.

٦- هضبة الأناضول: حيث نهر منيروس.

وتعد أغلب هذه الأنهار ذات جريان طوال العام وتصب معظم مياهها في البحار. ولم تقم تركيا عليها منشآت ذات قيمة تخزينية عالية تتناسب وطاقة هذه الأنهار. حيث يبلغ إجمالي الموارد المائية السطحية والينابيع ١٨٦ مليار/م٣ سنوياً لا يستغل منها سوى ٢٥,٦ مليون /م٣ والباقي يذهب هباء.. ويشكل نهر الفرات ٦٥٪ من مجمل الموارد المائية السطحية، وتقدر المياه الجوفية بنحو ١١,٦ مليار / م٣ لا يستغل منها سوى ٥,٦ مليار /م٣.

المشاريع المائية التركية:

تمثل المياه مكان الصدراة في العلاقات بين دول المنطقة (الشرق الأوسط) والمنظمات الدولية نظراً لأهمية المياه كمورد طبيعي وعلاقاته المباشرة مع أنشطة الإنسان واستخداماته بالإضافة إلى الدور الكبير الذي تلعبه المياه

في تلبية وتأمين المتطلبات الحيوية للإنسان وتحقيق الأمن الغذائي.

بدأت تركيا في الاستثمار الاقتصادي والاجتماعي الموسع لمياه الفرات، فقد أقامت مجموعة كبيرة من السدود المتتالية على مجرى النهر حيث أصبحت تتحكم في مجمل مياهه ضمن أراضيها في ظل مشروع جنوب شرق الأناضول الـ GAP.

سد كيان:

يضم سداً ومحطة كهرومائية، بدأ العمل به في أواخر عام ١٩٦٥م وانتهى بناؤه عام ١٩٧٤م بتكلفة قدرها تقريباً (٢,٧ مليون دولار أمريكي) وتبلغ سعته التخزينية القصوى ٣٠ مليار متر مكعب ومساحة بحيرته ٦٧٥كم٢ وقدرة محطته الكهرومائية ١٢٤٠ميغاوات، تنتج طاقة قدرها ٥,٨٧٠ مليار وات/ساعة، وتبعد عن الحدود السورية بنحو ٢٣ كيلو متر.

مشروع جنوب شرق الأناضول الـ GAP:

إن مشروع الـ غاب مشروع اقتصادي واجتماعي وثقافي متكامل لأنه سوف يعمل على تطوير المنطقة وتحديث الزراعة فيها، ومن هنا فإن مشروع جنوب شرقي تركيا يعد من بين المشاريع الإنمائية الكبرى في العالم كما أنه يؤلف المشروع الأول والأضخم في تركيا لأنه سيحقق التوازن المفقود بين منطقة جنوب شرقي تركيا ومناطق تركيا الأكثر تقدماً وتطوراً كما أنه يرفع من مستوى الرفاهية في تلك المنطقة.

ونظراً لأهمية هذا المشروع بالنسبة للمزايا التي سيحققها لتركيا يتعين أن نلقي الضوء عنه ببعض التفاصيل:

تشمل منطقة مشروع الـ GAPعدة ولايات منها (غازي عنتاب، آدي يمان، أورفة، ياربكر، ماردين، وتبلغ المساحة التي سيشملها المشروع بحدود ٧٤ ألف كم٢ وعدد سكان منطقة مشروع الـ GAP ما يعادل تقريباً ٩,٥٪ من إجمالي سكان تركيا.

بدأ العمل في أوائل السبعينات لهذا المشروع المتكامل الذي يضم ١٣ مشروعاً

كبيراً للري وتوليد الطاقة الكهربائية، سبعة منها في حوض الفرات والستة الباقية في حوض نهر دجلة حيث سيقام ٢١ سداً على نهري دجلة والفرات و١٧ محطة لتوليد الطاقة الكهربائية، وتنص الخطة على إكمال هذا المشروع على مراحل.

مشاريع الـ GAP:

١- سد أتاتورك:

وهو الحلقة المركزية في مشروع الـ GAPوأهم منشآته وأضخمها. بدأت الأعمال المساحية لاختيار موقع السد عام ١٩٦٤م، تم اختيار موقع السد عند دخوله الممر الجبلي وليس على المجرى نفسه بسبب عدم صلاحية التربة من الناحية البيولوجية، وقد تم تصميم السد بحيث يتحمل هزة أرضية قدرها ٨ على مقياس ريختر.

وقد وضع حجر الأساس له عام ١٩٨٠م ودشن في الرابع والعشرين من شهر يوليو سنة ١٩٩٢م مع المحطة الكهربائية التابعة له وقد حضر حفل التدشين مسئولين من ٢٩ دولة فيها سوريا والكويت والبحرين والأردن وعمان إضافة إلى نحو مئة دبلوماسي وجميع أطراف الطبقة السياسية الحاكمة والمعارضة في تركيا.

ويقع سد أتاتورك نهر الفرات على بعد ٦٢كم من مدينة شانلي أورفة بوروفا وعلى بعد ١٣٠ كم من الحدود السورية (بلدة عين العرب) وهو أكبر خزان مائي مقام على نهر الفرات، وثالث أكبر سد في العالم من حيث حجم قاعدته التي تبلغ ٨٤,٥ مليون م٣ بعد (سد كاربيلا في الباكستان، قاعدته ١٤٩,٩٦١ مليون متر مكعب وسد نورت بيك في الولايات المتحدة الأمريكية قاعدته ٩٢ مليون متر مكعب) وتاسع سد في العالم من حيث الارتفاع، وفي المرتبة الخامسة عشر من حيث حجم بحيرة السد، وفي المرتبة الثامنة عشرة لجهة حجم إنتاج الطاقة الكهربائية.

وقد أنفق على السد حتى نهاية عام ١٩٩١م مبلغ ١١ تريليون و٣٠٠ مليار

ليرة تركية وسيتطلب إنفاق بضعة تريليونات أخرى لأنهاء مختلف أقسامه، وقد افتتح سد أتاتورك بتأخير بلغ نحو السنة، لذلك تأخر البدء في إنتاج الطاقة منه لعدم وصول المياه إلى بحيرته إلى منسوب كاف لعملية التوليد.

بلغ عدد العمال الذين شاركوا في بناء السد عام ١٩٨٨م نحو ٧٥٣١ عاملاً، ومع اقتراب إتمام الأعمال فيه تناقص العدد إلى ٢٠٦٣ عاملاً، وقد سقط في أثناء فترة تشييده ٤٨ قتيلاً من عماله منهم ٢٣ عاملاً خلال حفر الأنفاق، وذلك وفقاً للأرقام التي أعلنها مدير مشروع أنفاق شانلي أورفه أرنير يلماز.

احتاج حائط السد إلى ٨٥ مليون متر مكعب من الأسمنت المسلح، وللسد ست بوابات رئيسية بوابة فولاذية أبعادها ٢٩×١٧ متراً واثنتان فرعيتان وللسد مفيض من الجهة اليسرى ذو مجرى توجيهي جانبي طوله ١٢٥٤متراً مجهز بمنحدر سقوط وحوضي تهدئه من الأسمنت المسلح، ويبلغ تصريف المفيض الكازلي ١٧ألف متر مكعب وتبلغ استطاعة تفريغه ١٦٨٠٠ متراً مكعباً في الثانية وله ثلاثة أنفاق أغلقت على التوالي أعوام (١٩٨٨-١٩٨٩، ١٩٩٠م) وتم تحويل منافذ الأنفاق إلى ثماني بوابات لتغذية ثماني أقنية بالمياه.

وتنتج المحطة الكهربائية التابعة للسد ١٤٠٠ مغاوات، أي ثلث الطاقة التي يتوقع أن ينتجها مشروع GAP ويبلغ عدد المولدات التوربينيه التابع للمحطة ثمانية، قوة الواحد منها ٣٠٠ مغاوات، وستبلغ طاقة إنتاج الكهرباء من السد سنوياً ٨,٩ مليارات كيلو وات، أما الوحدتان اللتان دشنتا أخيراً فتبلغ طاقتهما ٢,٢ مليار كيلو وات سنوياً، وفي حالة العمل بكامل الطاقة، فهي ستنتج ١/٧٨ من مجموع الطاقة في تركيا.

وقد تم تركيب أول وحدة كهربائية عام ١٩٩٠م يليها سبع وحدات أخرى بفاصل زمني قدره ثلاثة أشهر بين كل منها، ودخلت أول مجموعة توليد للطاقة الكهربائية في حيز العمل عام ١٩٩٢م وأن منسوب التخزين اللازم

لتشغيلها في حدود ٥١٣ متر وبحجم تخزين مكافئ قدره ٢٩ مليار متر مكعب واحتاج الأمر إلى قطع مياه النهر لملء خزان سد أتاتورك.

ويبلغ إيراده السنوي ٢٦,٢ مليار متر مكعب ويهدف إلى إرواء مساحات واسعة شرق تركيا منها سهول ماردين والتي تقدر بنحو ٨٧٠ ألف هكتار في مناطق (شانلي أورفة، حران ماردين، جيلان، بيتار، سيفيريك وحلوان و ١٥٧ ألف هكتار في سهول حران قرب الحدود السورية وتم زراعتها في نهاية عام ١٩٩٢م.

أنفاق أورفة وهلفان:

تعد من أهم المنشآت التابعة لسد أتاتورك، بوشر العمل بهما في عام ١٩٨٧م وتم افتتاحهما في التاسع والعشرين من شهر يوليو سنة ١٩٩١م ويتعبران أكبر نفقين لنقل المياه في العالم وقدرت تكاليفهما بمبلغ ٧٣ مليون دولار أمريكي ويبلغ طول كل منهما ٢٨كم وقطر كل منهما ٧,٦٢ متراً، والتدفق في مجراهما يقدر بـ ٣٢٨متراً مكعباً في الثانية. بينما يبلغ منسوب المياه أسفل مدخل النفقين في بحيرة السد ٥١٥ متراً ومنسوب التشغيل يحتاج إلى ٥٢٥متراً، كما سيبلغ حجم التخزين المكافئ ٣٩ مليار متر مكعب في حين يكون منسوب المياه عند نهاية النفق ٤٩٨ متراً، ويبلغ معدل تدفق المياه في كل من النفقين ٣٢٨ متراً مكعب في الثانية باتجاه سهول حران وماردين، وستروي مياه النفقين ٧٣٠ ألف هكتار من أراضي شانلي أورفة بالقرب من الحدود السورية وسيزداد معدل الاستثمار لمياه نهر الفرات إلى حدود ٥٠٪ من وارداته السنوية.

أطلق على الأولى قناة أورفة وتقوم بنقل عشرة مليارات متر مكعب من المياه لغرض ري الأراضي الواقعة خارج حوض الفرات، والثانية قناة هلفان ستروي مساحة ٤٣٠ ألف هكتار.

٢- مشروع قرة قايا:

يضم سداً ومحطة كهرومائية ويبعد عن سد كيبان مسافة ١٦٦كم، أنجز عام

١٩٨٦م وسعته التخزينية ٩,٥٤ مليار /م٣ وطوله ١٨٠ متراً وارتفاعه ١٧٣ متراً ويبعد عن الحدود السورية ١٦٥كم. وتبلغ قوة المحطة ١٨٠٠ ميغاوات (تشمل على ست مجموعات توليد كل منها ٣٠٠ ميغاوات)، ويبلغ إنتاجها ٧,٥ مليار كيلو وات /ساعة سنوياً. وقد استعمل في بناء هيكل السد ٢ مليون متر مكعب من الخرسانة.

٣- مشروع الفرات الحدودي:

ويشتمل هذا المشروع سدين هما:

أ- سد بيره جيك: ويبعد عن الحدود السورية مسافة ٢٠ كم ويبلغ قدرة محطته الكهرومائية بحدود ٦٧٢ ميغاوات وبتكلفة ١,٣٢١ مليار دولار، وتم الإعلان عن المشروع عام ١٩٨٦م وبتاريخ العشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٩٥م وقعت رئيسة الوزراء التركية تانسو تشيللر اتفاقاً لتمويل إنشاء المشروع مع ٤٤ مصرفاً ومؤسسة عالمية لتنفيذ المشروع وبوشر العمل في عام ١٩٩٦م.

ب- سد قرقميش: ويبعد عن الحدود السورية مسافة ٣ كيلومترات ويحوي محطة كهرومائية ذات قدرة ١٨٠ ميغاوات، وينتج ٦٣٥ ميلون كيلووات/ ساعة سنوياً في المرحلة الأولى وفي المرحلة الثانية ستنخفض إلى ٤٧٠ مليون كيلووات/ ساعة سنوياً بعد تطوير الري في مرحلة لاحقة. وقد بوشر العمل به في مطلع عام ١٩٩٦م.

٤- مشروع سروج - بازايكي:

ويضم مشروعاً للري وهي يروي ١٤٦,٥٠٠ هكتاراً من الأراضي الزراعية.

٥- مشروع أدي يامان كاهتا:

يضم أربعة سدود تعمل على توفير المياه اللازمة لري ٧٧,٤٠٩ هكتار من الأراضي فضلاً عن محطاتها الكهربائية التي ستنتج ٥٠٩ ملايين كليووات/ساعة سنوياً من الكهرباء.

٦- مشروع أدي يامان - غوكصو - أرايان:

ويضم مشروعاً لري مساحة قدرها ٧١٥٩٨ هكتار وانتهى العمل به عام ١٩٩٦م.

٧- مشروع غازي عينتاب:

يضم ثلاثة سدود ومحطات لضخ المياه ويعمل على توفير ما يلزم من مياه لري ٨٩ ألف هكتار من الأراضي.

٨- مشروع دجلة - قرال قيري:

يضم سدي دجلة وقرال قيري ومحطتيهما الكهربائية: يروي السد الأول ١٢٦,٥٨٠ هكتاراً وتقدر الطاقة الانتاجية السنوية لمحطته ٢٩٨ مليون كيلووات/ ساعة سنوياً من الكهرباء، بينما تقدر الطاقة الإنتاجية السنوية لمحطة الآخر بـ ١٤٦ مليون كيلووات/ ساعة.

٩- مشروع باطمان:

يروي المشروع ٣٧٧٤٤ هكتاراً من الأراضي فيما تعمل المحطة بقوة قدرها ١٨٥ ميغاوات وتولد طاقة كهرومائية قدرها ٤٨٣ مليون كيلووات/ ساعة سنوياً.

١٠- مشروع باطمان - سيلوان:

وهو يروي ٢١٣,٠٠٠ هكتاراً من الأراضي الزراعية، أما محطته الكهربائية فتعمل بقوة ٣٠٠ ميغاوات وتقوم بتوليد طاقة كهربائية قدرها مليار و ٥٠٠ مليون كليووات/ ساعة في السنة.

١١- مشروع غرزان:

يروي ٦٠,٠٠٠ هكتار من الأراضي وتعمل محطته بقوة ٩٩٠ ميغاوات وتولد طاقة كهربائية قدرها ٣١٥ مليون كليووات/ ساعة في السنة.

١٢- مشروع إيليصو:

وهو يضم محطة كهرومائية تعمل بقوة مليار و ٣٠٠٠ مليون ميغاوات وتولد طاقة كهربائية قدرها ٣ مليارات و ٨٣٠ مليون كليووات/ ساعة في السنة.

١٣- مشروع جزره:
ويضم سداً ومحطة كهربائية تعمل بقوة ٢٤٠ ميغاوات وتولد طاقة كهربائية قدرها مليار و ١٠٨ ملايين كليووات/ ساعة في السنة. كما يلحظ المشروع ري سهل سيلوبي، بحيث تبلغ مساحة الأراضي المروية ٣٢٠٠٠ هكتار، إضافة إلى ري ٨٩,٠٠٠ هكتار من الأراضي بين نصيبين وجزره وإيديل.

جدول رقم (٣)
جدول رقم (٤)
جدول رقم (٥)
جدول رقم (٦)

وتبلغ تكاليف مشرتع غاب التركي حين انتهائه في عام ٢٠١٠م، حوالي ٣٤ مليار دولار، ويعني هذا كله بالنسبة إلى سوريا والعراق أن تدفق نهر الفرات سينخفض من ٢٨ مليار إلى ١٣م٣ أي إلى نقصان كمية ١٥ مليار م٣ بنسبة ٤٠٪ لسوريا و ٨٠٪ للعراق.
ومع ذلك صرح الرئيس التركي سليمان ديميريل:
أثناء زيارته للولايات المتحدة في ١٩٩٦/٣/٢٩م بأن سوريا تحصل على كميات مياه الفرات تفوق احتياجاتها عشرة أضعاف.
الطاقة:تعد الطاقة من أكثر مستلزمات المجتمعات الساعية إلى التنمية والرفاء والرخاء، ففي حالة التصنيع الاقتصادي وزيادة الإنتاج، فإن الحاجة تزداد إلى الطاقة، وإلا فإن الإزدهار الاقتصادي في البلد يصاب بالخلل، وقد أولت الحكومة التركية، ومنذ العام ١٩٨٠م، موضوع الطاقة أهمية كبيرة فقامت بإنشاء المحطات الهيدروكهربائية بحيث أن الاستثمارات المخصصة لهذا الحقل منذ عام ١٩٨٥ قد بلغت ٢٤ بالمئة من مجموع الاستثمارات الوطنية، كما أن قطاع الطاقة في تركيا هو القطاع الثاني الذي يقبل

الاستثمارات الأجنبية فيه، ومن هنا فإن تركيا تعد في مقدمة الدول التي تبحث عن بدائل الطاقة وتخصص الأموال الطائلة لذلك، وفي عام ١٩٨٥م، أنتجت مؤسسة الكهرباء التركية حوالى ٣٤,٢٠٠ج.و.هـ وارتفع إنتاجها عام ١٩٨٩م إلى حوالي ٣٩,٧٠٠ ج.و.هـ سنوياً مما أدى إلى تخفيض الطاقة المستوردة من روسيا وبلغاريا إلى تركيا، وكانت تبلغ ٦ بالمئة من الطاقة المستهلكة قبل عام ١٩٨٦م، بل إن تركيا أصبحت اعتباراً من العام ١٩٨٩م دولة مصدرة للطاقة الكهربائية رغم عدم إنجازها كل المحطات الهيدروكهربائية حيث الطاقة المتولدة من نهري دجلة والفرات يبلغ ١٢,٠٠٠ ج.د.هـ و ٣٥,٠٠٠ ج.د.هـ على التوالي وهي تشكل ١٠ بالمئة و ٣٠ بالمئة من الانتاج التركي العام للطاقة الكهربائية وعند إنجاز محطات التوليد كافة، تكون منطقة الـ غاب منتجة نسبة ٢٥ بالمئة من الطاقة الكهربائية و ٨٥ بالمئة من الطاقة الكهرومائية في تركيا، وعندها سيتم ربطها بالشبكة الرئيسية لتغطية حاجات تركيا وتصدير الفائض منها إلى الدول المجاورة.

وهكذا يتعلق الشق الثاني من مشروع غاب بتوليد الطاقة الكهربائية من المصادر المائية التركية وتصديرها إلى دول الجوار.

ويمكن تفسير حرص تركيا على سرعة الانتهاء من مشروع غاب رغم ضخامة تكلفته، وما يثيره من احتياجات من قبل سوريا والعراق، في ضوء إدراكها لما سيوفره لها من مزايا عديدة فضلاً عن توفير المياه اللازمة لري ما يقرب من اثنين مليون هكتار في مناطقها الجنوبية الشرقية بما يعادل ٢٠٪ من إجمالي المساحة الزراعية في تركيا عام ١٩٨٨م. وإنتاج طاقة كهربائية سنوياً بما يضاعف الإنتاج التركي الحالي من الطاقة وزيادة الإنتاج السمكي بالاستفادة من بحيرات المشروع ١,٤٩٧١ مليون طن سنوياً وتوفير نحو ١,٦ مليون فرصة عمل جديدة في هذه المناطق التي تعاني من إرتفاع معدل البطالة بين سكانها ومعظمهم من الأكراد، وتأمل تركيا أن تتحول بفضل هذا المشروع إلى سلة غذاء الشرق الأوسط باستخدام المياه

والزراعات المتقدمة والإنتاجات الصناعية والتجارة الدولية بما سيعزز مكانتها الإقليمية في المنطقة.

الآثار الاقتصادية لمشروعات المياه التركية في المجال الزراعي والصناعي

أولاً: المجال الزراعي:

تعد الزراعة أهم مورد م الموارد التي تعتمد على المياه التي تغطي ٧١٪ من سطح الكوكب الأرضي، فإنه للأسف لم تتم الاستفادة دائماً من هذا الكم الهائل في الزراعة، حيث تحصر المحيطات والقطبان المتجمدة أكثر من ٩٩٪ من إجمالي المياه لتبقي غير مستغلة أو يتعذر الوصول إليها. كما أن ٣٪ فقط من الأراضي هي التي يسمح مناخها بزراعة المحاصيل، ومناخ المساحة المتبقية إما شديد الحرارة أو شديد البرودة أو شديد الرطوبة أو شديد الجفاف.

يغطي مشروع الـ غاب مساحة ٧٣,٨٦٣ كم٢ أي حوالي ٩,٥٪ من مساحة تركيا البالغة ٧٧٨,٤٥٩كم٢ وفي منطقة يبلغ عدد سكانها ٤ ملايين نسمة ونصف مليون، ومع انتهاء مشاريع جنوب شرق الأناضول عام ٢٠١٠م سيزداد عدد السكان ليصبح عشرة ملايين نسمة وستحقق تركيا فائضاً في إنتاج السلع الغذائية والمحاصيل الزراعية توجه إلى الأسواق العربية ودول الشرق الأوسط عن طريق جر مياه الفرات لجنوب شرق تركيا لري أراضي زراعية جديدة في سهول ماردين لتكون سلة الغذاء في تلك المنطقة وأن تصبح مستقبلاً سلة لفاكهة في المنطقة بعدما طرحت نفسها كمنتج خضروات لا منافس له في منطقة الخليج وفي النهاية فإن المشروع سوف يكون مفيداً، لربع مساحة تركيا القابلة للري، اقتصادياً.

استراتيجيات التنمية الزراعية وأهدافها

أولاً: استراتيجية التنمية الزراعية:

أ- بالنسبة إلى الري:

١- تحديد المحاصيل الأساسية ودعمها.

٢- حفز الكثافة الإنتاجية العالمية عن طريق تنظيم أمور الري.

٣- تنظيم صفوف المزارعين العاملين في مجال الري داخل مؤسسات ترشدهم إلى سبل الري.

ب- بالنسبة إلى تربية الحيوانات:

١- تحسين نوعية المواشي بواسطة التلقيح الصناعي أو الطبيعي.

٢- تحسين تربية الحيوانات بواسطة إنتاج الإعلاف وتحسين الرعي وتطوير خدمات البيطرة.

ج- بالنسبة إلى تربية الأسماك والغابات:

١- تشجيع تربية الأسماك في بحيرات السدود.

٢- التركيز على التشجير والبستته في المناطق المحيطة بالسدود ومناطق الغابات.

ثانياً: أهداف التنمية الزراعية:

١- توفير الاعتمادات اللازمة للصناعة المبنية على الزراعة.

٢- المساهمة في جودة المنتجات التصديرية.

٣- العمل على زيادة فرص العمالة وتقليل نزعه وهجرة السكان إلى الخارج.

ثانياً: في مجال الصناعة:

للتنمية الصناعية حاجاتها من المياه، فبعض الصناعات تستعمل الماء كمذيبن وفي بعضها الآخر يستعمل للتبريد، وهناك أنواع أخرى من الصناعات يدخل الماء فيها ضمن التفاعلات الكيميائية ففي صناعة الألمونيوم يحتاج طن واحد من الألمونيوم المنتج إلى ١٣٠م٣ من المياه، وفي صناعة السكر الفاخر يتطلب إنتاج طن سكر إلى ٣٠٠م٣ من المياه.

بالإضافة إلى حاجات المشروعات الأخرى في مجالات توليد الكهرباء والملاحة، وهكذا تسعى كل دولة لتوفير حاجات مشروعاتها الصناعية من المياه من الموارد المائية المتاحة.

ويحاول الأتراك استغلال مشروع الـ غاب الضخم بغية إقامة بنية تحتية لاقتصاد زراعي وصناعي يجعل تركيا قوة إقتصادية كبرى في المنطقة مع بداية الألفية الثالثة، ويرى خبراء الاقتصاد والصناعة أن مشروع شرق الأناضول عند اكتماله سيحول تركيا إلى دولة اقتصادية رئيسية في المنطقة في مجال إنتاج الطاقة الكهربية وتنمية الإمكانيات الصناعية والاستثمار المكثف للموارد المائية.

تأثير الاستقرار في جنوب شرق تركيا على تقليص أعداد المهاجرين إلى أوروبا:

الهجرة:

تعتبر قضية الهجرة من القضايا التي شغلت شمال البحر المتوسط وجنوبه على السواء فهي قضية مشتركة بين الجانبين، على أن هجرة السكان قد اتجهت أساساً من الشاطئ الجنوبي للبحر المتوسط إلى الشاطئ المقابل لهك الشاطئ الشمالي. وقد لعب القرب الجغرافي والتقارب التاريخي وحضارة البحر المتوسط دوراً هاماً في تدعيم الهدرة، وخاصة إلى فرنسا في البداية ثم بعد ذلك إلى دول أوروبا الغربية الآخرى، وخاصة بلجيكا وهولندا وألمانيا وإيطاليا، وقد استمرت عوامل الجذب على الشاطئ الشمالي للبحر المتوسط وعوامل الدفع على شاطئه الجنوبي في تحريك تيارات الهجرة، ففي الشمال توجد مستويات معيشة مرتفعة، وضمان للحريات الأساسية، وإنخفاض نسبي لمستوى البطالة... وفي المقابل في الجنوب والشرق هناك إنخفاض في مستوى المعيشة وبطالة، وتخلف تكنولوجي واضح، وانفجار سكاني، وانخفاض مستوى الحريات الأساسية... ولذلك اتجهت الهجرة إلى أوروبا وخاصة الدول المتوسطية الأوروبية للعمل والاستقرار لفترات طويلة.

إن مشكلة الفجوة بين شمال المتوسط وجنوبه تتبلور بوضوح في مشكلة الهجرة. فالبحر المتوسط هو المساحة التي تفصل منطقتين مختلفتين

إحداهما تمثل أوروبا القائمة على الضفة الشمالية، والثانية تمثل العرب المقيمين على الضفة الجنوبية، والفارق هو أن المجموعة الثي تعيش على الضفة الشمالية تتكون من دول متجانسة وديمقراطية، وتنتهج منذ الخمسينيات مساراً للتكامل فيما بينها. وقد حققت تقدماً باتجاه بناء وحدتها السياسية والنقدية، أما المجموعة الثانية التي تعيش على الضفة الجنوبية. فإنها تتشكل من دول متجانسة من النواحي الطبيعية (اللغة، الدين، الثقافة، العادات والتقاليد..) ولكنها غير متجانسة سياسياً واقتصادياً. وهي دول خضعت طويلاً لاستعمار جاراتها من الضفة الشمالية، وتهدف الهجرة للبحث عن أوضاع معيشية أفضل في الشمال، غير أن تدفق الهجرة بأعداد كبيرة وبشكل غير منتظم أدى إلى ضيق دول الشمال بتلك الهجرة. نظراً للمشكلات التي تسببها تلك الهجرات.

المخاوف الأوروبية من تدفق الهجرات عليها:

وجهة النظر الأوروبية، ترى أن عليها الحد من تدفق الهجرات إليها، فالأعداد الضخمة من المهاجرين تحمل معها ديانة وعادات وتقاليد وقيماً وسرعان ما تكتمل بشكل طبيعي ليكون لها مصالح. وهنا تجد الدول الأوروبية نفسها أمام مشكلة أقليات دينية وعرقية وجماعات مصالح، فمن الدوافع الأساسية المحيطة بالموقف الأوروبي القاضي بالحد من تدفق الهجرات لسكان الجنوب بالأخص صعوبة التأقلم ثقافياً داخل الإطار الاجتماعي الأوروبي مما يطرح مشكلة الأقليات والأديان داخل هذه الدول المقصودة بالهجرة.

تتبلور مخاوف الدول الأوروبية وخاصة الدول الأكثر قبولاً للهجرات في أن التباين في النمو الديمغرافي، والذي يتوافق مع التباين في المستوى الاقتصادي قادر على إحداث مظاهر من الهجرة المكثفةالتي ستحدث بدورها مظاهر من التخلف والخوف من التنافس على الوظائف، وعلى الهوية الثقافية، وفي كلمات مختصر، فإن الضفة الشمالية تنظر إلى الإنفجار

الديمقراطي في الضفة الجنوبيّة للمتوسط باعتباره أولاً تهديداً بالاجتياح، فإذا كان التلوث يخنق المتوسط، فإن مد الهجرة يخنق هوية أوروبا. هذه هي باختصار خلاصة تحليل عدد كبير من المسئولين الأوروبين.

من جهة أخرى تشعر الدول في شمال المتوسط بخطر المد الإسلامي لها وما يسميه الغرب بمسمى «مشاعر الكراهية» ضد الغرب في ظل التخوف من وصول نظام إسلامي إلى الحكم وفي ظل تعارض الوضع الحالي من فقدان المؤسسات الديمقراطية الحقيقية في تلك الدول مع الديمقراطية الغربية.

ولذلك يرى روبرتو اليبوني أنه ينبغي على الغرب أن يتعلم المشي على جبل مشدود فالطريقة الوحيدة لنزع فتيل المشاعر الراديكالية المعادية للغرب يتمثل في مساندة الأنظمة المتعاونة دولياً وحضها على استيعاب القوي الراديكالية ودفعها إلى الاعتدال والتخفيف من السياسات القمعية ضد هذه الحركات، وهو طريق سارت فيه دول مثل مصر، تونس، المغرب، الأردن، وهو طريق الديمقراطية الصعب، وأن الغرب إذ ينصح بالديمقراطية كحل لا يستطيع أكثر من ذلك وإلا تعرض لتهمة التدخل في شئون تلك الدول.

بالنسبة لدول جنوب المتوسط تري، أنه وإن كانت هناك سلبيات للهجرة على الدول المستقبلة لها، إلا أنها أيضاً لها إيجابياتها فهي توفر طاقة عاملة وشابة ورخيصة بالنظر إلى اتساع شريحة كبار العمر (سن الشيخوخة) في أوروبا، بل وترى أن المهاجرين يتعرضون بصفة عامة إلى ظروف عمل قاسية وأجور منخفضة وغياب لحقوق العمال مع أخطار التمييز العنصري التي انتشرت في أوروبا، وظاهرة كراهية الأجانب التي تفشت هناك، ناهيك عن اختلاف ثقافته وقيمه وديانته عن المجتمع الذي هاجر إليه. إذن فالمهاجر لا يعيش في نعيم الهجرة كما يحال البعض تصوير الأمر على هذا الشكل. من جانبه اقترح مشروع المتوسط عام ٢٠٠٠ استمرار الحوار بين شمال المتوسط وجنوبه حول موضوع الهجرة، وانتقال العمال، مع دراسة إمكانية استقبال مهاجرين فصليين (في فصول معينة من السنة) للعمل في أوروبا في إطار

تنظيم بين الدول المرسلة والمستقبلة للمهاجرين، وتشجيع القطاع الصناعي في دول جنوب المتوسط مع التركيز على الصناعات المتوسطة والصغيرة. وإنشاء مراكز إعادة تدريب وتأهيل العمالة العائدة من الخارج وإدخالها في سوق العمل. وإنشاء بنية أساسية تصلح لتحقيق مثل هذه الأفكار.

وفي هذا السياق تؤدي المشروعات الزراعية في تركيا إلى التخفيف من حدة مشكلة البطالة حيث وصل معدل البطالة في تركيا عام ١٩٨٤م إلى ١٦,١٪ حيث بلغ عدد العاطلين عن العمل ٢,٩٠٤,٨٠٠ فرد منهم ٢,٢٣٩,٨٠٠ في القطاعات غير الزراعية، وفي عام ١٩٨٨م بلغ هذا المعدل ١٥,٣٪ حيث بلغ هذان العددان ٢,٣٩٣ مليون فرد و ١,٥٨١ مليون فرد على التوالي وفي أكتوبر ١٩٨٩م بلغ المعدل ٨,٣٪ وبلغ العدد الأول ١,٦٦٣ مليون فرد واستمرت معاناة الاقتصاد التركي من البطالة في التسعينيات فبلغ معدلها ٨,٢٪ وبلغ عدد من يعانون منها ١,٦٣٦ مليون فرد في أبريل ١٩٩٠م. و ٧,٥٪ بمعدل ١,٦١٩ مليون فرد عام ١٩٩٣م. و ٨,١٪ بمعدل ١,٧٢٤ مليون فرد عام ١٩٩٢م. و ٧,٥٪ و ١,٦٠٧ مليون فرد عام ١٩٩٣م. و ٨,٤٪ أي ١,٨٦٤ مليون فرد عام ١٩٩٤م، و ٧,٢٪ أي بمعدل ١,٦١٣ مليون فرد عام ١٩٩٥م.

انخفض نصيب غرب أوروبا من عدد الأتراك المهاجرين سنوياً بغرض العمل في الفترة من ١٩٨١-١٩٨٨م، حيث بلغ متوسط من استقبلتهم تلك الدول من هؤلاء العمال خلال تلك الفترة ١١١٤ عاملاً سنوياً. والتي يبدو أنها بوصولها إلى مرحلة التشبع بالعمالة التركية لم تعد تجذب المزيد منهم بعد بلوغهم فيها ٨٨٦,٠٢٦ عاملاً، ويزدادون باحتساب أسرهم المصاحبة لهم إلى ٢,١١٠,٢٠٠ أفراد في أبريل ١٩٨٩م، وتتمتع تحويلات العمال الأتراك في الخارج عموماً بأهمية كبيرة لاقتصاد تركيا حيث تشكل أحد المصادر الرئيسية للحصول على العملات الأجنبية، بل أنها أنقذت هذا الاقتصاد من الأنهيار في بعض السنوات، خصوصاً حتى عام ١٩٨٣م حيث كانت قيمتها

تكاد تعادل قيمة الصادرات التي بلغت نسبتها ٩٤٪ عام ١٩٧٥م، ورغم انخفاض أهميتها النسبية في السنوات الملاحقة كعنصر حيوي في ميزان المدفوعات التركي نتيجة زيادة عوائد الصادرات والخدمات، ما تزال لهذه التحويلات أهمية اقتصادية لتركيا.

تتصف تحويلات العمال الأتراك في الخارج في الثمانينات وثباتها النسبي في التعينيات بالتذبذب من عام إلى آخر، نتيجة عوامل عديدة كتلك المتعلقة بتغير أعداد هؤلاء العمال المضيفة بحسب فرص العمل المتاحة، واختلاف قدراتهم على الإدخار والتحول من عام إلى آخر حسب ظروفهم الإجتماعية، وكان هذا التذبذب أكثر وضوحاً في الثمانينات مقارناً بالعقد اللاحق، فرغم زيادة هذه التحويلات بين عامي ١٩٨٣م و١٩٨٩ بنسبة ١٠٢٪ من ١٥٥٣,٦ مليون دولار إلى ٣١٩٨ مليوناً، إلا أنها كانت إبان تلك الفترة، واتسمت هذه التحويلات منذ بداية التسعينات بدرجة أقل من التذبذب، حيث زادت بين عامي ١٩٩٠م، ١٩٩٥م بنسبة ٥,٢٪ من ٣٣٢٥ مليون دولار إلى ٣٥٠٠ مليون. ويغري ارتفاع إجمالي تحويلات العمال الأتراك في الخارج عام ١٩٩٥م إلى مستوى لم يتحقق منذ بداية الثمانينات، يتحقق بفضل فرص عمل جديدة متاحة في دول الاتحاد السوفيتي السابقة لتعويض انخفاض أو على الأقل ثبات أعداد هؤلاء العمال الأتراك المهاجرين وأسرهم في ألمانيا وغيرها من دول أوروبا عند مستوى مليوني نسمة، وتباطؤ معدلات الهجرة إلى الدول العربية النفطية.

وسوف يكون لمشروع الـ غاب تأثير واضح على الشعب والاقتصاد في المنطقة، وأن بعد هذه المنطقة عن المراكز الحضارية، جعل منها مناطق غير جذابة بالنسبة لرجال الصناعة، وأن هذا المشروع التنموي الكبير سوف يجلب معه رسائل اتصال جيدة، وتركيز المواطنين في المدن الجديدة التي سيتوفر بها كل الوسائل الحديثة ترى الحكومة التركية أن الرخاء هو الذي سيهزم رجال حرب العصابات وليست قوة السلاح، وبمضي الوقت سوف

يصبح إقليم جنوب شرق الأناضول متمتعاً بالرخاء قبل بقية تركيا. وعندما يحدث هذا سيكون الأكراد مثل أتراك تركيا.

وهكذا سيكون من شأن مشروع الـ غاب ليس فقط في تحقيق التوازن الديمغرافي والسكاني في تركيا بوقف النزوح من المشرق المتخلف إلى الغرب المتقدم، بل أيضاً يؤدي إلى خفض معدل البطالة السنوي في تركيا إلى نحو ٨,٧ بالمئة وبخاصة أن المشروع سيوفر أكثر من مليون ونصف فرصة عمل وأيضاً تقليص أعداد المهاجرين إلى أوروبا.

وتسعى تركيا من خلال مشروع الـ غاب لدفع عملية التنمية الزراعية والصناعية إلى الأمام حيث تعطي تركيا أهمية بالغة لمسألة إنضمامها إلى الجماعة الأوروبية ويعتبر هذا المشروع التنموي الضخم مرتكزاً أساسياً لمتابعة نموها، إذا قامت بتوقيع عدة اتفاقيات للشراكة الأوروبية منها.

ثانياً: اتفاقيات الشراكة:

اتفاق الوحدة الجمركية بين الاتحاد الأوروبي وتركيا:

في السادس من مارس ١٩٩٥م وفي مقر الاتحاد الأوروبي في بروكسيل تم التوقيع على اتفاق الوحدة الجمركية بين الاتحاد وتركيا في نص يتضمن ٦٤ مادة وملحقين يتناولان مسألة توسيع التعاون بين الجانبين في المجالات الصناعية والعلمية، في الوقت ذاته أعلن وزير الخارجية التركي مراد قرة بالتشين عن أمله في أن يمهد الاتفاق الطريق أمام العضوية الكاملة لبلاده في الاتحاد الأوروبي.

مميزات الاتفاق لتركيا:

أ- تفرض قوانين الوحدة الجمركية إلغاء الرسوم الجمركية بين تركيا والاتحاد مما سيؤدي إلى إنخفاض أسعار المنتجات الأوروبية خاصة السيارات والأدوات المنزلية في الأسواق التركية مما سوف يدفع المنتجين الأتراك إلى خفض أسعار منتجاتهم ويكون المستهلك التركي هو المستفيد.

ب - سوف تنخفض أسعار الآلات والأجهزة التي تتطلبها الاستثمارات

الخارجية في تركيا مما سيشكل دفعاً لها. فسوف يلجأ المستثمرين اليابانيون والأوروبيون إلى تركيا ذات قوة العمل الرخيصة كقاعدة لإنتاج صناعاتهم الموجهة إلى أسواق آسيا الوسطى والشرق الأوسط وأوروبا فتستفيد تركيا من تدفق الاستثمارات الخارجية عليها ومن استخدام العمالة التركية في تلك المشاريع.

ت - سوف يؤدي الاتفاق إلى فتح الحدود وتسهيل إنتقال التكنولوجيا الأوروبية الضرورية لرفع مستويات الإنتاج والخدمات في تركيا. فمن أهم الفوائد التي سوف تترتب على الوحدة الجمركية، تسهيل إنتقال التكنولوجيا الأوروبية المتطورة والضرورية لرفع الإنتاج والخدمات في تركيا، فسوف تكون هناك أفضلية لبيع المنتجات إلى دول الاتحاد الأوروبي، بالنسبة إلى الدول الأخرى وخصوصاً دول الشرق الأقصى. حيث سيكون قطاع النسيج والملبوسات الجاهزة هو الرابح الأكبر من هذه الميزة، ومن المعروف أن ٣٦,٦٪ من صادرات تركيا تعود إلى هذا القطاع.

ث- سوف تتمكن تركيا من الاستفادة من المساعدات الأوروبية المقدرة لها على دفعات وتقدر بحوالي ٢-٣ بليون دولار، وتعلق تركيا عليها أهمية كبرى لتعويض الخسائر المتوقعة إذ أن توقيع معاهدة تنفيذ شق المساعدات يعني ضمان سوق واسعة للسلع الغربية بدون رسوم جمركية والتالي القضاء على الاقتصاد التركي.

ومن قبلها استطاعت تركيا أن توقع على البروتوكول الإضافي مع السوق الأوروبية المشتركة في نوفمبر ١٩٧٠م، وقد دخل هذا البروتوكول حيز التنفيذ في عام ١٩٧٣م.

الخاتمة

مما سبق يمكن القول إن المعطيات التركية إقليمياً ودولياً على مستوى الموارد المائية تقوم على صيغة التطلع نحو بناء نموذج تركي جديد بمقاييس العصر باستخدام عناصر القوة المتاحة لتركيا. فالموقف التركي لمشروع الـ غاب يسعى إلى نزع الصبغة السياسية للمشروع واعتباره مسألة أملتها اعتبارات فنية واقتصادية واجتماعية بحته.

رغبة تركيا إلى تنمية منطقة جنوب شرق الأناضول زراعياً عبر مساحة الأراضي المروية، وتحسين الظروف المعيشية لأبناء تلك المنطقة، وهي تراهن بتلك على حل المشكلة الكردية، وإنهاء الأعمال المسلحة التي تجتاحها، والتي كانت تكبد الخزينة التركية ما يقارب من ثمان مليارات دولار سنوياً.

استطاعت تركيا من تحقيق ما تصبو إليه بالقبض على أوجلان زعيم الحزب الكردستاني، ولكن السؤال الذي طرح نفسه: هل القضية انتهت عند هذه النقطة؟

والإجابة في اعتقاد الباحث أن القضية لم تنتهي بيد أن المسألة الكردية لا يمكن أن تكون قد انتهت سياسياً. إذ أن أوجلان لا يختصر في شخصه القضية الكردية. ومن ثم فإن اعتقال أوجلان لا يعني اعتقال القضية.

ومن هنا تأتي فاعلية وأيجابية المشروعات التنموية في منطقة جنوب شرق الأناضول حيث أن الأكراد يمثلون أكثر من خمس عدد سكان تركيا ويقطنون في ثلث مساحتها كما أنه من المنظور المائي والذي يمثل الأمن القومي التركي، نجد أن منابع نهري دجلة والفرات تبدأ من داخل مناطق وأراضي الأكراد في تركيا. ولذا فإن أصل المشكلة الكردية التركية وحلها. في داخل تركيا نفسها.

إن مطلب أو محاولات تقسيم الدول حسب القوميات والأعراق مرفوض لأنه يفتح الباب أمام التجزئة، والتفتت في عصر تتنافس فيه التكتلات وتتعاظم

القوة. لكن الممكن والمشروع هو المحافظة على الهوية، مهما تعددت وعلى الثقافات مهما تنوعت في إطار الدولة الموحدة، دعماص للقوى حتى تتحقق التنمية والمستوى الاجتماعي والاقتصادي اللائق لحياة الأفراد المجتمع.

تسعى تركيا من خلال المشروعات المائية والكهرومائية لإقامة شركات لتصدير الطاقة الكهربائية من تركيا إلى دول المنطقة بأسعار مشجعة. وهذا يلبي طوح تركيا في التخلص من فائض الطاقة لديها، بالإضافة إلى مشاريع سياحية وغيرها. تعود بفوائد مادية طائلة، وتخفف من حدة الأزمات الاقتصادية لديها.

تراهن الأغلبية البيروقراطية والجيش والمثقفون في تركيا على وجهتهم الغربية ورغبتهم الملحة للإنضمام للمجموعة الأوروبية، وعليه سيكون من شأن مشروع غاب ليس فقط بخفض معدلات البطالة السنوي، بل وايضاً تقليص أعداد المهاجرين إلى أوروبا.

والواقع أنه في إطار السعي للحصول على القوة الاقتصادية والاجتماعية كسمة ممية للنظام العالمي الجديد فإن عنصر الماء، وما يقوم عليه من مشروعات زراعية وصناعية، سيكون عنصراً أساسياً في أية استراتيجية دولية مقبلة، وسيلعب دوراً كبيراً في إعادة توزيع خريطة القوى السياسية في المنطقة.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية:

١- أحمد أمين عامر: الحضارة الإسلامية والمشكلات السياسية المعاصرة، مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة ١٩٨٧م.

٢- أسامة فاروق مخيمر: التعاون المتوسطي للمبادرات..القضايا.. مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، القاهرة ١٩٩١م.

٣- آل. جي. فينتر: التهديد في الشرق الأوسط في المشكلة الأزلية، المياه في الشرق الأوسط: المياه في الشرق الأوسط، تعليق عبدالعظيم حماد، السنة الرابعة، العدد (٢٠)، مارس١٩٩٩م.

٤- بركات حديد: قضية المياه العربية قضية استراتيجية هامة. المركز العربي للدرسات الاستراتيجية. القاهرة، العدد الثاني، إبريل١٩٩٧م.

٥- بيترو روجرز وبيتر ليدون: المياه في العالم العربي آفاق واحتمالات المستقبل. ترجمة شوقي جلال، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتجية ١٩٩٧م.

٦- جلال عبد الله معوض: العلاقات الاقتصادية العربية التركية. مركز الإمارات للدرسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي ١٩٩٨م.

٧- جويس ستار ودانييل ستول: سياسات الندرة المياه في الشرق الأوسط. ترجمة أحمد خضر، عين للدرسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٥م.

٨- جون بولك وعادل درويش: حدوب المياه الصراعات القادمة في الشرق الأوسط. ترجمة هاشم أحمد محمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٩٨م.

٩- حامد محمود عيسى: المشكلة الكردية في الشرق الأوسط منذ بدايتها حتى ١٩٩١م. مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢م.

١٠- حمدي الطاهري: مستقبل المياه في العالم العربي، دار الكتب القومية،

القاهرة، ١٩٨٧م.
١١- رأفت الشيخ وآخرون: تاريخ أسيا الحديث والمعاصر، دار عين القاهرة ٢٠٠٤م.
١٢- سيار الجميل: العرب والأتراك الإنبعاث والتحديث العثمنه إلى العلمنه. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، أكتوبر ١٩٩٧م.
١٣- صاحب الربيعي: أزمة حوضي دجلة والفرات وجدلية التناقض بين المياه والتصحير. دار الحصاد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٩م.
١٤- عايدة العلي سري الدين: دول الثلث بين فكي الكماشة التركية، الإسرائيلية. دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
١٥- على إحسان باغيشك إشكالية المياه وآثارها في العلاقات التركية العربية. مركز دراسات الوحدة العربية، بيورت ١٩٩٥م.
١٦- علي شاكر عليك تاريخ العراق ف العصر العثماني، الموصل، ١٩٨٤م.
١٧- فيبي مارو وليم لويس: امتطاء النمر، تحدي الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة. ترجمة عبدالله جمعة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية. أبو ظبي، ١٩٩٦م.
١٨- فتحي على حسين: المياه وأوراق اللعبة السياسية في الشرق الأوسطز تقديم محمد عبدالهادي راضي. مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧م.
١٩- محمد نور الدين: تركيا في الزمن المتحول، قلق الهوية وصراع الحضارات. رياض الدين للكتب والنشرن بيروت، ١٩٩٧م.
٢٠- محمود أبو زيد: المياه مصدر للتوتر في القرن ٢١، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨م.
٢١- نبيل السمان: المياه وسلام الشرق الأوسط، دمشق، ب ت. , ١٢٤
٢٢- نبيل عبدالله فارس: حرب المياه في الصراع العربي الإسرائيلي، دار الاعتصام للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.
٢٣- هيثم الكيلاني: تركيا والعرب في العلاقات. أبو ظبي. مركز الإمارات

للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد (٦)، ١٩٩٦م.
٢٤- وليد حمدي: الكردوكردستان في الوثائق البريطانية، دراسة تاريخية وثائقية، مطابع سجل العرب،القاهرة ١٩٩٢م.

ثانياً: الدوريات والبحوث والمجلات:

أ- التقرير الاستراتيجي العربي لأعوام ١٩٩١، ١٩٩٣، ١٩٩٨م.

ب- السياسة الدولية:

١- صلاح سالم زرنوقة: القومية الكردية: المنشأ والعلاقة مع القوميات المجاورة. العدد ١٣٥: يناير ١٩٩٩م.

٢- فوزي درويش: البعد العسكري في العلاقات التركية الإسرائيلية. العدد (١٣٨)، أكتوبر ١٩٩٩م.

٣- أسامة الغزالي حرب: محنة الأكراد، العدد (١٣٦)، أبريل، ١٩٩٩م.

٤- محمد حرب: الأكراد في تركيا: السياسة الدولية العدد (١٣٥) يناير، ١٩٩٩م.

جـ) مجلة اليسار:

١- محمد السيد سليم وآخرون: أوجلان والقضية الكردية- محاولة للفهم. العدد ١١١، أبريل ١٩٩٩م.

د) شئون عربية:

١- جلال عبدالله معوض: مياه الفرات والعلاقات العربية التركية. العدد ٦٥، أبريل ١٩٩١م.

هـ) المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط:

١- نبيل ذكي: نحو علاقات عربية - تركية جديدة. نوفمبر، ١٩٩٦م.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

1. Ali thsan Bagis: the Euphraste and Tigris water Course system: Conflict or cooperation? (the Turkish view with special Reference to the southeast-

ern Anatolia project (GAP), At Turkish Re view of Middle East Studies. Annual 7, 1993.
2. Caglar Keyderk, State, Class in Turkey. A study in capitalist Development (Landa:{ n. pb,}, 1987).
3. Gerard Chaliand (ed). A people without A country, the Kurds and Kurdistan, New York: Olive 13 ranch Press, 1993.
4. George N. Yannopoulus and Avi Shlaim, The EEC and the Mediterranean Countries (Cambridge, Eng. Cambridge University Press, 1976).
5. Hasan Chalabi and Tarek Majzoub, Turkey: The Waters of the Eupharates and Public International law, in: J.A. Allan and Chibi Mallat, eds., Water in the middle East: Legal, Political, and commercial Implications, Library of Modern Middle East Studies, 1 (Landan, New York: Distributed by St.Martin's Press, 1995).
6. Niyazi Berkes "The Two Factors of the Kematist revalution," Muslim World, no. 64 (1974).
7. Servet, Mutlu, Ethinc Kurds in Turkey: Ademographic Studym, International, Tournal of Middle East, Vol. 28 Nov, 1996.
8. Zdn Bilen: Turkey and Water gsues in the middle east, Ankara, 1997.

الهوامش:

رأفت الشيخ وآخرون: تاريخ آسيا الحديث والمعاصرو دار عين القاهرة ٢٠٠٤م.

كردستان تعني ها الأرض التي يؤلف عليها الأكراد أكثرية من السكان، وكلمة كردستان لا يتعرف به قانوناً أو دولياً وهي لا تستعمل في الخرائط والأطالس الجغرافية.

انظر: حامد محمود عيسى: المشكلة الكردية في الشرق الأوسط منذ بدايتها حتى ١٩٩١م. مكتبة مدبولين القاهرة، ١٩٩٢م. ص , ٢٤

التقرير الاستراتيجي العربي ١٩٩١م. مركزالدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة ١٩٩٢، ص, ١٤٠

السعيد رزق حجاج: الأكراد والأرمن في العصر الحميدي. مطبعة الأمانة، القاهرة، ط, ١ ١٩٩١م. ص, ٣٢

علي شاكر علي: تاريخ العراق في العصر العثماني. الموصل، ١٩٨٤، ص, ١٦٧

صلاح سالم زرنوقة: القومية الكردية: المنشأ والعلاقة مع القوميات المجاورة. السياسية الدولية، العدد ١٣٥: يناير ١٩٩٩م. القاهرة ص, ٨٨

أحمد أمين عامر: الحضارة الإسلامية والمشكلات السياسية المعاصرة، مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية. القاهرة ١٩٨٧، ص, ٣٢٧ وانظر: -Ser-vet, Mutlu, Ethinc Kurds in Turkey Ademographic Study, International, Tournal of Middle East, Vol. 28, Nov, 1996, PP. 517-541.

مزيد من البنية الاجتماعية والاقتصادية لأكراد كردستان انظر:-Gerard Chali and (ed) A people without A country, the Kurds and Kurdistan, New York: Olive 13 ranch Press, 1993, P.P. 38, 95, 139.

صلاح زرنوقة: السياسة الدولية، مرجع سابق، ص ص ٨٨-, ٨٩

التقرير الاستراتيجي العربي ١٩٩١م. المرجع السابق، ص, ١٤١

محمد السيد سليم وآخرون: أوجلان والقضية الكردية. محاولة للفهم اليسار، العدد ١١١ يوليو ١٩٩٩، ص, ٩٨

انظر: وليد حمدي: الكرد وكردستان في الوثائق البريطانية، دراسة تاريخية وثائقية، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٩٢، ص ص ٧٥٧، , ٣٦٩

محمد السيد سليم وآخرون: المرجع السابق، ص ٦٨٠- ,٦٩
المرجع نفسه، ص ,٦٩
محمد السيد سليم: المرجع السابق، ص ,٦٩
التقرير الاستراتيجي العربي، ١٩٩١، المرجع السابق، ص ,١٤٤
التقرير الاستراتيجي العربي ١٩٩٣ مركز الدراسات السياسية الاستراتيجية بالإهرام، القاهرة، ١٩٩٤، ص ,١٤٠
المرجع نفسه، ص ,١٤١
محمد نور الدين: تركيا في الزمن المتحول. قلق الهوية وصراع الحضارات. رياض الدين للكتب والنشر، بيروت، ١٩٩٧، ص ,٩٨
المرجع نفسه، ص ,٩٩
محمد نور الدين: المرجع السابق، ص ,٦٩
المرجع نفسه، ص,٩٩
هيثم الكيلاني: تركيا والعرب. دراسة في العلاقات. أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد (٦)، ١٩٩٦، ص ,٥٩
محمد نور الدين: المرجع السابق، ص ,١٠٠
عايدة العلي سري الدين: دول الثلث بين فكي الكماشة التركية- الإسرائيلية. دار الفكر العربي، بيروت، ,١٩٩٧ ص ص ١٩٠ ، ١٩٩١م.
فوزي درويش: البعد العسكري في العلاقات التركية الاسرائيلية. السياسة الدولية. العدد (١٣٨)، أكتوبر ١٩٩٩، ص ٢٧٦ .
نبيل زكي: نحو علاقات عربية- تركية جديدة، المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط، القاهرة، نوفمبر ١٦٦٩م، ص٢٣؟.
التقرير الاستراتيجي العربي لعام ١٩٩٨م، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة ص ص ٢٠٣، ٢٠٥ .
أسامة الغزالي حرب: محنة الأكراد. السياسة الدولية، العدد (١٣٦)، أبريل،

١٩٩٩م، ص٦ .

Niyazi Berkes " The Two Factors of the kematist revalution," Muslim World, no. 64 (1974), pp. 305-307.

محمد حرب: الأكراد في تركيا: السياسة الدولية العدد (١٣٥) يناير، ١٩٩٩م، ص ١٢٢ .

صاحب الربيعي: أزمة حوضي دجلة والفرات وجدلية التناقض بين المياه والتصحير. دار الحصاد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٩م، ص ١٠٣ .

نبيل السمان: المياه وسلام الشرق الأوسط. دمشقز ب ت. ١٢٤ .

بركات حديد: قضية المياه العربية قضية استراتيجية هامة. المركز العربي للدراسات الاستراتيجية. القاهرة، العدد الثاني، إبريل ١٩٩٧، ص ٧٤.

هيثم الكيلاني: المرجع السابق، ص ٧١ .

نبيل عبدالله فارس: حرب المياه في الصراع العربي الإسرائيلي. دار الاعتصام للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٩٣م، ص , ١٨٥

علي إحسان باغيش: إشكالية اليماه وآثارها في العلاقات التركية العربية. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، ١٩٩٥م، ص ١٦٦ .

جلال عبدالله معوض: مياه الفرات والعلاقات العربية التركية. شئون عربية، العدد ٦٥، تونس، أبريل، ١٩٩١م، ص ١٣١، وانظر: فيسي مارو وليم لويس: امتطاء النمر، تحدي الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة. ترجمة عبدالله جمعة، مركز الإمارات للدرسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ١٩٩٦م، ص١٩٦ .

حمدي الطاهري: مستقبل المياه في العالم العربي، دار الكتب القومية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ١٣١ .

بيترو روجرز وبيتر ليدون: المياه في العالم العربي آفاق واحتمالات المستقبل. ترجمة شوقي جلال، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ١٩٩٧، ص ١٠٥ .

محمد نور الدين: المرجع السابق، ص ١٤٢ .

محمد نور الدين: مرجع سابق، ص ١٤٢ .

نبيل السمان: حرب المياه من الفرات إلى النيل، مرجع سابق، ص٣١ .

محمد نور الدين: مرجع سابق، ص ص ١٤٢-١٤٣ .

محمود أبو زيد: المياه مصدر للتوتر في القرن ٢١، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٢٨ .

صاحب الربيعي: المرجع السابق، ص ١١٢ .

المرجع نفسه، الصحفة نفسها.

صاحب الربيعي: مرجع سابق، ص ص ١١٢، ١١٣ .

محمد نورالدين: مرجع سابق، ص ١٤٣ .

فتحي علي حسين: المياه وأوراق اللعبة السياسية في الشرق الأوسط تقديم محمد عبدالهادي راضي - مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١١٧ .

المرجع السابق، ص ١١٧ .

محمد نورالدين: مرجع سابق، ص ١٤٤ .

فتحي علي حسين: المرجع السابق، ص ١١٧ .

محمد نور الدين: مرجع سابق، ص ١٤٤ .

المرجع نفسه، ص ١٤٥ .

محمد نور الدين: مرجع سابق، ص ١٤٥ .

Zdn Bilen, Turkey and Water gsues in the middle east, Ankara, 1997, p. 83.

هيثم الكيلاني: المرجع السابق، ص ٦٦ .

Ali thsan Bagis: the Euphraste and Tigris water Course system: Conflict or cooperation? (the Turkish view with special Reference to the southeastern Anatolia project (GAP), At Turkish Re view of Middle East Studies. Annual 7, 1993. P. 221.

Caglar Keyderk, State, Class in Turkey. A study in capitalist Development (Landa:{ n. pb,}, 1987). P. 233.

جويس ستار ودانييل ستول: سياسات الندرة المياه في الشرق الأوسط. ترجمة أحمد خضر، عين للدرسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،

القاهرة، ١٩٩٥، ص ص ١٣، ١٥ .

آل. جي. فينتر: التهديد الأولي في الشرق الأوسط في المشكلة الأزلية، المياه في الشـرق الأوسط: الميـاه فـي الشـرق الأوسط، تعليق عبـدالعظيم حمـاد، السنة الرابعة، العدد (٢٠)، مارس ١٩٩٩م، ص ٢٨ .

محمد نور الدين: المرجع السابق، ص ص ١٤٠، ١٤١ .

سيار الجميل: العرب والأتراك الإنبعاث والتحديث العثمنه إلى العلمنة، مركز درسات الوحدة العربية، بيروت، أكتوبر ١٩٩٧، ص ٢٤٨ .

أسامة فاروق مخيمر: التعاون المتوسطي المبادرات.. القضايا .. المستقبل، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، القاهرة، ١٩٩١م، ص ص ٢٢١، ٢٢٢ .

المرجع نفسه، ص ٢٢٣ .

أسامة مخيمر: المرجع السابق، ص ص ٢٢٥، ٢٢٦ .

جلال معوض: العلاقات الاقتصادية العربية التركية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ١٩٩٨م، ص ٣٥ .

المرجع نفسه، ص ص ٣٩، ٤١ .

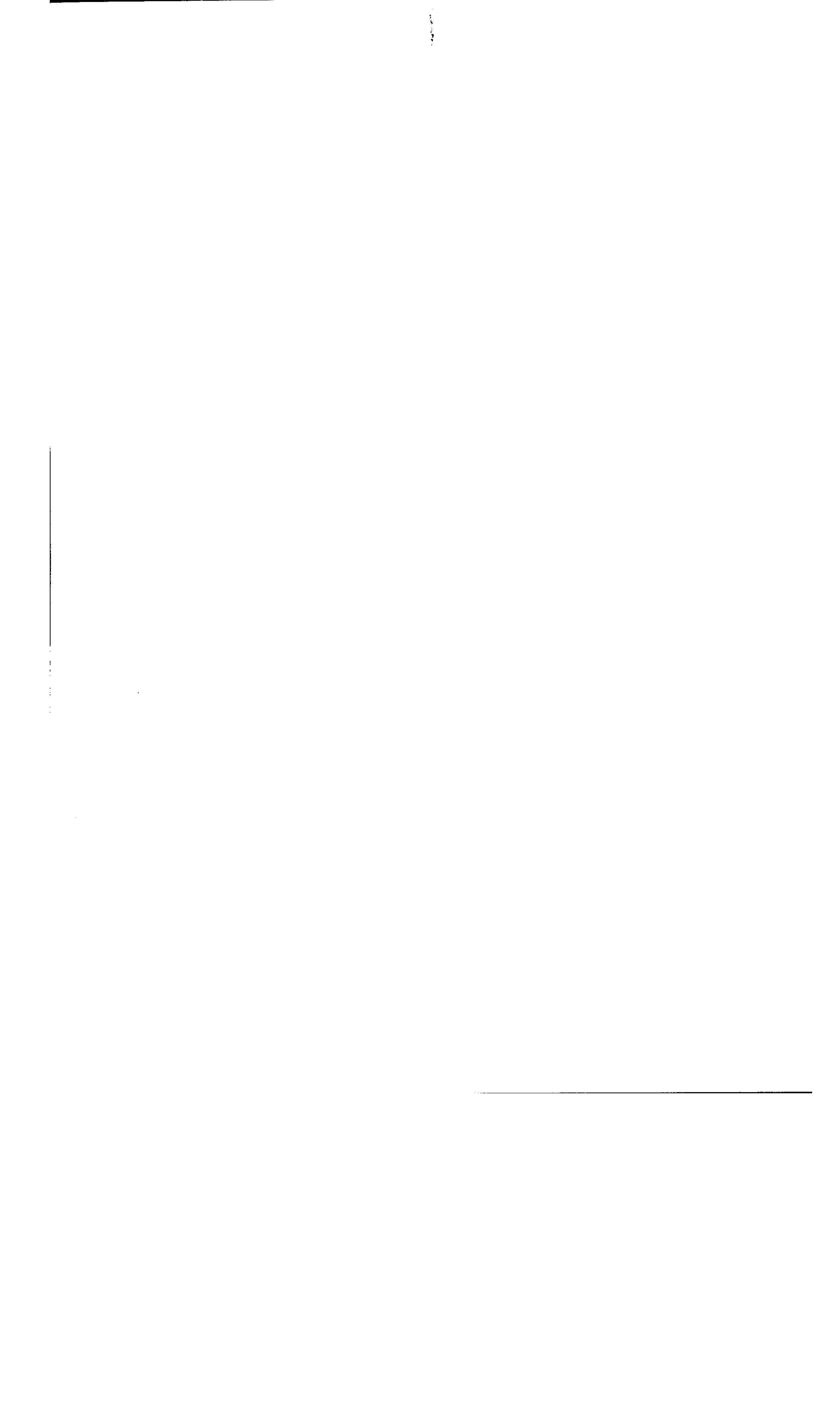
جلال معوض: العلاقات الاقتصادية العربية التركية، المرجع السابق، ص ٤٧ز

جون بولوك وعادل درويش: حروب المياه الصراعات القادمة في الشرق الأوسط. ترجمة هاشم أحمد محمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٩٧ .

Hasan Chalabi and Tarek Majzoub, Turkey: The Waters of the Eupharates and Public International law, in: J.A. Allan and Chibi Mallat, eds., Water in the middle East: Legal, Political, and commercial Implications, Library of Modern Middle East Studies, 1 (Landan, New York: Distributed by St.Martin's Press, 1995). PP 201-202.

أسامة مخيمر: المرجع السابق، ص ص ١٣٠، ١٣١ .

George N. Yannopoulus and Avi Shlaim, The EEC and the Mediterranean Countries (Cambridge, Eng. Cambridge University Press, 1976).PP161-162.



الحملة المصرية وساحل الخليج

دكتور حسن محمد بن علي آل ثاني

دولة قطر

المجلس الوطني للثقافة والفنون

إهداء لأستاذي ووالدي في العلم الأستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ الذي سعدت بالنيل من علمه منذ عام ١٩٧٩م، وحتى حصولي على درجة الدكتوراه بإشرافه.

وهذا العمل من ثمار غرسه، فله مني التقدير والاحترام والوفاء ما حييت.

حسن بن محمد آل ثاني

٢٠٠٥م

لم يرسل محمد علي باشا قواته القليلة العدد إلى نجد، تنفيذاً لأوامر صادرة من السلطان العثماني، بل أرسلا بصفته حاكماً لمصر، ليبسط نفوذه على البحر الأحمر كله، وعلى اليمن ونجد والأحساء، بعد أن نجح في الاستيلاء على بلاد الشام، استكمالاً لخريطته التوسعية التي تضم شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق. ومن هنا، فإن القوات التي نزلت ميناء ينبع في نهاية عام ١٨٣٧م، كانت تعمل للمصالح المصرية التي يمثلها محمد علي باشا، حاكم مصر.

وكان على محمد علي باشا أن يبرر دخوله إلى نجد، وأن يعتم على مطامعه الشخصية، فهيأ خالد بن سعود، واجهة، تتقدم قواته لإضفاء بعض الشرعية على دخوله، بحجة أن ها الدخول قد حصل تلبية لدعوى خالد بن سعود بأحقيته في تسلم حكم آل سعود في نجد والأحساء. وهكذا كان هدف خورشيد باشا، قائد القوات المصرية، احتلال المناطق التي كان يسيطر عليها الإمام فيصل بن تركي، في الظاهر، ووضعها تحت حكم خالد بن سعود. مع ذلك فإن هذه الواجهة لم تنجح في تمرير مطامع محمد علي باشا على القبائل العربية. فحتى حين أخضع المنطقة الشرقية كلها، كان الساحل الغربي من الخليج يتحدث عن قوات مصرية وليس عن خالد بن سعود. وفي الحقيقة لا نجد طيلة فترة بقاء خورشيد باشا في شبه الجزيرة العربية، لخالد بن سعود سوى دور هامشي.

وصلت القوات المصرية إلى ساحل القطيف في بداية عام ١٨٣٩م، فوجد خورشيد باشا أن المنفذ البحري للقطيف والعقير، ومنطقة الأحساء، يخضع لسيطرة شيخ البحرين، لاحتلاله الدمام، ووجد ابنه مبارك شيخاً عليها. ولأن البحرين لم تكن من المناطق التي كانت تخضع لحكم الإمام تركي بن سعود المباشر، ولا لابنه فيصل من بعده، ولعدم امتلاك خورشيد باشا أية

قوة بحرية، أو حليفاً بحرياً على الساحل الغربي من الخليج، يُمكّنه من إخضاع البحرين، وإلحاقها بحكم نجد، لاعتقاده بأنها جزء منها، وإعادة الدمام إلى القطيف، فقد حاول أن ينفذ إلى جزير البحرين عن طريق الزكاة التي كان يدفعها الشيخ عبدالله بن أحمد للسعوديين. فبعث وكيله محمد رفعت أفندي إلى البحرين لإبلاغ شيخها بأن استولى على نجد وجعلها تحت حكم خالد بن سعود، وأن له مطالب على شيخ البحرين، بأن يدفع الزكاة السنوية كما كان يدفعها للإمام تركي بن سعود، وإعادة حصن الدمام، وتسليم عمر بن عفيصان، وكيل الإمام فيصل بن تركي على الأحساء سابقاً، والذي لجأ إلى البحرين، ويقول السلطات البريطانية في البحرين بأن الشيخ عبدالله بن أحمد قد ردّ بمايلي:

«كان الأمير الراحل تركي يخطط لوقف الاتصالات والتجارة بين مختلف المناطق، ومرعاعاة لمصالح كل المسلمين وافقت البحرين على أن تدفع له ٣٠٠٠ دولار سنوياً، لكن عندما طلب مبلغاً كبيراً، نشبت بينه وبين البحرين حرب فقد فيها الإمام تركي منطقة تاروت، وإنه منذ حياة الإمام تركي أبرمت اتفاقية مع الأمير فيصل(❖) وافق بموجبها على التنازل عن أي مطلب بالزكاة»[1].

وبالوقت نفسه عبر الشيخ عبدالله بن أحمد عن مخاوفه للمقيمية البريطانية من أن خورشيد باشا يعتزم احتلال البحرين، وطلب من السلطات البريطانية وضع البحرين تحت حمايتها[2].

وقد كان الوضع الداخلي في البحرين مضطرباً بفعل ممارسات أبناء الأسرة الخليفية ونزاعاتهم، ومن جانب آخر كان شيخ البحرين مهدداً بالحرب مع أبوظبي والشيخ عيسى بن طريف. ولعدم حصوله على إجابة شافية من السلطات البريطانية تدعم موقفه أمام خورشيد باشا، فقد التفت إلى بلاد فارس، لأنه:

«خائف جداً من المصريين، ويرغب في التحالف مع فارس، وقد تبادل معهم

عدة رسائل كما أنه يتكلم علناً في مدح الفرس...»[1].

رغم أن الشيخ عبدالله بن أحمد كان يعوّل كثيراً على دعم السلطات البريطانية له، لاعتقاده بأن البريطانيين سيتصرفون حيال القوات المصرية بكنها تهدد مصالحهم في الخليج، ابتداء من البحرين. وكان عبدالجليل[*]، وهو من كبار تجار البحرين، وموضع ثقة شيخها، قد دعم مطلبه برسالة إلى المقيم البريطاني قال فيها:

«أصبحت نجد والأحساء والقطيف الآن في يد خورشيد باشا، فأرسل بعض المطالب إلى الشيخ الذي أجّل رده لحين الحصول على مشورتك ونصحك، وسيدخل في سلم أو حرب مع الأتراك حسب طلبك. إذا دخل معهم في سلم فإنه في الواقع سيكون خاضعاً لهم، وسيكون عُرضة إلى أن يطلب منه الاشتراك في حرب ضد البصرة أو عُمان أو.. وغيرها، وإذا قرر الدخول معهم في حرب فإنه لن يكون من الصعب مقاومتهم شريطة ألا تشترك معهم سفن من جهة اليمن»[2].

لقد كانت سياسة السلطات البريطانية في الخليج تتسم بطابع التردد حيال تحركات خورشيد باشا، وكانت السلطات البريطانية على علم بأنه قد توقف على ساحل القطيف في انتظار أوامر محمد علي باشا وإمداداته، فأرسلت تحذره من مغبة الهجوم على جزيرة البحرين بوصفها عضواً في معاهدة السلم العامة، وأن أي تحرك من قِبله سينعكس سلباً على العلاقات بين حكومة لندن ومحمد علي باشا في مصر، فكان الطرفان في حالة انتظار الأوامر العليا.

ومن هناك ان جواب المقيم البريطاني على طلب المشورة الذي بعثه شيخ البحرين جواباً عاماً، لا يلزم السلطات البريطانية بأي شيء تجاه البحرين، بل يتيح للشيخ عبدالله بن أحمد التصرف وفق ما يقتضيه استقلاله. أما بخصوص طلبه الحماية البريطانية، فإن المقيم البريطاني قد رفع الطلب إلى حكومة بومباي دون تعليق عليه، برغم اعتقاد السلطات البريطانية بأن

محمد علي باشا يبغي إقامة دولة كبرى تضم مصر والسودان وسوريا وشبه الجزيرة العربية والعراق، وأنه قد جاء إلى شرق الجزيرة ليصعد منها باتجاه العراق، بعد السيطرة على الساحل الغربي من الخليج. وفي الحقيقة أن مخطط محمد علي باشا، هو الاستيلاء على جميع المناطق التي كانت خاضعة للدولة العثمانية، ليأخذ مكانها في قيادة العالم الإسلامي.

حين تصل إجابة المقيم البريطاني إلى الشيخ عبدالله بن أحمد، يجتمع بمحمد رفعت أفندي، نائب خورشيد باشا، ويبلغه عن استعداده لعقد اتفاقية مع القائد المصري، يدفع بموجبها الجزية السنوية التي كان يدفعها إلى الإمام تركي بن سعود، بشرط التعهد بترك البحرين تحت حكم الشيوخ الحاليين[١]. ويبقى، رغم ذلك، يأمل في تحرك بريطاني يخلصه من أي ارتباط بالقائد المصري[٢].

وفي هذا الأثناء يبقى الشيخ عبدالله بن أحمد يماطل في التوقيع على المعاهدة، فإن خورشيد باشا يطلب من محمد علي باشا إصدار أوامره بتزويده بما يحتاجه من إمدادات تأتي إلى القطيف من ميناء جدة على البحر الأحمر، لأجل تعزيز سلطته في نجد، ثم يفاجأ بعدم موافقة سيده، حاكم مصر، على ذلك، إذ يقول له:

«إن إرسال السفن من جدة إلى ميناء القطيف لا يوافق بسبب بعض المحذورات، وهو ما يسبب لخورشيد باشا، قلق بال واضطراب فكره»[١].

وهذا يعني أن على خورشيد باشا أن يتصرف بما لديه من قوة، دون انتظار أية تعزيزات من مصر، ربما كان يريدها لغزو البحرين حسب اعتقاد السلطات البريطانية، وشيخ البحرين نفسه، لأن خورشيد باشا يكرر مطالبته بالإمدادات، فيعرض أسباباً أخرى تبرر طلبه، إذ يوجه نائبه محمد رفعت أفندي للذهاب إلى البحرين وإعداد تقرير عن أحوالها، لرفعه إلى القاهرة. فجاء تقرير محمد رفعت منصباً على الأمور التجارية والزراعية والقوة البحرية، وبكون الجزيرة هي الميناء الرئيسي للسفن التي تأتي وتروح من

الهند وعُمان والعراق، ولهذا فإن البحرين هي ميناء الأحساء والقطيف، وإن الدمام التي يحكمها نجل شيخ البحرين، هي ملجأ لكل أعداء حكم محمد علي باشا. وإن البحرين، كالقطيف والأحساء، قد كانت تابعة لحكومة نجد، بل إنه يخصص نبذة كاملة من تقريره للتأكيد على تبعيتها لنجد. وينتهي إلى القول:

«إن إدخالها تحت طاعة الحكومة موجب لدفع تلك المضرات الحاصلة فيها، وفضلاً عن ذلك، فإنه سيكون سبباً لحصول الحركة في ميناء الأحساء والقطيف، ولترويج بعض المنافع الأميرية، لإدارة أمور العساكر الموجودة في فيلق نجد، هذا ما نراه في إدخالها، تحت حكومة ولي النعم»[٢].

ولا نجد في التقرير أي ذكر للحالة السياسية في البحرين، ولا للنزاعات داخل الأسرة الخليفية، وما كان ينتج عنها من اضطرابات واضطهادات لأهل البحرين، وهذا شيء غريب بالنسبة لتقرير استخباري، لكن يبدو أن اتصالات محمد أفندي كانت سطحية، فما كان يهمه من التقرير الذي سيرفع إلى حاكم مصر هو حضه على إصدار أمر بإخضاع البحرين إخضاعاً مباشراً لحكمه. لكن أوامر محمد علي باشا، التي تذيل رسالة خورشيد باشا، كانت تقضي بمايلي:

«... إنه لا يناسب في الوقت الحاضر وضع اليد على تلك الجزيرة علناً وعياناً...»[١].

فلا يبقى أمام خورشيد باشا سوى مواصلة جهوده الذاتية لإبرام معاهدة الجزية والحماية مع شيخ البحرين.

ومن جانب آخر، فإن حكومة بومباي، رغم تأخرها في الإجابة على طلب الحماية الذي رفعه الشيخ عبدالله بن أحمد، لا تهمله تماماً، إذ تطلب من المقيمية البريطانية في بوشهر إعداد تقرير عن أحوال البحرين، فترفع الإدارة السياسية في المقيمية تقريراً طويلاً، تضمن معلومات إضافية عن موقع البحرين ومساحتها وزروعها وجوها ومواردها وتكوينها السكاني وقوتها

العسكرية، وعلى العكس من تقرير محمد رفعت أفندي، نجد في تقرير مساعد المقيم البريطاني، فقرة عن الأحوال السياسية تفيد بمايلي:

«... في السنوات الأخيرة تدنى نفوذ شيخ البحرين بسبب تمرد أبنائه والخلاف الذي نشب في أوساط أقاربه الآخرين الذين يفترض بأن بعضهم، وخاصة عائلة خليفة ابن أخيه، على وفاق مع الإمام(*). أما بالنسبة لهرب عيسى بن طريف بصحبة ٤٠٠ من أتباعه قد أضر كثيراً بالشيخ عبدالله، والأكثر من ذلك هو أن هذا الشخص البالغ الشجاعة والحيوية قد تحالف مع حكومة مسقط، وربما استخدم نفوذه في الترويج لخطط خورشيد باشا بشأن البحرين»[٢].

لقد كان الاعتقاد لدى شيخ البحرين والمقيمية البريطانية، هو أن خورشيد باشا سيستغل العداء القائم بين الشيخ عبدالله بن أحمد والشيخ عيسى بن طريف، لحض الأخير على الاشتراك معه في إخضاع البحرين، بما يمتلكه من سفن وأتباع، لقاء إعادة حقوقه وتمكينه من الانتقام من آل خليفة للمحنة التي دفعوه إليها هو وقبيلته البنعلي.

وهذا الاعتقاد هو السبب الرئيسي الذي سيجعل السلطات البريطانية تعمل على إبعاد الشيخ ابن طريف من كل الساحل الغربي. لكننا سنجد أن هذا الاعتقاد لا أساس له من الصحة. ثم إنه يحدد الكلفة التي على الشيخ عبدالله بن أحمد أن يدفعها لقاء الحماية البريطانية، فيقول بهذا الخصوص:

«إن مقدار الدعم المالي المطلوب للشيخ عبدالله بن أحمد في سبيل تخليص نفسه من الخضوع لنائب حاكم مصر، ربما كان مرهوناً بوعد حمايته من قبل الحكومة البريطانية، ولا يمكن البت في ذلك دون مناقشة الأمر مع شيخ تلك القبيلة، لكنني أعتقد بأنه، في الظرو لاحالية، غير قادر على دفع مبلغ يزيد على عشرة آلاف دولار سنوياً من عائدات البحرين.

عموماً، أشار البعض إلى أن شيخ العتوب يملك أموالاً تصل إلى مئات الآلاف

من الدولارات، وإذا ما صح ذلك فلربما اضطرته مشكلات وضعه الحالي إلى تقديم مبلغ نقدي كبير في سبيل تأمين ممتلكاته من الأرض وغيرها»[1].

من الواضح أن أسلوب هذا التقرير يتخذ طاع صفقة مالية. إذ يبدو أن السلطات البريطانية لم تكن تضع مكانة خاصة في اعتباراتها للبحرين، إلا بقدر تعلق الأمر بالأمن العام في الخليج، فيكون حالها كحال كيانات ساحل عمان، وهي حين تهتم في هذه الظروف بعلاقة البحرين بالتوسع المصري، فليس ذلك إلا لأن خورشيد باشا يريد أن يجعلها محطة انطلاق هجومية نحو الشمال. وكان الشيخ عبدالله على علم بهذا، فلطالما كان يشكون من تعامل السلطات البريطانية معه، في كونها لا تمنحه الاعتبار، كما تفعل مع كيانات ساحل عمان، وهي تجيز لعيسى بن طريف شن الحرب عليه، ولا تقدم له العون فيما يخص خضوعه أو معارضته لمصر[1].

بقيت الاتصالات قائمة بين خورشيد باشا، بواسطة وكيله محمد رفعت أفندي، والشيخ عبدالله بن أحمد، شيخ البحرين، حتى أواخر شهر مايو من عام ١٨٣٩م، وكان قد وافق منذ شهر فبراير على التفاهم مع خورشيد باشا حول شروط اتفاقية بين الجانبين. فذهب إليه محمد رفعت أفندي في خور حسان على ساحل قطر في أوائل مايو ١٨٣٩م، للتباحث بشأن المعاهدة بين الجانبين، ولأن وكيل خورشيد باشا، قد سمع إشاعات في الأحساء عن اتصالات أجراها مبعوث من بلاد فارس مع شيخ البحرين، وكذلك زيارة مساعد المقيم البريطاني للشيخ عبدالله بن أحمد، وأنه قد عرض عليه الحماية البريطانية مدة عشرين عاماً دون مقابل، فإن كلام محمد رفعت أفندي يكون مبطناً بالتهديد حيث يقول لشيخ البحرين:

«لكون أن جزيرة البحرين تابعة لحكومة نجد من السابق، وحينئذ أفندينا قد استولى على نجد وما يتبعها من ثغور مثل القطيف والحسا، وأنتم والحسا حال واحد، فلا يمكن حينئذ ترك البحرين، إلا بعد العجز عنها، والحمد لله شايف سعادة أفندينا ليس عاجز، ونحن نريد قطع الجواب معك، حتى نعرف مرادك...»[1].

● وتبريراً لماطلاته، يجيب الشيخ عبدالله بن أحم قائلاً:

« .... أما العجم فإنهم أرادوا أن أكون من تبعيتهم، وكاتبوني. وأنا في السابق كنت متوقف معكم خوفاً منكم، لأننا قد سمعنا عنكم أنكم تفعلوا بالرعايا أموراً عظيمة، وحيث من مدة توجهك من عندنا سابق، لغاية تاريخه، صرنا نحث عن أفعالكم، مع غيرنا، فلم نرى، أنه وقع مما يذكروه الناس شيئاً. وحينئذ قد تركت الخوف منكم، وبهذا السبب لم يحصل بيني وبين العجم اتفاق، ولا أعطيتهم جواباً، وأما الإنجليز، فإنهم لما علموا أنكم تريدونا نبتعكم، فصار منهم ما صار، من تعدد جواباتهم إلينا، وترددهم لطرفنا، وفي

كلام الإشارة بأنهم يريدونا... لكن علمنا أنهم لا يحمونا منكم، وبسبب معاملتكم لغيرنا بالإنصاف رأينا أن تبعيتكم مأمونة العاقبة لاسيما أن العجم على مذهب الروافض، والانكليز من غير الملة الإسلامية، فحينئذ يجب اتباع سعادة أفندينا، خورشيد باشا...»[1].

وبهذا وضع الشيخ عبدالله بن أحمد حداً لكل تردداته تجاه عروض خورشيد باشا، وفتح الباب إلى ارتباط سيُغضب عيه السلطات البريطانية، ويوقع على معاهدة لا تعني سوى التبعية الكاملة لخورشيد باشا. إذ تقول هذه المعاهدة: «إنه قد وقع الصلح... فصار العهد على أنه صديق لصديق أفندينا خورشيد باشا، وعدو لعدوه وأن عليه زكاة البحرين من حول السنة، إلى حول السنة، ثلاثة آلاف ريال فرانسة، لعبدالله بن أحمد، منها خاصة، سبعمائة وخمسين ريال، والباقي ألفين ومائتان وخمسين ريال يدفعها سنوي، إلى المشار إليه، من ابتداء حوالي سنة ١٢٥٥... إذا أراد سعادة أفندينا إرسال عساكر إلى جهات مثل عُمان وغيرها، فيلزم منه المساعدة بإرسال المراكب من طرفه لحمولة العسكر. فقال: لا بأس، ولو يريد أفندينا المشي على البصرة أو بر العجم أو عُمان أو غيرها، فأنا أسير المراكب والرجاجيل الذي عندي مع عساكر، إلا الكويت، فإن أميرها الذي هو جابر بن صباح، فإنه ابن عمومتنا، ولا يمكننا المشي عليه بحرب...»[2].

ولم يكن خورشيد باشا يطمح بأكثر من ذلك، إذ أن الجزية، على الأخص بمثل هذا المبلغ الصغير، لم تكن هدفه، وكان قد كتب لشيخ البحرين منذ بداية شهر مارس عام ١٨٣٩م بأن (الدارهم إن كثرت أو قلت فليس لها عندنا حساب... لأن ليس مرامنا نأخذ منكم فلوس...)[3]، بل كان يطمح بتبعيتها له.

ما يهمنا في بحثنا هذا هو ما ورد في المعاهدة بشأن شبه جزيرة قطر، فهذه هي أول وثيقة رسمية تتناول العلاقة بين الشيخ عبدالله بن أحمد وقطر، فيما يخص نفوذه فيها، إذ نجد تحديداً لمنطقة هذا النفوذ، وتثبيتها كما

كانت عليه قبل المعاهدة، حسب طلب الشيخ عبدالله بن أحمد نفسه، كما نفهمه من متن المعاهدة التي تحوي تفاصيل الاشتراطات بين الطرفين. وهذا التحديد يرد في الورقة التي يعطيها محمد أفندي بعد ختمها بتوقيعه إلى الشيخ عبدالله بن أحمد، قبل تنظيم المعاهدة ونقرأ فيها:

«وأهل بلدان ساحل بحر قطر تحت يده، ليس لأحد غيره تسلط عليهم والقوانين الذي له عليهم من سابق فهي له...»[1].

● أما المعاهدة فإن الفقرة الخاصة بقطر تقول مايلي:

«من حيث إن بلدان قطر، محل بينه وبين الحسا في البر مسافة خمسة أيام، في طريق عمان، وبها أربعة قرايا على ساحل البحر، وأهلهم في عشش هم صيادين أسماك، وفيهم بعض غواصين، وشرط في ورقته أن يكونوا طرفه كما كانوا عليه من سابق، فشرطنا له على ذلك، ولكن من حيث إن خلفهم عربان بدو كذلك، من أهل قطر، وكان في العادة أن زكاتهم لحاكم بدو، يكون عندهم مواشي، إبل وغنم، فشرطنا عليه أن يكونوا رعية لسعادة أفندينا، وأن جميع ما عنده مواشي، حضري وبدوي في قطر، لابد من زكاته، ورضي بذلك...»[2].

فنجد أن ما جاء في المعاهدة إنما يحدد ما جاء في ورقة رفعت أفندي: فإن «بلدان ساحل بحر قطر» هي أربع قرى، يمكننا تحديد موقعها في الساحل الشمالي من قطر، قريباً من مصائد اللؤلؤ، ومن البحرين، وتربطها مهنتها بتجار البحرين، وعلى الأخص الشيخ عبدالله بن أحمد، بصفته من كبار تجار اللؤلؤ في الخليج وذا علاقة تجارية قديمة مع المدن الساحلية القطرية. وستبقى هذه القرى على وضعها السابق قبل توقيع المعاهدة، فيكون شيخ البحرين هو من يستحصل الزكاة منها، أما بقية قطر، فهي من حصة خورشيد باشا، وكذلك من حصته مواشي القرى الأربع من إبل وغنم، وهذا يحدد نفوذ الشيخ عبدالله بن أحمد بنشاط الغوص على اللؤلؤ في تلك القرى الأربع، كما تذكره المعاهدة صراحة. إذ إن هذه القرى بقيت تحت

زعامة القبائل التي تقطنها، ولم يحدث أي تبديل في هذه الزعامات. إننا لا نجد أي معنى لهذه القسمة سوى أنها قسمة اقتصادية، محددة بالجزية، وليست جغرافية ولا سياسية، لأنها أبقت الأحوال على ما كانت عليه في السابق، ولم يكن هذا سيحصل فيما لو كانت قطر، بمدنها الساحلية وبرها، تحت زعامة واحدة، أو حتى تحت نفوذ واحد.

وفي تلك الفترة كانت المناطق المدينية في قطر قد تقلصت إلى حد كبير، بعد عقود من الاضطرابات والهجرات، فكانت المدن تتعرض للتدمير على أيدي أهلها قبل أن يهجروها أو تتعرض لاعتداء خارجي، كما حدث للزبارة والحويلة التي هجرها البنعلي، وكانت في السابق عاصمة آل مُسلم في قطر أيام بني خالد، وللوكرة، التي أحالتها هجرة البوعينين منها خرائب مهجورة، وغيرها من المدن التي حفظت الوثائق أسماءها، واختفت نهائياً أو عادت إلى الظهور بعد تدميرها وهجرها مثل البدع. أما المدن الأخرى التي كانت قائمة عند توقيع المعاهدة فهي خور حسان التي صارت مقر الشيخ عبدالله بن أحمد وملجأه من مشاكل البحرين، وفويرط وفيها العتوب من المعاضيد والبوكوارة وعليهم الشيخ محمد بن ثاني، والبدع التي كان عليها سالمين بن ناصر السويدي.

إن المعاهدة قد منحت الشيخ عبدالله بن أحمد السلطة المطلقة في البحرين، واستيفاء الجزية من أربع قرى ساحلية في قطر، وحكم الدمام على شرط عدم إلجاء المعادين لخورشيد باشا إليها والامتناع عن استيفاء الجزية من غواصي القطيف.

ومن ناحية ثانية لم تكن المدن والقبائل القطرية تدفع الجزية لأية جهة خارجية، منذ انتهاء حكم بني خالد، وكانت تدفع الزكاة كفريضة دينية إلى السعوديين عند مجيئهم إلى الحكم في نجد. وكنا عرفنا في الصفحات السابقة أن الشيخ عبدالله بن أحمد هو من كان يدفع المكافآت للقبائل القطرية، كسباً لولائها، وأن انقطاعه عن دفعها قد أعفى تلك القبائل من

تقديم ولائها له، مما أدّى إلى ذلك التصادم بين شيخ البحرين والقبائل القطرية في عام ١٨٣٣م، حين طلب ولاءا في حربه مع الإمام تركي بن سعود.

لقد صارت المعاهدة بين شيخ البحرين وخورشيد باشا سبباً إضافياً في ازدياد سوء الأحوال في البحرين واستياء أهلها، كما صارت الجزية سبباً لتمرد القبائ القطرية واضطهادها، إذ أنها لم تكن معتادة على دفع الجزية، ففيما يخص البحرين، بعث وكيل السلطات البريطانية فيها تقريراً عما يجري داخل البحرين يقول فيه:

«بما أن الشيخ عبدالله بن أحمد عديم الثقة كلياً ويواصل اتصالاته مع خورشيد باشا ويدأب على مراسلته، لمجرد التباهي أحياناً، فإنه يدّعي بأن القائد المصري صديقه. بعض القبائل عبّرت عن استيائها لشيخ البحرين وأخبرته بأن تصرف الحكومة البريطانية قد كان أفضل كثيراً من تصرف المصريين، فأجابهم بالنفي، وقال بأن الحكومة المصرية أفضل لنا، وأعلنت جميع القبائل بأنها تخشى أن يضعها الشيخ عبدالله بن أحمد تحت نير المصريين، وأن معارضتهم لما صمم عليه سيثير سوء التفاهم حيث سيكون السلب وسفك الدماء عاقبتين حتميتين»[1].

وكانت القبائل القطرية تعاني من ممارسات الشيخ عبدالله بن أحمد وخورشيد باشا ومن تحالفهما. ففي أكتوبر من عام ١٨٣٩م، أرسل محمد رفعت أفندي مجموعة مكونة من ٧٠ خيّالة خورشيد باشا، ومعهم عدد من عرب المخضبة إلى ساحل قطر للإغارة على قبيلة النعيم وتخريب مراعيهم ونخيلهم. وفي تقريره المرفوع إلى حاكم بومباي عن هذه الحادثة، يوضح المقيم البريطاني في الخليج مايلي:

«يقال إن محمد أفندي، بتحريض من شيخ البحرين عبدالله بن أحمد، قد طلب من قبيلة النعيم تسديد متأخرات الجزية لحساب الباشا، وجاء ردّ النعيم برفض الانصياع، قائلين إنهم لا يعترفون بالولاء لا للشيخ عبدالله بن

أحمد ولا للباشا. وعندما نق الشيخ هذا الرد إلى محمد أفندي، أرسل هذه الحملة إلى ساحل قطر»[1].

وقد فشلت هذه الحملة في تحقيق مهمتها في إخضاع قبيلة النعيم، نتيجة للمقاومة الشديدة التي أبداها النعيم، وكذلك لورود نبأ عن مقتل محمد رفعت أفندي على أيدي بعض العرب في ضواحي الأحساء[2]، بل وسيضطر خورشيد باشا إلى تعويض قبيلة النعيم عن ممتلكاتها التي سلبت منها في تلك الحملة، بعد مرور شهر[3].

فكانت قبيلة النعيم هي القبيلة القطرية الثالثة التي ترفض نفوذ الشيخ عبدالله بن أحمد، والمصريين معاً، وكانت سبقتها قبيلتا البنعلي والبوعينين اللتان رفضتا نفوذ نفوذ شيخ البحرين لانعدام أي تأثير له على المتعدين من أفراد الأسرة الخليفية، وستتبعهم في هذا الرفض قبيلة البوكوارة.

ويبعث صمويل هينيل، المقيم البريطاني في الخليج، تقريراً عن الأحوال في البحرين وقطر أثناء فترة المعاهدة بين عبدالله بن أحمد وخورشيد باشا، إلى العقيد كاميل الممثل والقنصل العام لجلالة الملكة في مصر، يقول فيه:

«... إن خضوع عبدالله بن أحمد، شيخ البحرين، إلى خورشيد باشا، والأعباء المتزايدة المفروضة على رعاياه، قد أثارت أعظم السخط والنفور لدى كل الفئات، الذين سيفضلون، على حدّ علمي، حماية الحكومة البريطانية على الارتباط القائم حالياً بين شيخهم والمصريين. لقد بلغ السخط مبلغاً عظيماً بحيث إنهم لولا معرفتهم بممانعتنا إثارة الاضطراب في استقرار الخليج، وخوفهم من عاقبة تدخلنا، فلدي ما يدفعني إلى الاعتقاد بأن قسماً كبيراً من القبائل في البحرين ستغادر الجزيرة، ثم تتحد معاً، وتحاول إزاحة الشيخ عبدالله بن أحمد من سلطته.

... وصلت إلى هذا المكان تواً أخبار موثوقة عن حملة مباغته أرسلها محمد أفندي الحاكم المصري للأحساء ضد القبائل العربية القاطنة في ساحل قطر «اسم الذراع الشرقي من البر الذي يطوق جزيرة البحرين ينتهي في

رأس ركن، وتسكنه بشكل رئيسي قبائل البوكوارة» وبعد تدميرها تلك المنطقة، تم صدّها وإرغامها على الانسحاب، ويفترض أن هذه الغارة قد تمت بتحريض من الشيخ عبدالله بن أحمد، الساخط جداً على أتباعه في البر لمعارضتهم وكراهيتهم لارتباطه مع خورشيد باشا...»[١].

وفي نفس هذه الفترة تحركت القبيلة القطرية الرابعة وهي قبيلة البوكوارة في اتجاه الانفصال والابتعاد عن مناطق نفوذ شيخ البحرين وخورشيد باشا، ففي أكتوبر من عام ١٨٣٩م كتب المقيم البريطاني في الخليج إلى حكومة بومبي:

«... إن محمد بن سعيد ابن شيخ قبيلة البوكوارة، وهي فرع من قبيلة العتوب، وتقطن بشكل أساسي في فويرط، ويبلغ عدد أفرادها ٢٠٠٠ شخص، قد وصل إلى جزيرة خارج هذا الصباح، وقام بزيارتي على الفور، إن هذا الشيخ (وهو الشيخ الفعلي لقبيلة البوكوارة بسبب عمى والده ومرضه) قد أعلمني أنه لنفوره من خضوع الشيخ عبدالله بن أحمد للمصريين، وخشيته من إخضاعهم لنفس الظلم الذي مارسه محمد أفندي تجاه أهل الأحساء، فإنه مع قسم من قبيلته القاطنين في البحرين قد عزموا على مغادرتها، ولهذا فهو يتوق إلى وضع نفسه وأتباعه في أية منطقة يمكنهم الإقامة فيها تحت حماية الحكومة البريطانية، وانطلاقاً من هذا كان يأمل أن أزوده برسائل إلى شيخ البحرين، أطلب منه فيها السماح للبوكوارة (وهم في البحرين بحدود ٣٠٠ أو ٤٠٠ رجل) للانتقال مع عوائلهم من تلك الجزيرة إلى فويرط في البر)[١].

وعلى الفور يجد المقيم بأن قضية الشيخ محمد بن سعيد شيخ البوكوارة شبيهة جداً بقضية الشيخ عيسى بن طريف وقبيلة البنعلي، ومغادرتهم إلى أبوظبي قبل سنوات قليلة، فيعبّر المقيم عن رأيه بقوله:

«سرعان ماتأكد لي أن السبب الحقيقي لمحنتهم يكمن في التصرفات المتعجرفة والشاذة لأبناء الشيخ عبدالله بن أحمد وأبناء أخوته، لذا أجبت

الشيخ بأنه لا يمكن للحكومة البريطانية التدخل بين زعيم مستقل ورعاياه وأنها ستنظر بكثير من الاستياء إلى انفصال قسم كبير ومؤثر آخر من القبيلة عن سلطة الشيخ عبدالله، ثم أوصيتهم بشدة بأن لا يعانوا من نفس الخسائر والمصاعب اليت عانى منها عيسى بن طريف، وبأنهم إذا غادروا البحرين بالضد من رغبة رئيسهم الأعلى فإن عليهم أن يتحملوا العواقب، غير أن الحكومة لن تسمح للاستقرار العام في الخليج أن يتعرض للاضطراب بالمنازعات الداخلية والانشقاقات في أية قبيلة تقطن سواحله... وفي مقابلة لاحقة مع ميرزا حاجي أحمد، أكد له شيخ البوكوارة أنه باستثناء القلة من أتباع الشيخ عبدالله بن أحمد الشخصين وذوي الصلة بوزيره حاجي بوشهاب، فليس هنالك شخص ذي نفوذ في الجزيرة ليس في نفور تام من تصرفه، وأنهم لا يريدون سوى زعيم يوحّدهم معاً لإزاحته من زعامة السلطة في البحرين»[٢].

لقد دخل شيخ البحرين في هذه المعاهدة مع خورشيد باشا، في حين أن أياً من كيانات عمان لم يدخل في أي اتفاق مع قائد القوات المصرية، بل إن شيخ البحرين هو الشيخ الوحيد الذي دخل في معاهدة معه في كل الساحل الغربي من الخليج. وقد كانت السلطات البريطانية في الخليج تخشى من أمر الحماية هذا، ليس فقط لأن خورشيد باشا سيفيد منها في بسط نفوذه على الجزيرة، بل كذلك لأن شيخ البحرين يواجه مشاكل خطيرة داخلية وخارجية قد تدفعه إلى استجلاب القوات المصرية إلى البحرين لحماية حكمه.

بعد شهرين من هذه المعاهدة، قام المقيم البريطاني بجولة على الموانىء الرئيسية في المنطقة، فبدأ بزيارة الشيخ عبدالله بن أحمد، ليحتج على معاهدته مع خورشيد باشا. يقدم شيخ البحرين تبريراته التي يقول فيها، إنه قد فقد أي أم في الحصول على مساندة بريطانيا أو مساعدتها، ووجد نفسه وحيداً وفي حرب مع أبوظبي، وتجارته تتعرض لمضايقات عيسى بن

طريف، ورعاياه في بر قطر يخضعون بأعداد كبيرة لخورشيد باشا، الذي يهدده بالغزو، وقال أيضاً بأنه وكل العرب الآخرين يكرهون أشد الكره الارتباط أو الخضوع لحكم المصريين، وإذا كانت الحكومة البريطانية ستعطيه تعهداً مكتوباً وواضحاً لحمايته من اعتداءات خورشيد باشا والقبائل العربية المرتبطة به، فإنه سيلغي أي ارتباط في المستقبل مع الباشا... وفي النهاية أضاف:

«بأنه قد تخلص من شيطان ضاغط بتقديم تضحيات بسيطة نسبياً»[١].

وبهذا يكون شيخ البحرين قد وضع السلطات البريطانية أمام الأمر الواقع، لأنها لم تكن قادرة على إبعاد البحرين عن نفوذ القوات المصرية، ويبدو المقيم البريطاني على إدراك تام بأنه في حالة طلبه من شيخ البحرين إلغاء المعاهدة مع خورشيد باشا، فإن عليه أن يقدم بديلاً يطمئن الشيخ عبدالله أحمد إلى وجود سند قوي يدعمه في سلطته، فهو قد كتب إلى حكومة بومبي قائلاً:

«على الرغم من اعتراضنا على إبرامه مثل هذه الاتفاقية، بعد وعده النقيب إدموندر بأنه سيتصل بالمقيمية هنا قبل أن يضع نفسه تحت حماية أية قوة أجنبية، فإنني لازلت أعتقد بأن من الصعب أن نصرّ على ضرورة إلغائه الاتفاقية، مالم نهيئ أنفسنا لحمايته من كل العواقب...»[٢].

أما عمان فقد حاول خورشيد باشا مد نفوذه إليها، وعلى الأخ إلى كيانات ساحل عمان. إذ كان أرسل سعيد بن مطلق على رأس قوة لاحتلال البريمي، كي ينفذ منها إلى عمان. لكن ابن مطلق يلتقي حمد بن يحيى النائب السابق للإمام فيصل في البريمي، في منطقة قرب رأس الخيمة، عائداً إلى نجد، بسبب أن قبيلة النعيم أخرجته من البريمي، وقتلت بعض أتباعه، وجردت قواته من أسلحتها، فلا يجد سعيد بن مطلق سوى الإقامة في الشارقة مع قواته، وإعلام خورشيد باشا بما آلت إليه الأحوال في البريمي[١]، وقد طلب ابن مطلق من الشيخ سلطان بن صقر حض قبيلة النعيم على تسليم البريمي لقواته، فجاء رد النعيم هو أنهم يفضلون دفن أنفسهم تحت أنقاض المكان بدلاً من تسليمه[٢]. ويبدو أن هذه الصلابة التي أبدتها قبيلة النعيم، تستند إلى الظروف الجديدة التي خلقتها تحركات خورشيد باشا تجاه ساحل عمان: فحين زارهم مساعد المقيم البريطاني اجتمع كل شيوخ ساحل عمان الشمالي على ظهر سفينته، واتفقوا على توحيد كلمتهم وتسوية خلافاتهم ونسيان أحقادهم، والوقوف ضد خورشيد باشا ووكيله سعيد بن مطلق في عمان. فكانوا يعبرون عن كراهية عامة لخورشيد باشا وقواته المصرية[٣]. وفي الحقيقة أن هذه هي المرة الأولى في كل تاريخ المنطقة الموثق، التي يجتمع فيها معاً مثل هذا العدد من شيوخ الساحل تحت سقف واحد، وأن يتفقوا على موقف موحد، يدعم قبيلة النعيم في تحديها في البريمي، ويقف ضد خورشيد باشا وتهديداته.

ورغم أن هذا الموقف الموحد لا يدوم أكثر من شهرين، تعود بعدها الاضطرابات والخلافات إلى كيانات ساحل عمان[١]، ربما بسبب تحركات سعيد بن مطلق، واتصالاته، إلا أن السلطات البريطانية، تجاه ذلك التآزر والصمود من لدى شيوخ كيانات ساحل عمان ضد خورشيد باشا وممثله

سعيد بن مطلق، قد ألزمت نفسها في عام ١٨٣٩م، ولأول مرة منذ تواجدها في الخليج، بدعم القبائل العربية بالسلاح والذخائر، كأكثر ما يمكن أن تفعله بدل الحماية[٢].

انسحاب القوات المصرية

في بداية عام ١٨٤٠م، أصدر محمد علي باشا، حاكم مصر، أوامره إلى خورشيد باشا بالانسحاب من منطقة نجد والأحساء، وكانت المفاوضات ماتزال جارية في لندن بين الدول الأوروبية للحد من التوسع المصري على حساب الدولة العثمانية، إضافة إلى أن الأسطول البريطاني قد حاصر الإسكندرية، وحصل من محمد علي باشا على تعهد بإيقاف عملياته خارج مصر، والتزام حدودها في حكمه، ثم جاءت اتفاقية لندن في شهر يوليو من عام ١٨٤٠ لتصادق على هذه الشروط، ملزمة محمد علي باشا بسحب كل قواته الموجودة خارج مصر[١].

ويبدو أن خورشيد باشا، قائد القوات المصرية في نجد والأحساء، قد استغل فترة انتظار انسحابه، في التجارة الشخصية[٢].

لكنه يُصاب بنكسة في الأحساء، إذ يفلح ثلاثة من العرب في قتل وكيله محمد رفعت أفندي، وبعد التحقيقات ينتهي خورشيد باشا إلى أن القتلة من بني خالد، فيضع شيخهم برغش وبقية الشيوخ في سجن في الأحساء[٣]. ثم يعمل خورشيد باشا على قتل الشيخ برغش، شيخ آل حميد[*]، في عملية يصفها المقيم البريطاني بأنها عملية اغتيال، إذ ليس هناك ما يثبت تورطه في مقتل حاكم الأحساء محمد رفعت أفندي[٤].

وفي منتصف شهر مايو من عام ١٨٤٠م، بعث ميرزا محمد علي وكيل السلطات البريطانية في البحرين تقريراً إلى المقيم البريطاني يقول فيه:

(يشرفني أن أبلغ عن تلقي معلومات استخبارية اليوم، أفادت بأن القوات

المصرية في الأحساء قد تحركت إلى خارج المدينة... وتحرك خورشيد باشا من ثرمدا، ولكنه ينتظر وصول حامياته من الأحساء ليبدأ في المسير. وقد أحال القائد المصري كل البيوت إلى حالة من البؤس الكامل، وقام بجمع أموال كثيرة، ولكن معظم الناس هربوا إلى البحرين والكويت والزبير والبصرة، بينما كان كل فرد يصرخ بالشكوى، وبدأ البدو بالسلب والنهب»[1].

(❖) وكان ذلك في الفترة الواقعة بين الدولة السعودية الأولى والثانية.

(١) R/15/79. pp. 90-91. 22 Jan. 1839

(٢) R/15/79. pp. 85-88. 14 Jan. 1839

(١) R/15/79. pp. 88-90. 7 Feb. 1839

(❖) هو عبدالجليل الطباطبائي، الأديب والشاعر المعروف، وله ديوان شعر وكان من أهل الزبارة.

(٢) R/15/79. pp. 112-113. 14 Feb. 1839

(١) R/15/79. pp. 95-97. 20 Feb. 1839

(٢) المصدر نفسه.

(١) الوثيقة (٢) أصيلة، (٣٧) حمراء، في ٤ أبريل ١٨٣٩ - (من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي باشا) اختيار وإعداد وتحقيق د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، دار المتنبي للنشر والتوزيع، الدوحة - قطر، المجلد الأول، ٦٥٧).

(٢) ملحق الوثيقة (٣)، المصدر نفسه، ٦٦٢-٦٦٦.

(١) المصدر نفسه، ٦٦١.

(❖) المقصود إمام مسقط.

(٢) R/15/79. pp. 151-154. 2 Mar. 1839

(١) المصدر نفسه.

(١) R/15/79. pp. 13-25. 29 Mar. 1839

(١) من وثائق شبه الجزيرة العربية، مصدر مذكور، ٦٨٢.

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، ٦٨٦.

(١) المصدر نفسه، ٦٨٤. وهذه الورقة تتضمن الخطوط العامة للمعاهدة، وهي بمثابة

مسودة أولية لها، يتم العمل بموجبها، إلى أن تحصل المصادقة على المعاهدة من قبّل محمد علي باشا، حاكم مصر.

(٢) المصدر نفسه، ٦٨٥.

(٢) المصدر نفسه.

(١) R/15/1/84. pp. 51-55. 12 Oct. 1839

(١) R/15/1/80. pp. 128-129. 21 Vov. 1839

(٢) المصدر نفسه.

(٣) R/15/1/85. pp. 128-129. 21 Vov. 1839

(١) R/15/1/80. pp. 736-737. 26 Oct. 1839

(١) R/15/1/84. pp. 48-52. 18 Oct. 1839

(٢) المصدر نفسه.

(١) R/15/1/80. pp. 407-432. 4 July 1839

(١) R/15/1/71. pp. 190-209. 30 May 1839

(١) B.S 164

(٢) R/15/1/80. pp. 290-301. 7 Mat. 1839

(٣) R/15/1/81. pp. 44-56. 18 May 1839

(١) R/15/1/79. pp. 190-190. 31 May 1839

(١) L/P&S/5/375. pp. 196-107. 1 May 1839

(١) محمد باشا ومصر، البكياشي عبدالرحمن زكي، دار الكتاب العربي بمصر، بدون تاريخ، ٤٨ و٧١.

(٢) R/15/1/85. pp. 147-149. 24 Jan. 1839

(٣) R/15/1/85. pp. 164-166. 10 Feb. 1839

(❖) وهم شيوخ بني خالد، حكام إقليم البحرين سابقاً، وبمقتل برغش يكون حكمهم قد انتهى إلى الأبد.

(٤) R/15/1/93. pp. 21-22. 8 June 1839

(١) R/15/1/85. pp. 223-224. 15 May 1839

التنافس البريطاني العثماني على النفوذ في أقطار الخليج العربي خلال القرنين ١٨ و ١٩ الميلاديين

إعداد

دكتور عبدالرحمن بن عمير الجبر النعيمي

جامعة قطر - كلية الإنسانيات

قسم التاريخ

إهداء لأستاذي الأستاذ الكبير رأفت غنيمي الشيخ، تقديراً وعرفاناً على ما بذله نحوي ونحو كل تلاميذه من أبناء دولة قطر والدول العربية الأخرى من جهود علمية ستظل تطوق أعناقنا ما حيينا، أدعو الله أن يمتعه بالصحة والعافية، إنه سميع مجيب.

مقدمة :

في بداية القرن السابع عشر كانت البرتغال هي الدولة الأوروبية الوحيدة الموجودة في الخليج العربي، وكانت تركيا هي الدولة الوحيدة التي بدأت تنازعها السيادة في ذلك الخليج. فبينما كان البرتغاليون يحتفظون بسواحل عمان وجزر هرمز والبحرين، كان العثمانيون يسيطرون على الفاو والكويت والإحساء والقطيف، وكانت هناك أسباب عديدة وراء الزحف العثماني نحو الوطن العربي[1] بصفة عامة والخليج العربي بصفة خاصة، والتي لا تخرج في مجملها عن رغبة الدولة العثمانية في التوسع والانتشار والوقوف بالمصالح الأوروبية في الخليج على حافة الخطر.

بداية النفوذ البريطاني في الخليج :

كانت بداية علاقة الإنجليز بالخليج عن طريق الشركات التجارية، وبالأخص شركة الهند الشرقية الإنجليزية، والتي بدأ تكوينها في ٢٣ سبتمبر تحت اسم «اتحاد التجار المغامرين» بهدف الاتجار مع الشرق. دفع هؤلاء التجار المتحدون رأسمالاً قدره ثلاثون ألفاً بهدف الاتجار مع الشرق، فوجهت الملكة مستر جرانفيل F. GRANVILLE لبحث الأمر، فأوصى جرانفيل بإقراره، ومن ثم صادقت الملكة بموجب مرسوم ملكي على الشركة تحت اسم :

(The Gorenmer and the Company of Merchants of london thading into East Indies)[٢] وقد بدأت الشركة أن نشاطاتها إذ تحركت أول رحلة من ميناء وولدوش Waldwich في ١٣ فبراير ١٦٠١ وكانت بقيادة الكابتن/ جيمس لانكستر.

وقد نجحت الرحلة الأولى للشركة نجاحاً كبيراً، حتى أنها عادت بعد عامين إلى لندن ببضائع كثيرة عجزت عن تصريفها، وكان ذلك اكتشافاً مبهراً للدبلوماسية البريطانية وبداية الدور البريطاني في الشرق والخليج العربي وذلك في الوقت الذي كان فيه الخليج يشتعل صراعاً بين القوى البرتغالية والفارسية والتركية التي تقدمت على استحياء نحو الخليج.

على أية حال فإن نجاح الرحلة الأولى لشركة الهند الشرقية الإنجليزية أغرى مديريها للإعداد والقيام برحلات أخرى عديدة غير أن الشركة قررت أن تكوّن لها أسطولاً محلياً ليعين تجارتها في المنطقة ويقويها ضد سياسة البرتغال التي ما كانت دون الحصول منهم على تصريح يخل لها ذلك وبدأ الأسطول البريطاني بالسفينة دلفن Dolphin وهويل Whale و٤ فرقاطات فكان ذلك نواة الأسطول البريطاني في المنطقة[١].

وكان ذلك مدعاة لتحرش القوى الأجنبية الأخرى في الخليج مع بريطانيا، فدخلت بريطانيا في سلسلة من المنافسات متداخلة ومتشابكة مع القوى

البرتغالية ثم الهولندية والفرنسية، ونتيجة لهذا التزاحم الدولي في الخليج كان على البريطانيين النظر للأمور بنظرة جديدة إذا ما أرادوا البقاء في الخليج وتوطيد هذا البقاء. ومن ثم كان هذا الأسلوب الجديد للدبلوماسية البريطانية في الخليج والذي يتمثل في مد نفوذهم وبسط سيطرتهم على مناطق شتى منه.

والأمر الذي لاشك فيه أن القرن الثامن عشر قد شهد تنامي النفوذ البريطاني في الخليج العربي، وذلك بعد انهيار النفوذ الهولندي في الخليج عام ١٧٦٥م وانتهاء حرب السنوات السبع قبل ذلك بعامين وعلى وجه التحديد في عام ١٧٦٣م ومن ثم مكّن ذلك لبريطانيا من معاودة تثبيت نفوذها في الخليج وساعدها على ذلك أن فارس أخذت تتخلص من الاضطرابات والفوضى التي كانت تجتاحها والتي كانت تؤثر على التجارة الإنجليزية، وذلك على أثر نجاح كريم خان الزندي في تدعيم سلطته، مما مكن الإنجليز في عام ١٩٦٣م من إقامة مقيمية تابعة لهم في ميناء بوشهر[٢]، وبإنشاء تلك المقيمية تجمع كثير من المصادر على أن المرحلة الجديدة للتواجد البريطاني في الخليج تسمى مرحلة بوشهر، والتي استمرت كقاعدة للنفوذ السياسي البريطاني في الخليج العربي حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، وتحديداً حتى عام ١٩٤٦م[١] حين انتقلت منها إلى البحرين.

وفي تطور آخر في علاقة بريطانيا بالخليج نجحت الدبلوماسية البريطانية في عقد اتفاق هام مع حاكم بوشهر سعدون آل نصر في ١٢ أبريل سنة ١٧٦٣م وضع للامتيازات البريطانية في فارس شكلها النهائي إذ جاء في هذا الاتفاق مايلي:

١- إعفاء البضائع الإنجليزية المصدرة أو المستوردة من الضرائب الجمركية، مع الاختصار على ٣٪ تحصل من التجار الفرس الذين يتعاملون مع الإنلجيز.

٢- يكون للتجار والإنجليز حق احتكار تجارة الصوف ويجوز لهم الاستيلاء عليه إن ثبت مجيئه من مصدر آخر.

٣- لايجوز لأية دولة أوروبية أخرى إقامة وكالة في بوشهر طالما بقيت الوكالة البريطانية.

٤- يتمتع الوطنيون المشتغلون بخدمة البريطانيين بنفس الحماية التي يتمتع بها البريطانيون أنفسهم.

كما يسمح الاتفاق بإقامة حرس خاص لحماية الوكالة في بوشهر.

- صدر هذا الفرمان من كريم خان حينما كانت علاقته طيبة مع الإنجليز ويدل على ذلك أن الإنجليز قد عاونوا الحاكم الفارسي في انتزاع جزيرة من مهنا بن نصر الحاكم العربي الذي كان قد حرر نفس الجزيرة من الهولنديين.

على أية حال سرعان ما ساءت العلاقة بين الإنجليز والفرس في السبعينيات ويبدو أن كريم خان قد أسف على توقيع الاتفاق المذكور وكذلك توقفت أعمال وكالة بوشهر فترة من الزمن بين ١٧٧٤-١٧٨٠[٢] هكذا أصبحت بريطانيا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بدون منافس أوروبي على الأقل من الناحية الاقتصادية إذ كانت فرنسا تزاحمها في مجال السياسة.

الصراع العثماني البريطاني في مشيخات الخليج العربي :

على الرغم من أن منطقة الخليج العربي قد شهدت صراعات ومنافسات شتى بين تيارات سياسية متباينة، إلا أن أطول وأقوى هذه الصراعات جميعاً هو الذي كان بين العثمانيين (دولة الخلافة الإسلامية) وبين البريطانيين الذين رأوا في منطقة الخليج أهمية استراتيجية كبرى بالإضافة إلى أهميتها الاقتصادية.

وحاول كل طرف من طرفي الصراع أن يستأثر بالنفوذ في المنطقة دون الآخر فعلى حين كانت الدولة العثمانية ترى شرعية وجودها على أراضي المسلمين باعتبارها دولة الخلافة وأن على رأسها خليفة المسلمين الذين أمروا من لدن الله عز وجل والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالسمع له

واطاعة مادام على الحق وملتزماً بشرع الله. كان البريطانيون يرون في التواجد العثماني وتناميه في المنطقة تهديداً لاستقلال[1] الإمارات العربية.

وأمامنا رسالة من جورج بيرسي بارجر المختص بمسقط وزنجبار إلى «فوريس سكوير» القائم بعمل سكرتير حكومة الهند في بومباي، مرسلة من عدن في ٥ يونيه ١٨٦١م، وتتخلص فيمايلي[2] أنه بخصوص السياسة نحو الخليج ومشيخاته في الماضي والحاضر أسوق الملاحظات التالية:

١- تذمر القبائل العربية من المقيم البريطاني في بوشهر و وكلائه.

٢- هناك شعور عام بين القبائل بعدم الرضاء عن السياسة البريطانية.

٣- أن القبائل العربية في منطقة الخليج على استعداد لإيقاف القتال في البحر طبقاً لاتفاقية مايو ١٨٥٣م والتعامل مع المقيم البريطاني في بوشهر تحت شروط محددة.

٤- الأمر متروك لحكومة الهند البريطانية لمحاولة إرضاء القبائل العربية حتى يمكن التعامل مع المقيم البريطاني وقبول السياسة البريطانية.

وكانت الدولة العثمانية قد أخذت في بسط سيادتها على منطقة الخليج العربي بشكل جدي منذ ١٨٧٠م وذلك بفعل فتح قناة السويس الأمر الذي هيّأ للأسطول العثماني الالتفات حول بلاد العرب للوصول إلى الخليج. كذلك تولى مدحت باشا حكومة بغداد (١٨٦٩م١٨٧٢م) إذ كان مدحت بشا يمثل فريق المصلحين الذين يرون ضرورة تثبيت السلطة الفعلية في جميع المناطق التي تخضع للدولة العثمانية. كما أن الدولة العثمانية كانت في أمس الحاجة لمثل هذا الوالي القوي النشأة تعوض من خلاله ما فقدته، وتعيد به أمجاد محمد علي باشا والي مصر والذي يعد من أقوى ولاة الدولة العثمانية على الاطلاق في تاريخها ولولا أن الدول الأوروبية اجتمعت وتآمرت عليه في لندن عام ١٨٤٠م لاستطاع أن يعيد للدولة العثمانية مجدها الغابر.

هذا مع مراعاة أن محمد علي قد تعرض لشك الدولة العثمانية في مقاصده وأهدافه -على أية حال- لم يستطع مدحت باشا والي بغداد أن يكون تكراراً

لشخص محمد علي- ربما مرجع ذلك إلى تغير الأوضاع السياسة داخل الدولة العثمانية نفسها وخارجها على الصعيد الدولي.

قطر:

كانت قطر قد ارتبطت مع بريطانيا بمعاهدة عام ١٨٦٨م عندما رأت السياسة البريطانية ضرورة فصل قطر عن البحرين.

وفي هذه الاتفاقية اعترفت بريطانيا بسلطة آل ثاني على قطر وبعد عام ١٨٦٨م بداية بروز إمارة قطر كوحدة سياسية مستقلة، وقد تضمنت الاتفاقية التي عقدت بين الشيخ محمد بن ثاني والكلونيل بيلي المقيم البريطاني في الخليج وثيقتين.

أ- الوثيقة الأولى: تعهد من الشيخ محمد بعدم خرق معاهدة الأمن البحري ويتضمن هذا التعهد خمسة بنود أهمها:

١- عودة الشيخ محمد وبقية القبائل القطرية المتحافلة إلى سكنى مدينة الدوحة.

٢- عدم القيام بأي عمليات حربية في مياه الخليج.

٣- تحكيم المقيم البريطاني في النزاع بين قطر وغيرها من مشيخات الخليج.

٤- تحسن العلاقة بين قطر والبحرين.

٥- دفع مبلغ ١٥ ألف قران لحاكم البحرين عن طريق الكلونيل بيلي وتحمل هذه الوثيقة توقيع كل من الكلونيل لويس بيلي والشيخ محمد بن ثاني بتاريخ ١٢ سبتمبر ١٨٦٩ن،

ب- الوثيقة الثانية : تتضمن توزيع مبلغ ١٥ ألف قران على القبائل القطرية، وتم التوقيع عليها في اليوم الثاني بتاريخ توقيع الوثيقة الأولى أي ١٣ سبتمبر ١٨٦٨(١).

في نفس ذلك الوقت الذي برزت فيه قطر هناك نزاع على السلطة بين ابني

فيصل بن تركي وهما عبدالله وسعود واستنجد الأول بالعثمانيين غير أن العثمانيين لم يستجيبوا له إلا بعد مجيء مدحت باشا والياً على بغداد، وخرجت حملة الأحساء في أبريل ١٨٧٠م بقيادة نافذ باشا، وفي طريقها انضمت إليها قبائل عربية عديدة من القاطنة جنوب العراق، كما قدم آل صباح في الكويت لمدحت باشا العون والمساعدة، بعد أن انتزع مدحت باشا من آل الصباح اعترافاً ضمنياً بالتبعية لدولة الخلافة الإسلامية والتي ما انفك آل صباح يتنصلون منها من وقت لآخر.

على أي حال وصلت حملة مدحت باشا كما كان مرسوماً لها ولكن سرعان ما تجاوز مدحت باشا أهداف حملته المتمثلة في مساعدة عبدالله بن فيصل بن تركي على استرداد السلطة وأخذ مدحت باشا يتدخل في شؤون نجد الداخلية، حتى أن عبدالله بن فيصل قد ندم على طلبه مساعدة العثمانيين له. لأن ذلك أضاع هيبته عند الموحدين المتمسكين بمبادىء الإصلاح الديني وعلى الرغم من سعي علماء نجد للتوفيق بين عبدالله وسعود غير أن العثمانيين واصلوا تقدمهم في شبه الجزيرة العربية.

وتذكر المصادر العثمانية عند ظهور قوات دولة الخلافة في شرق شبه الجزيرة العربية وفد زعماء قبائل عربية عديدة لتقديم ولائها للسلطان العثماني في شخص قائد الحملة، وكانت بعض هذه القبائل متحالفة مع سعود بن فيصل فحولت تحالفها إلى عبدالله الذي صار يعتبر ممثلاً للسلطة العثمانية في نجد[1].

والواقع أن البريطانيين ما كانوا ليسمحوا للنفوذ العثماني بالانتشار الذي توقعه شيوخ هذه القبائل، وقد رأينا كيف أخذوا التعهدات بعدم التدخل في شؤون مسقط والبحرين والمشيخات السبعة.

وتأسيساً عل ذلك فقد أبلغت السلطات البريطانية الشيخ محمد آل ثاني في ٣١ مايو ١٨٧١م بالتعهدات العثمانية وأكدت له -مثل ما فعلت في البحرين والأمارات- بأنها تحمي (استقلال) الحكام العرب المرتبطين معها بمعاهدات.

وقد مر بنا كيف كانت بريطانيا بالإضافة إلى حداثته يختلف عن نوع ارتباط البحرين اختلافاً كبيراً ومن ثم لم يكن للتبليغ البريطاني أثر يذكر.

إذ تعمد علي باشا الصدر الأعظم في تبليغه الخاص بعدم التعرض للبحرين ومسقط أن يحذف اسم قطر من بين الأقطار التي تنوي حملة مدحت باشا تجنبها وذلك على أساس أن قطر أكثر ارتباطاً بالمجموعة الداخلية التي تشمل نجد والأحساء واستخدمت الدولة العثمانية الكويت لتكون حلقة الاتصال مع حاكم قطر وذلك لارتباط الكويت بالسياسة العثمانية رغم استقلالها الداخلي، وأن تبعيتها لتركيا لا تتعدى كونها اسمية.

والواقع أن موقف قطر من الحملة العثمانية على الأحساء أحدث نزاعاً كبيراً بين الإنجليز والعثمانيين قياساً بأي كيان سياسي آخر بالمنطقة، وذلك لاعتبارات عديدة نذكر منها:

(١) موقع شبه الجزيرة القطرية الجغرافي، إذ تمثل حداً فاصلاً بين الساحل الجنوبي للخليج الذي لا يسمح الإنجليز بوصول أي قوى خارجية إليه وبين ساحل الشمال الذي اعتادوا حتى ذلك الوقت أن يتركوا أموره المحلية للسلطات المحلية وشيوخ القبائل.

(٢) عدم انفراد الشيخ محمد آل ثاني بالسلطة في قطر فقد أخذ شأن ابنه قاسم يعلو بالتدريج وبينما عرف الشيخ محمد بميله للإنجليز إذا بالشيخ قاسم يرحب بقدوم العثمانيين ويبدي استعداده للتعاون معهم.

هذه هي العوامل التي جعلت الموقف حول قطر يحتدم بين الإنجليز والعثمانيين. فبالإضافة إلى ترحيب الشيخ قاسم بالعثمانيين نجد حاكم القبيسات خادم بني بطي يعلن تبعيته لآل ثاني.

وارتباط قطر بالدولة العثمانية مما يعني أن وصول النفوذ العثماني إلى خور العديد أمر عادي، وهو ما حدث بالفعل، فعندما تقبل الشيخ قاسم آل ثاني العلم العثماني ورفعه في أنحاء شبه جزيرة قطر، أرسل بعض الأعلام لرفعها في خور العديد، فأثار ذلك سخط الإنجليز وحرضوا حاكم أبو ظبي على

المطالبة بخور العديد مما سيثير نزاعاً طويلاً بين الإمارتين.

غير أن السلطات العثمانية لم تكتف بهذا الترحيب المعنوي من جانب الشيخ قاسم، فهو ليس الحاكم الرسمي للبلاد ومن ثم رأت ضرورة اتخاذ إجراء عسكري في قطر يقطع الطريق على الدبلوماسية البريطانية. وبالفعل صدرت التعليمات إلى القائد العثماني في الأحساء بعدم إتمام السيطر على القطيف والأحساء وأن يتجه إلى شبه جزيرة قطر للاستيلاء عليها. وذلك لأهمية قطر الكبيرة من حيث الموقع وقربها من جزر البحرين، إذ يمكن رغم التعهدات بعدم المساس بالبحرين إيجاد توازن مع البريطانيين في وسط الخليج. بالإضافة إلى مهارة القطريين في الغوص وامتلاكهم سفن صيد عديدة واتخذت الخطوات الأولى في الاستيلاء على قطر في يوليو ١٨٧١م حينما أوفد نافذ باشا قائد الحملة العثمانية الشيخ (عبدالله الصباح) في مهمة رسمية إلى قطر حاملاً فرمانات وأعلاماً عثمانية، وبهذا يكون التصرف العثماني سياسياً أكثر منه عسكرياً، غير أن المصادر قد اختلفت حول رد فعل الشيخ قاسم، فهناك من يشير إلى رفض الشيخ قاسم آل ثاني العلم العثماني واستند إلى معاهدة ١٨٦٨م مع الإنجليز غير أنه سرعان ما تغير في سياسته على إثر خلاف نشب بينه وبين سعود بن فيصل حليف بريطانيا فخشي من عمل عسكري سعودي محتمل تجاه بلاده ومن ثم طلب بنفسه قدوم العثمانيين لأنه كان يرى أن دخول بلاده فيكنف دولة كبيرة كالعثمانيين يقطع السبيل على شيوخ البحرين أو نجد بادعاء أية حقوق في قطر.

على الرغم من أن اتفاق ١٨٦٨م يعد اعترافاً ضمنياً من جانب البريطانيين باستقلال قطر عن الامارات الأخرى غير أن الشيخ قاسم وبدوافع دينية آثر التقرب من دولة الخلافة العثمانية. وأن لا يعطي الاتفاق مع الإنجليز كبير أهمية.

ومن هنا نستطيع أن نقرر أن العوامل الدينية والزعامة الروحية لدولة

الخلافة من العوامل الأولى في اجتذاب الشيخ قاسم نحو العثمانيي. كما أن الوجود العثماني وإحداثه نوعاً من الحماية من تعديات بعض القبائل المتحالفة مع سعود بن فيصل بشكل عاملاً آخر في تفضيل قاسم الارتماء في أحضان الدولة العثمانية. غير أن هذه النقطة تحتاج منا إلى دراسة وتمحيص، إذ يعول عليها كثير من المؤرخين لأنها كانت السبب المباشر لقدوم القوات العثمانية لقطر، وذلك أنه نتيجة لامتداد نشاط أعوان سعود بن فيصل إلى قطر طلب الشيخ قسم بن محمد آل ثاني مرات عديدة من السلطات العثمانية إرسال حنود لحماية بلاده، وأن الزعامة في قطر خاطبت رسمياً مدحت باشا الوالي العثماني في بغداد على أساس أنه صاحب مشروع الحملة والمسؤول عنها، وأنه إذا لم يكن بالإمكان إرسال قوات مسلحة لحمايتهم، فإنهم يطلبون السماح لهم بالهجرة في موسم الحج. غير أن مدحت باشا الساعي إلى تثبيت الوجود العثماني في شتى الولايات التي تخضع خضوعاً مباشراً أو غير مباشر للسيادة العثمانية لم يكن ليرفض مثل هذا الطلب، فأرسل على الفور سرية من القوات المسلحة الموجودة في الأحساء بقيادة المقدم «عمر بك وزوده بالتعليمات اللازمة لمواجهة الأشقاء أنصار سعود والإنجليز في قطر «على أن يعود بعد أربعين يوماً من رحيله.
كان هذا المسلك من قبل الدولة العثمانية يثير ولاشك حفيظة الإنجليز فلم تلبث الأخيرة أن بعثت إلى والي بغداد مدحت باشا في يوليو سنة ١٨٧١م باحتجاجات شديدة على رفع الأعلام العثمانية في قطر وكان رد مدحت باشا هو أن التعهدات بعدم التدخل تنطبق على البحرين دون قطر.
ولكن على أية حال يبدو أن الدبلوماسية البريطانية لم تكن تقلقها كثيراً مسألة الوجود العثماني في قطر ولعل هذا من منطلق أنهم وجدوا رغبة آل ثاني مع العثمانيين دون الإنجليز ولكن تحسباً لأي تصرف ممكن أن يقوم به مدحت باشا في مناطق أخرى فقد أرسلت تعزيزات عسكرية لأسطولها العامل في الخليج العربي.

في الوقت نفسه فإن السلطات العثمانية رأت أن السبيل أصبح ممهداً لإرسال تعزيزات عسكرية إضافية أيضاً في قطر فأرسلت حوالي ثلاثمائة جندي للمرابطة بصفة دائمة في قطر. وذلك أثناء تجوال مدحت باشا في الأحساء متفقداً قواته العاملة هناك واتبع ذلك بتعيين قائد عثماني للقوة العسكرية هناك وأصبح انتشار الأعلام العثمانية حتى خور العديد أمراً عادياً.

بالطبع لم تكن التطورات الجديدة في قطر من تثبيت النفوذ العثماني فيها لتمر دون أن تتدخل بريطانيا لاسيما وأن قطر مرتبطة بمعاهدة الهدنة ١٨٦٨م مع بريطانيا. فأسرعت بالاستفسار من الشيخ قاسم بن محمد آلي ثاني عن طبيعة علاقته الجديدة بالدولة العثمانية، وعن ما إذا كان الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني قد خضع وشعبه للحماية العثمانية من عدمه فجاء رد الشيخ قاسم على النحو التالي:

«إذا كان الإنجليز هم سلاطين البحر، فإن العثمانيين قد صاروا سلاطين البر، وليس لدى المشيخة الإمكانات الكافية لمنع التواجد العثماني من البلاد». وهكذا أخرج الشيخ جاسم نفسه من القضية بشكل دبلوماسي وتركا الأمر تتفاوض فيه الدبلوماسية البريطانية والعثمانية. وبخصوص اتفاق ١٨٦٨م بين بريطانيا وقطر، فقد أوضح الشيخ قاسم بن محمد أنه لا يقر بمثل هذا الاتفاق لأنه لم يكن طرفاً فيه. وليس هذا فحسب، بل إن الشيخ قاسم بن محمد قد رفض إعطاء الزكاة المقررة عليه لحاكم البحرين، ورد السفينة البريطانية القادمة إليه لهذا الغرض.

وأبدى الشيخ قاسم قناعته التامة بأنه لا يتبع سوى الدولة العثمانية، ولا يعترف بأي تدخل في شؤونه من أية دولة أخرى على هذا أصبحت كل من قطر والمبرز والهفوف والقطيف قائمامية وذلك حسب التنظيمات الإدارية الجديدة في شرق شبه الجزيرة العربية وعين في قطر قائمقام وفي الإدارات الأخرى موظفون عاديون. والواقع أن الدولة العثمانية قدخارت

قواها بالنسبة للوضع في قطر ورأت أنه لا حاجة لها بما تتكبده من قوى عسكرية كبيرة في قطر غير أن مدحت باشا والي بغداد قد استطاع أن يقنع السلطات العثمانية بسلامة تصرفها في قطر وذلك لأهمية قطر من الناحية الاستراتيجية والاقتصادية والواقع أن القوات العثمانية العاملة في قطر كانت أشبه بقوات شرطة الأمر الذي أدى إلى وقوع كثير من الصدام بينها وبين الأهالي الذين ضاقوا ذرعاً وأبدوا استياءهم من التواجد العثماني في قطر.

وفي سنة ١٨٧٥م ضمت قائمقامية قطر والأحساء ومتصرفية نجد ضمن ولاية البصرة. وخفضت السلطات العثمانية العاملة في قطر وأتبعت ذلك بتعيين الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني قائمقاماً لها في قطر عام ١٨٧٦م. وعلى الرغم من أن الشيخ قاسم قد أقر بتبعيته للدولة العثمانية، إلا أنه كان يرى أن للتدخل العثماني حدوداً لا ينبغي تجاوزها وعندما رأى أن السلطات العثمانية في البصرة تتجاوزها بفرض ضرائب جديدة لا طاقة لشعبه بها سعى لتحسن علاقته بالبريطانيين في محاولة لإحداث توازن بين القوتين العثمانية والبريطانية في قطر ومع بداية القرن العشرين يبدأ عهد جديد في قطر حصلت فيه قطر على استقلالها التام بعيداً عن النفوذ العثماني والبريطاني(*).

البحرين :

كان رحمة بن جابر قد حاول مرات استخلاص البحرين من حكم آل خليفة ومن ذلك أنه أغرى سعود بن عبدالعزيز عام ١٨١٠م بالاستيلاء عليها، غير أن آل خليفة حالوا دون ذلك، كما كان رحمة قد أوعز للسيد سعيد سلطان بنفس الفكرة الأمر الذي جعل السيد سعيد يرسل حملة لهذا الغرض إلى البحرين ولكن باءت محاولته بالفشل أيضاً ورغماً عن ذلك لم تنقطع غارات رحمة بن جابر الانتقامية على سفن البحرين حتى مقتله عام ١٨٢٨م. وفي

ذلك الوقت لم تكن بريطانيا قد اتخذت سياسة واضحة تجاه البحرين لاسيما وأن هناك أطماعاً فارسية أيضاً في البحرين لقد شهدت الفترة من ١٨٢٨-١٨٤٧م صراعاً بريطانياً مضنياً على البحرين[1] وعلى الرغم من الادعاءات الفارسية في البحرين إلا أن بريطانيا ظلت تتعامل مع رؤساء البحرين على أنهم حكام مستقلون وبناء عليه عقدت مع الشيخ محمد بن خليفة اتفاقاً عام ١٨٤٧م بشأن حظر تجارة الرقيق، وذلك أن بريطانيا كانت لا تريد في ذلك الوقت أن تغير شيئاً من الوضع الراهن الذي بنت سياستها على أساسه، وثمة نتيجة غاية في الأهمية وهي أن بريطانيا هي التي حالت دون استيلاء فارس على البحرين خلال القرن التاسع عشر وذلك لتفوق بريطانيا البحري في غياب البحرية الفارسية الهزيلة. ومن ثم يمكن القول أن البحرين لم تشهد صراعاً عثمانياً بريطانياً بقدر ما شهدت صراعاً فارسياً بريطانيا، وقد قام الكابتن بروس المقيم البريطاني في الخليج بزيارة للبحرين كي يؤكد لشيوخها بصفة رسمية أن بريطانيا تعتبر شيوخ آل خليفة هم الحكام الشرعيون للبحرين وأن حكومة بريطانيا على استعداد للدفاع عن البحرين ضد أي قوى معادية على أن كابتن بروس لدى عودته إلى بوشهر من البحرين بدأ يتصرف من تلقاء نفسه مناقضاً التعليمات التي أوكل بها من قبل حكومة الهند إذ أنه اتجه إلى شيراز لمقابلة حاكم فارس بهدف ايقاف الحملة الفارسية على البحرين، والواقع أن هذا المسلك من جانب المقيم البريطاني كان مدفوعاً فيه بدوافع شخصية وذلك في محاولة منه للحفاظ على مصالحه الاقتصادية في بوشهر، الأمر الذي جعله يوقع اتفاقاً مع حاكم شيراز في ٣٠ أغسطس ١٨٢٨م وتعرف هذه الاتفاقية باتفاقية شيراز وتنص عى حل الخلافات القائمة بين بريطانيا وفارس، إذ ورد فيها أن لما كانت هناك أخطاء بسيطة قد وقعت من الطرفين لا تتفق مع النيات الحسنة ولا العلاقات الطيبة بينهما ورغبة في إزالة كل سوء تفاهم بين الطرفين فإن محمد زكي خان والكابتن بروس قد دخلا في اتفاقية ودية تستهدف توثيق

روابط الود والصداقة بين حكومة الهند والحكومة الفارسية[٢]. والواقع أن هذه الاتفاقية قد سوت الخلافات بين الطرفين ولكن على حساب البحرين، إذ كان بالمعاهدة نص صريح يقضي بالاعتراف بالسيادة الفارسية على البحرين الأمر الذي سيضعف الثقة بين بريطانيا والبحرين، فضلاً عن أن تلك المعاهدة تعني انتهاكاً واضحاً لمعاهدة السلام العامة[١].

غير أن هذه الاتفاقية قوبلت بانتقادات حادة من قبل الحكومة البريطانية نفسها حيث ذكر المستر فرانسيس واردن Warden سكرتير حكومة بومباي أنه لم يقم دليل على هذه السيادة الفارسية على البحرين. وقدم واردن إلى حكومته قائمة انتقادات للاتفاقية.

وعلى الرغم من أن الكابتين بروس قد دافع عن نفسه وعن الدوافع التي جعلته يتفاوض من أجل هذه المعاهدة مؤكداً أن إقرار بريطانيا بالسيادة الفارسية على البحرين سيؤدي إلى مزيد من الأمن البحري في الخليج إلا أن حاكم بومباي ألفنستون Elfhinstion أصدر قراره الخاص بناء على تقرير واردن بسحب القوات البريطانية من جزيرة قشم وعزل الكابتن بروس من منصبه كمقيم سياسي في الخليج، وأرسلت حكومة الهند رسائل إلى شيوخ البحرين وسلطان مسقط، مؤكدة أن الموقف البريطاني لم يتغير وأنه لا داعي لأي شكوك أو مخاوف بالنسبة لعلاقتهم بالحكومة البريطانية[٢].

ومن العجيب أن حكومة فارس قد رفضت المعاهدة أيضاً، على الرغم من أنها تعطيها مكاسب كافحت فارس من أجلها سنيناً، ولعل سبب الرفض الفارسي أن أمير شيراز لم تكن له السلطة المخولة لعقد معاهدات كما أن الشاه قد أبدى استياءه من أمير شيراز لمحاولته تنظيم العلاقات بين بريطانيا وفارس دون تعليمات من الشاه بذلك، بالإضافة إلى أن المعاهدة تعطي بريطانيا حق إقامة حاميات عسكرية في جزيرة قشم لمدة خمس سنوات وهو الأمر الذي لا توافق عليه حكومة فارس. ومن أغرب الأمور أنه على حين رفضت فارس وكذلك بريطانيا المعاهدة إلا أن حكومة الشاه ظلت تستند إلى تلك المعاهدة

في جميع المباحثات التي أجرتها مع حكومة بريطانيا بشأن وضعية البحرين الدولية والسياسي وذلك طيلة القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين[١].

والواقع أن هذه الاتفاقية كانت هي المحك الذي التقى عنده كل من بريطانيا وفارس وبعدها هدأت الأمور لانشغال فارس عن البحرين بخلافاتها مع الدولة العثمانية. ولذلك يمكن القولكما أسلفنا أن البحرين لم تشهد صراعاً عثمانياً بريطانياً يمكن التاريخ له.

الكويت :

كان الصراع العثماني البريطاني في الكويت أوضح منه في شقيقتها قطر والبحرين، إذ كانت الكويت تمثل منطقة استراتيجية بالنسبة للشركات البريطانية العاملة في الخليج ولاسيما البصرة القريبة جداً من الكويت كما أنها تمثل نفس الأهمية بالنسبة للسلطات العثمانية.

ولعل العلاقة بين الكويت والعثمانيين تبدأ منذ تلك اللحظة التي بدأ فيها العتوب ينزحون من موطنهم الأصلي في نجد وبعد أن رفض العجم استقرارهم في البحرين يمموا وجوههم نحو البصرة وخاطبوا واليها علي باشا ليتوسط لهم لدى الباب العالي شارحاً ظروفهم، وأنهم فقراء ولا يريدون سوى الاستقرار ولقمة العيش وليس في نيتهم أذى أحد، فكتب والي البصرة رسالة بهذا المضمون إلى السلطان العثماني ولكن يبدو أن السلطان قد تأخر عليهم في الرد الأمر الذي جعلهم ينزحون جنوباً حتى وصلوا خور الصبية وهناك أقطعهم بنو خالد منطقة (القرين)[١] واستقروا حول كوت[٢] بني خالد الذي كان نواة لدولة الكويت الحديثة. إذ سرعان ما استقر آل الصباح في حكم الكويت وانشق الجلاهمة وآل خليفة عن آل الصباح إلى الزبارة في قطر ثم آل خليفة واستقرارهم في حكم البحرين كانت الدولة العثمانية لا علاقة لها بالكويت في المراحل الأولى من تأسيسها على اعتبار علاقة بني خالد القوية بعتوب الكويت وفي أعقاب انهيار دولة بني خالد لم

تتخذ الدولة العثمانية إجراء فعلياً يمكن من خلاله القول بتبعية الكويت للدولة العثمانية وتشير العديد من المصادر التاريخية إلى عدم وجود اتصال فعلي بين الدولة العثمانية والكويت طيلة القرن الثامن عشر، وذلك على الرغم من أن الوكالة البريطانية وقد انتقلت من البصرة إلى الكويت في الفترة ما بين ١٧٩٢ وحتى ١٧٩٥م وذلك بعدما فرض والي البصرة ضرائب جديدة على جميع التجار مرتادي ميناء البصرة بما في ذلك الشركات التجارية الأوروبية بالإضافة إلى سوء معاملة موظفي الإدارة العثمانية لشركة الهند الشرقية الهولندية.

إلا أن الدولة العثمانية لم تبدِ استياء إزاء نقل المقيمية البريطانية من البصرة والعثمانية إلى الكويت. ومن ثم يمكن القول بأن الوجود البريطاني في الكويت كان أسبق من الوجود العثماني هناك.

وعلى الرغم من أنه لم تكن هناك تبعية كويتية للعثمانيين بشكل فعلي، إلا أن هذا لا يمنع شيخ الكويت وشعبه كانوا يدينون بشيء من الولاء الروحي لدولة الخلافة الإسلامية والسلطان خليفة المسلمين وحامي حمى الحرمين الشريفين.

وفي عام ١٨٣١م حاول العثمانيون أن يمدوا نفوذهم إلى الكويت، وذلك عن طريق إلزام الشيخ جابر بدفع زكاة سنوية ذكرت بعض المصادر بأنها كانت تقدر بأربعين كيساً من الأرز وأربعمائة سباطة من التمور وأنه كان يتلقى في كل سنة ضلعه من السلطات العثمانية تكريماً له بيد أن دفع الكويت للجزية لم يستمر ولعل ذلك يرجع في المقام الأول إلى أن الدولة العثمانية كانت في حاجة إلى مساعدة أسطول الكويت للدفاع عن شط العرب. حتى أن الدولة العثمانية اضطرت في سبيل ذلك أن تدفع إعانة سنوية لشيخ الكويت[١].

وشهدت السنوات التي تلت هذه الأحداث تعاوناً ملحوظاً بين شيخ الكويت والإدارة لعثمانية في البصرة من أجل تأديب العشائر المتمردة في جنوب البصرة الكويت على أنه من الثابت أن الكويت لم تشهد جنوداً عثمانيين ولا

حاميات عثمانية تجوب خلال دياره.

وقد شهدت العلاقات العثمانية الكويتية البريطانية تطوراً ملحوظاً في عهد الشيخ مبارك الصباح، وذلك في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وظهور مدحت باشا والياً عثمانياً في بغداد الداعي إلى تثبيت الوجود العثماني، وإرجاع هيبة الدولة العليا في نظر رعاياها مستغلاً الصراع بين ابني فيصل بن تركي، عبدالله وسعود، وقد تحدثنا عن شيء من هذا الصراع فيما مضى. وما يهمنا هو ما كان من موقف شيخ الكويت من حملة مدحت باشا على الأحساء.

كان مدحت باشا يقدر أهمية الأسطول الكويتي في مشروعه العسكري ومن ثم سعى إلى توطيد علاقة الدولة العثماني بالكويت ويقال أنه استصدر فرماناً من الباب العالي اعتبر بمقتضاه الشيخ مبارك آل صباح قائمقاماً لها في الكويت وألمحت الدولة العثمانية إلى تبعية الكويت للدولة العثمانية وهي التبعية التي رفضها شيخ الكويت وشعبه.

على أية حال، فإنه ممالاشك فيه أن الاتصال الفعلي بين الدولة العثمانية والكويت هو الذي حدث أثناء حملة مدحت باشا على الأحساء ١٨٧١م، إذ بادر الشيخ مبارك بالخروج على رأس أسطوله وسفنه للمشاركة في الحملة العثمانية.

وقد نجحت الحمل العثمانية كما ذكرنا في إخضاع الأحساء للسيطرة العثمانية المباشرة.

وتشير بعض المصادر إلى أن اشتراك الأسطول الكويتي في الحملة العثمانية على الأحساء كان أمراً طبيعياً بحكم تبعية الكويت للدولة العثمانية واختلفت المصادر في تحديد نوع هذه التبعية وهل هي اسمية أم فعلية؟

والواقع أن شيخ الكويت نفى أن يكون هو أو شعبه خاضعين لأي نوع من التبعية للدولة العثمانية، وأنه اشترك في حملة الأحساء نظراً للعلاقة الطيبة اليت تربطه بالدولة العثمانية وعلى اعتبار أن الأخيرة تمثل دولة الخلافة

الإسلامية.

غير أن كثيراً من المصادر تشير إلى أن الشيخ مبارك اشترك في هذه الحملة بدوافع شخصية. ذلك لأنه خشي على أملاكه في العراق العثماني، كما أنه لم يستعد أن يقوم مدحت باشا بعمل عسكري ضده إذا ما رفض مساعدة الدولة العثمانية.

ومهما يكن من أمر، فقد كانت هذه الواقعة بداية العلاقة الودية بين الكويت وولاية البصرة العثمانية إذ سعى ولاتها بعد ذلك لإخضاع الكويت للحكم العثماني المباشر، الأمر الذي جعل شيخ الكويت يلتجيء وبقوة نحو البريطانيين.

في ذلك الوقت كان قد لاح في الأفق النفوذ الألماني الساعي إلى الحصول على مناطق النفوذ في الخليج، وكذلك روسيا في ظل صراع دولي على الخليج. وفيما يختص بالكويت فقد ظهرت بوادر مشروع سكة حديد برلين بغداد، وينتهي عند كاظمة في الكويت. هذا بالإضافة إلى ظهور مشروع الفحم الروسي في الكويت أيضاً. وكانت ألمانيا ترتبط بعلاقة صداقة بالدولة العثمانية وكانت بريطانيا لا تستعد أن تكون هناك صفقة استعمارية بين الدولتين في الكويت، ولذلك نشطت الدبلوماسية البريطانية بشكل ملحوظ في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، بعدما ظهر ما يعرف بالمسألة الكويتية، من أجل إجراء دولي يمس المصالح البريطانية في الكويت وليس هذا فحسب، وإنما هددت بريطانيا بإشعال نار حرب عالمية إذا ما حدث ذلك. ولم يهدأ للدبلوماسية بال حتى وقعت معاهدة حماية مع الكويت في عام ١٨٩٩م تعهد فيها شيخ الكويت بالأصالة عن نفسه وعن أبنائه من بعده أن لا يرهن أو يبيع شيئاً من أرض الكويت أو يبرم أمراً إلا بعد مشورة الحكومة البريطانية.

هذا بالإضافة إلى بنود أخرى تضمنتها المعاهدة واتفق الجانبان على أن تبقى المعاهدة في طي الكتمان وذلك لأن الإعلان عنها في الوقت الراهن

يثير كثيراً من القلاقل في العلاقات الدولية غير أن الدولة العثمانية قد علمت بأمر هذا الاتفاق من حليفتها ألمانيا وكانت ألمانيا أثناء مفاوضاتها مع الحكومة البريطانية بشأن الاتفاق حول مشروع خط سكة حديد برلين/بغداد/الكويت قد أفصحت لها بريطانيا عن اتفاق من هذا النوع.

وكانت ردود الأفعال التركية إزاء الاتفاق المذكور فورية وعنيفة، إذ بادرت بتعيين حمدي باشا والياً على البصرة والمعروف بمواقفه العدوانية تجاه شيخ الكويت.

هذا بالإضافة إلى اقتطاع أجزاء من أملاك الشيخ مبارك في العراق وإعطاها لأبناء إخوته محمد وجراح، ولما لم تجد هذه المضايقات من قبل الدلة العثمانية تجاه شيخ الكويت، بادرت الدولة العثمانية بإنزال حملات عسكرية في أم قصر، وصفوان وجزيرة بوبيان عام ١٩٠٢م، وأعلنت أن هذه المناطق غير تابعة للحدود الكويتية وإنما تتبع العراق العثماني.

وعلى غير المتوقع لم تبد بريطانيا استياء تجاه هذا التدخل العسكري في الكويت كما لم تر فيه خرقاً (للوضع القائم)، وهي السياسة التي حرصت كل من بريطانيا وتركيا على المحافظة عليها في الكويت. ولكن عندما أدركت خطورة الموقف في الكويت أعلن اللورد بلفور في (مجلس العموم البريطاني) مع مطلع عام ١٩٠٣م أن الكويت مرتبطة ببريطانيا بمعاهدة حماية وأن على القوات التركية المتمركزة في أم قصر وصفوان وبوبيان إخلاء هذه الأماكن فوراً لتحل محلها قوات شيخ الكويت.

وقد دفع تطور الأحداث إلى أن تعلن بريطانيا في عام ١٩٠٤م أن الكويت محمية بريطانية ليس لأية دولة أخرى نفوذ فيها.

هكذا كانت صورة الصراع العثماني البريطاني في ساحل الخليج العربي، وموقف الكيانات السياسية منه وهو صراع لا يخلو من التسلطية الاستعمارية واستغلال مناطق النفوذ إلى أقصى حد ممكن.

ول يمكن التوقف عند عام ١٩٠٤م بل يجدر بنا أن نشير إلى اتفاقية عام

١٩١٣م بين بريطنيا والدولة العثمانية تلك الاتفاقية التي قسمت مناطق النفوذ في الخليج بين الطرفين وإن كان قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م قد أنهى الوجود العثماني في المنطقة لصالح النفوذ البريطاني وقد نصت الاتفاقية على تسوية شاملة للمشكلات القائمة بين بريطانيا والدولة العثمانية حيث وقع كل من حقي باشا وزير الخارجية العثماني والسير إدوارد جراي وزير الخارجية البريطاني على بنود الاتفاقية التي تشمل مايلي:

١- إعلان عام تمهيدي لمشروع الاتفاقية.

٢- مشروع اتفاق يتعلق بخط حديدي في آسيا الصغرى يتكون من ١٢ مادة.

٣- مشروع اتفاق يتعلق بالخليج الفارسي وهو يتعلق بكل من الكويت وقطر والبحرين وأمور الخليج وتشكيل لجنة لتعيين الحدود كما احتوى على أربع ملاحق يتعلق باتفاقيات بريطانية كويتية لأعام ١٨٩٩، ١٩٠٠، ١٩٠٤م ورسالة السير إداورد جراي إلى توفيق باشا رئيس وزراء تركيا في ٢٤ أكتوبر ١٩١٣م.

٤- مشروع اتفاقية يتعلق بتشكيل لجنة من أجل تحسين الملاحة في شط العرب وهو يحتوي على ٢١ مادة وله ملحق[1].

بريطانيا والقوى الأجنبية في عمان :

رأينا كيف كان لاصراع العثماني البريطاني محموماً في النصف الأول من القرن التاسع عشر ومع نهاية القرن التاسع عشر أصبحت الصورة أكثر وضوحاً بحيث انفردت فرنسا في مسقط في مواجهة بريطانيا وتغلغل النفوذ الروسي في فارس، والألمان وسعيهم إلى منطقة نفوذ في بغداد كانت بريطانيا قد شجعت انفصال زنجبار عن مسقط الأمر الذي أدى إلى أن تسوء علاقاتهم بثويني ابن السيد سعيدحاكم عمان، وكان حاكم عمان السيد ثوني قد اتجه بفكره نحو فرنسا نكاية في بريطانيا إلى أن صدر التصريح الثنائي في ١٠ مارس ١٨٦٢م وبمقتضاه تتعهد الحكومتان الفرنسية

والإنجليزية باحترام استقلال سلطنتي مسقط وزنجبار[٢] غير أن هذا التصريح على الرغم من أنه يعترف بالنفوذ الفرنسي في عمان إلا أن بريطانيا لم تتورع عن المضي في تدعيم نفوذها هناك، بل وعملت على عرقلة النشاط الفرنسي في وقت كان فيه ثويني يعاني استفحال خطر الثورات الداخلية.

غير أن ثويني الذي توجه أخيراً إلى الإنجليز لتحميه من ثورة القبائل مات في وقت مفاجىء بيد أحد أبنائه سنة ١٨٦٦م وخلفه في الحكم ابنه سالم الذي أنهى حياة أبيه.

ولكن مسألة رفض التعامل مع الإنجليز الذين أخذوا يدعمون من سيطرة أخيه تركي للاستيلاء على السلطة ولكن عندما اكتشف البريطانيون أن له خطة للاستيلاء على زنجبار تخلوا عنه أيضاً.

وفي هذه الظرو التي أعقبت وفاة ثويني واستقرر الحكم بيد سالم شهدت عمان صراعاً سياسياً من قوى عديدة سواء كان بين أبناء ثويني أو الأباضية بالإضافة إلى القوى الأوروبية بريطانيا-وفرنسا. ولكن ثمة ظروف أدت إلى أن تتدخل بريطانيا بشكل مباشر في عمان ومن ذلك أن علماء الأباضية بدأوا يتدخلون في شؤون الحكم وعملوا على إحياء الإمامة الأمر الذي أدى ببريطانيا أن تسعى إلى إسناد السلطة في عمان إلى تركي بن سعيد وعملت على تنفيذ خطة تهدف إلى ذلك. وكان تركي قد فهم حقيقة الأمور وتخلى عن سياسته الرامية إلى التدخل في زنجبار وأنه قد وعد الإنجليز أن يعمل وفق مصلحتهم في عمان.

وفي سبتمبر من عام ١٨٧٠م قدم تركي بن سعيد من بومبي على ظهر سفينة بريطانية وتمكن بعد أن جمع حوله القبائل من السيطرة على الحكم في عمان.

وفي عهد تركي بن سعيد اشتدت قبضة بريطانيا على عمان بفعل سيطرتها على معظم الشؤون الداخلية للبلاد وتوجت هذه السياسة البريطانية في

عمان بتوقيع معاهدة في عمان مع فيصل بن تركي بن سعيد عام ١٨٩١م على غرار اتفاقيات بريطنيا مع مشيخات الخليج إذ تعهد فيصل بمقتضى هذا الاتفاق بعدم التنازل أو تأجير جزء من أراضيه إلا بإذن الحكومة البريطانية. غير أن الاتفاق لا ينطوي على مبدأ الحماية الرسمية لأنه لا يلغي المعاهدات المعقودة مع الدول الأخرى مثل فرنسا والولايات المتحدة وهولندا والتي تسمح لهذه الدول باعتماد قناصل لدى السلطان ومع نهاية القرن التاسع عشر شهدت عمان قليلاً من التنافس الفرنسي البريطاني. بيد أن النفوذ البريطاني هناك كان أقوى من غيره وهكذا لم تشهد عمان صراعاً عثمانياً بريطانياً الأمر الذي جعلنا لا نسهب في هذا الموضوع.

وحرصاً من بريطانيا على الانفراد بالنفوذ في منطقة الخليج العربي فإن بريطانيا اتخذت من اتجاه عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود بأنظاره إلى قطر بعد استيلائه على الأحساء موقفاً محذراً بعدم اتخاذ أي موقف بغير الوضع القائم أو خلق أي اضطرابات بين المشيخات العربية التي يدخل حكامها في اتفاقيات مع الحكومة البريطانية فيها مشيخة قطر المستقلة تحت حكم الشيخ قاسم بن محمد الثاني وأبنائه من بعده والتي تم الاعتراف بها من جانب كل من الحكومتين البريطانية والعثمانية من المادتين ١٠ و١١ من اتفاقية عام ١٩١٣م المشار إليها وأن الحكومة البريطانية حريصة على استمرار علاقة الصداقة التي لها جذور بعيدة في الماضي[1].

الهوامش :

(١) راجع ظروف وأسباب الزحف العثماني نحو الوطن العربي وسلبيات وإيجابيات التواجد العثماني في كتاب: د. رأفت غنيمي الشيخ، في تاريخ العرب الحديث، دار الثقافة، القاهرة / ١٩٧٧م.

(٢) LOW G.R. History of Indian navy1613-1853, Vol. I. London 1877, P. 4-7.

(١) LOW G.R. o.p. Cit. P. 132.

(٢) Factory Records G. F. Letterd from Bussora, Gombroon Vol. Vol. 16, 30/11/1768, 1 bid 4/2/1769.

(١) د. جمال قاسم، نفس المصدر، ص١٧٢.

(٢) د. صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، ١٩٧٤م، ص٣٩.

(١) في الواقع أن مفهوم الاستقلال الذي تعنيه الدبلوماسية البريطانية، هو وجود سياسي لمنطقة معينة بصرف النظر عن كون هذه المنطقة خاضعة لدولة أخرى أو تحت حمايتها، وهو مفهوم يختلف كثيراً عن مفهومنا الحالي للاستقلال. وما طمحت فيه الكيانات السياسية في ذلك الوقت.

راجع: د. صلاح العقاد، السياسية في الخليج - القاهرة ١٩٧٤، ص١٧٥م.

(٢) انظر ملحق رقم ٥.

- Badger Papers p.2870290.

F.O. 424 India Office to F.O. JURN, 28, 1813, Inclosure 2 in No. 492: (١)

Extract from Aitchinon s Treaties 4 Th. edition Vol. XII, P. 148.

(١) راجع بهذا الخصوص.

أ- محمود شكري الألوسي: تاريخ نجد الحنبلي. تحقيق محمد بهجة الأثري، القاهرة ١٣٤٣هـ، ص٦٤.

ب- السيد رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ١٨٤٠-١٩٠٩، القاهرة ١٩٧١، ص٨٤.

(❖) ملحق رقم ٣.

(❖) ملحق رقم ٧.

(١) راجع بهذا الخصوص: د. صلاح العقاد - التيارات السياسية في الخليج، ص١٤٥-١٤٨.

(٢) Treaty of shiraz signed by Mirza Mohamed Zaki Khan, The Minister of Fars and Captain Bruce 30-8-1822 .G.F.O. 60/21 Rersia.

راجع أيضاً لمزيد من المعلومات عن هذه الاتفاقية.

د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي ١٥٠٧٠-١٨٤٠)، ص٤٤٠.

(١) لوريمر، دليل الخليج، جـ٣، ن ص ١٢٨٨-١٢٨٩.

(٢) راجع:

أ- د. جمال قاسم، نفس المصدر، ص٤٤٢.

ب- Persian Claim to Bahrein Islands foreign Sectrectary to the Gov T. of India Sept. 1931, F.O.

(١) راجع بهذا الخصوص :

أ- Adamyiat, Bahrein Islands P. 134, ff.

ب- د. جمال زكريا قاسم، الادعاءات الإيرانية على الخليج العربي من أعمال المؤتمر الدولي للتاريخ، بغداد ١٩٧٣م.

(١) القرين: هو الاسم القديم للكويت.

(٢) كوت: بمعنى القلعة. أو التل المربع وقد وردت فيه معاني كثيرة. ويرجح أنه كوت بني خالد الذي بناه عريعر زعيم بني خالد ليستقر فيه أثناء رحلات الصيد التي يقوم بها.

(١) راجع بهذا الشأن:

أ- ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، جـ٣ ص ١٥١٣.

ب- القناعي - صفحات من تاريخ الكويت، ص١٤، ١٥.

جـ- جمال زكريا قاسم، الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية (١٩١٤-١٩٤٥) ص١٤٧-١٤٩.

(١) انظر ملحق رقم ٧.

- F.O. 424, 238, Enclosurse 3 in No. 144, Draft converntion Reprecting the Persion Gulf.

(٢) راجع: الرسائل المتبادلة بين نوفل وزير الخارجية، وكاولي السفير البريطاني في باريس، ٨٤، .F.O، VO1, 1178.

(١) F.O. 424, 240 ilid P India Office to F.O. October 15, 1913 Enclusre 2 in No. 39, Fievterount - Colonel Sin P. Cox to Abdul Aziz Ben Souud. Buchhire. September 11, 1913.

عوامل انهيار الخلافة العثمانية
وقيام الجمهورية التركية

بحث من إعداد
دكتور سعد ثامر الحميدي
المجلس الوطني للفنون والثقافة
دولة قطر

إهداء لأستاذي الأستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ، تقديراً ووفاءً ومحبة على ما بذله نحوي من مساعدات علمية كبيرة، وأدعو الله أن يمتعه بالصحة والسعادة/

د. سعد ثامر الحميدي

الهزيمة الأستقلالية للبلدان العربية :

نظراً للضعف الشديد الذي انتاب الدولة العثمانية، اتفقت الدول الأوروبية الاستعمارية على تفتيت الدولة العثمانية ولم يكن ذلك شيئاً مدهشاً ولا مستبعداً، ولهذا أخذت جماعات الشباب التركي وأخذت الفئة المستنيرة تفكر فيما ينبغي أن يفعلوه لمواجهة هذا الخطر الزاحف على بلادهم أو على كيانهم ومصيرهم في مقابل نزعة عربية واضحة نحو الاستقلال التام عن العثمانيين، لهذا تحرك مجموعة من الشباب المتحمس وبدأوا تحركهم هذا بأن أنشأوا جماعة اسمها (الاتحاد والترقي)، كلمتان تعبران فعلاً عن الطريق الوحيد لإنقاذ تركيا.. فإن المصائب التي تنهال عليها ترجع إلى العاملين الأساسين:

أولهما: الخلافات العميقة التي تفصل بين العناصر والأجناس والأديان والشعوب التي تتكون منها الدولة ولابد إذن من الاتحاد.

ثانيهما: التخلف والتأخر الذي يخيّم على بلادهم، فالأميّة والفقر والمهانة هي السمات التي تميز الغالبية الكبرى من الناس، والدين الحقيقي بمبادئه وأخلاقياته قد أخلي مكانه لركام من الخلافات والأوهام والتفاهات تملأ عقول الناس وتستبد بمشاعرهم لابد إذن من التقدم والترقي[١].

ولكن جمعية الاتحاد والترقي لا تستطيع أن تمارس أي نشاط في تركيا التي كانت مهنة الجاسوسية هي أكبر مهنة، وأكبر مصدر للارتزاق، وراحت تعمل من بعيد في عواصم أوروبا فتعقد الندوات، وتصدر النشرات، ويكتب بعض أعضائها في الصحف الأوروبية ثم تحاول تهريب بعض مطبوعاتها وتوزيعها في أوساط الطلاب والمستيرين، وأيضاً ضباط الجيش الشبان[٢]، وبدأت دعوة الجمعية تسري شيئاً فشيئاً، وبدأت بعض الشخصيات المهمة تؤيد دعوتها وتنضم إلى صفوفها، وكانت أهم شخصية انضمت إليها ضابط شاب اسمه أنور والذي عرف بعد ذلك في تركيا باسم «أنور باشا».

أخذ الضابط الشاب يؤلف خلية من زملائه الضباط الثائرين وأخذ هؤلاء يقومون بمحاولات جريئة أوقعت الرعب والفزع في قلب السلطان عبدالحميد ومن حوله ثم تشجع أعضاء الجمعية، وأخذوا ينقلون نشاطهم داخل تركيا، واتخذوا من مدينة سالونيك في مقدونيا مقراً لهم.

انتشرت دعوة الاتحاد والترقي بين الضباط الشبّان وكان من أبرزهم طلعت وكمال ونيازي، ثم لحق بهم ضابط شاب اسمه مصطفى كمال وبدأوا يفكرون في تغيير الأوضع القائمة بقوة السلح، وانتظروا حتى تأتي الفرصة ليقوموا بثورتهم المسلحة وجاءت الفرصة حين أخطأ السلطان وأرسل فرقة من الجيش لتحتل سالونيك وتضرب الحركة الناشئة وتقضي عليها. وعندئد قرر أنور «بك» أن يواجه القوة بالقوة، وإذا بالفرقة التي أرسلها السلطان ترتيد مهزومة وانضم بعض ضباطها إلى أنور الذي قرر فوراً أن يتجه زاحفاً إلى (استانبول) ويحاصر السلطان في قصره، ويقدم إليه مطالب الجيش والأمة وأولها هو إعادة إصدار دستور مدحت باشا الذي عطله السلطان منذ إحدى وثلاثين سنة، وكانت هذه المجادلة هي الخطوة الأولى في الانقلاب العسكري الذي وقع بعد شهور، وكان أول انقلاب عسكري في الشرق الأوسط سنة ١٩٠٨م[1].

وقد قوي نشاط جمعية «الاتحاد والترقي» والحركات الثورية الأخرى خلال السنوات الأولى من القرن العشرين حتى عام ١٩٠٤م قام ضابط مشاة بمحاولة فاشلة لاغتيال السلطان عبدالحميد الثاني بخنجر في قصر يلدز. وفي العام التالي ١٩٠٥م انفجرت عربة محملة بالديناميت أمام المسجد الذي كان يؤدي السلطان فيه صلاة الجمعة وفي عام ١٩٠٦م اتخذت جمعية الاتحاد والترقي اسماً جديداً لها هو «تركيا الفتاة». وتمركزت في سالونيك عاصمة مقدونيا اليونانية[2]، وأوكل رئيسها الضابط المطارد نيازي بك، قيادة حركتها إلى ضابط عامل هو انفر بك وقد حاول السلطان عبدالحميد الثاني استرضاء نيازي بك لتهدئة الأمور فأعاده إلى الخدمة. وفي عام ١٩٠٨م

هرب نيازي بك من الخدمة ومعه مرتبات الجيش ثم اعتصم في الجبال المحيطة بسالونيك مع تعظيم مؤيديه وقد تبعه انفر بك ومعه حوالي ١٥٠ ضابطاً وجندياً، وأعد حملة تأديبية لاعتقاله وأعوانه لكنها فشلت(١).

كان لجمعية الاتحاد والترقي خلال السنوات التي سبقت الحرب مباشرة مطلق الحرية في أن تحكم كما يتراءى لها، وقد حاول أعضاؤها فرض المركزية الإدارية التي أوجدتها إصلاحات التنظيمات وذلك بتتريك شعوب الإمبراطورية وفي الحقيقة كانت هذه المحاولة لإنشاء أمة تركية قومية من دولة كانت غالبيتها تتكون من عناصر غير تركية. وهكذا كانت جمعية الاتحاد والترقي تهدف إلى تتريك كافة القوميات وهذا ما يسمي بالجامعة العثمانية(٢)، ولم يكن من المحتمل نجاح هذه السياسة في ظل هذه الظرو التي سادت في أوائل القرن العشرين، ولكن فشلها لم يسبب في حد ذاته انهيار الدولة العثمانية، فانحلال الدولة نتج عن الهزيمة في الحرب العالمية الأولى(٣)، بعد سلسلة من الإخفاقات أفضت في مجموعها إلى الفشل السياسي.

كانت جمعية الاتحاد والترقي صاحبة السلطة الحقيقية في الدولة العثمانية عامي (١٩٠٨ حتى ١٩١٨م) وهي الفترة التي نشطت فيها الجمعيات والأحزاب السياسية العربية داعية إلى الإصلاح ولامركزية الإدارة، وخلال هذه الفترة اتسم حكم جمعية الاتحاد والترقي بالعنف والقضاء على الحريات ونفي زعماء المعارضة وأدت سياستهم الداخلية والخارجية آخر الأمر إلى تحطيم الدولة العثمانية وهزيمتها في عام ١٩١٨م مع حليفتها ألمانيا وتقسيم أقاليمها بين الغزاة المنتصرين.

لقد كانت جمعية الاتحاد والترقي موضع شبهات منذ وقت مبكر إذ اتهمت بأنها جمعية يهودية وأن أعضاؤها لم يكونوا أتراكاً ولا مسلمين غير أن الأستاذ برنارد لويس العالم اليهودي الشهير يعترض على هذه التهم ويدافع عن جمعية الاتحاد والترقي ولا يخفي إعجابه بها لأنها مهدت الطريق لتركيا

الحديثة، تركيا العلمانية الكمالية[1].

وكان مصطفى كمال أحد ضباط الجيش العثماني الثالث الذي يقوده انفر بك، وقد حارب معه الروس، وفي تونس، والبلقان، والأناضول وحقق شهرة واسعة في معركة جاليبولي في ظل تلك الظروف انضم مصطفى كمال إلى جمعية الاتحاد والترقي.

وكانت جمعية الاتحاد والترقي قد حذرت السلطان أنه إن لم يستأنف العمل بدستور مدحت باشا، فإن الجيشين الثاني والثالث المعسكرين على الشاطىء اليوناني سيغزوان العاصمة، ولكن السلطان عبدالحميد دعا مجلس وزاره لبحث الإنذار. وانتهى المجلس إلى الرضوخ لمطالب الجيشين ووافق السلطان عليه. وأعاد الدستور والحريات للبلاد من جديد في ٢٤ يوليو عام ١٩٠٨م.

وانعقدت الجمعية الوطنية في ١٧ ديسمبر عام ١٩٠٨م، وعينت «لجنة ثلاثية» لإدارة أمور البلاد، من انفر بك وطلعت بك وجمال بك، وقد قبلت اللجنة السلطان عبدالحميد الثاني رئيساً دستورياً للبلاد لكنها خلعته من سلطاته[2].

وبالطبع أدى انهيار النظام القديم، وظهور نظام جديد غير متمرس إلى قلاقل واضطرابات، مما أثار غضب رجل الشارع، فصب سخطه على أعضاء «اللجنة الثلاثة».

وفي ١٣ أبريل عام ١٩٠٩م ثار الجنود الأتراك في استانبول بتحريض من السلطان عل«ى «اللجنة» وهتفوا بسقوطها، ففر أعضاء اللجنة من العاصمة وفي خلال أسبوعين نظم أنفر بك «جيش الإنقاذ» من قواته المعسكرة في سالونيك، وباشتراك مصطفى كمال، وعاد به إلى استانبول في حد العاصمة، وتهدد قصر يلدز حيث يقيم السلطان ثم أرسل في صبيحة ٢٤ أبريل عام ١٩٠٩م إلى المفتي يطلب فتواه في عزل السلطان ووافق المفتي على عزله، فعزل السلطان عبدالحميد الثاني وتولى أخو رشيد البالغ من العمر ٧٤ عاماً والملقب «بالأبله» السلطنة باسم السلطان محمد الخامس

واستبدت اللجنة بالحكم وألفت اللجان والفروع في أنحاء البلاد ومعظم العواصم الأوروبية[1].

وكان انفر بك هو الزعيم الظاهر للجنة الثلاثية وللضباط الثوريين وكانت جماهير استانبول تعبده وتقتني صورته، ولا تهتف إلا باسمه وهو ما ساعده على فرض سيطرته على السلطة في تركيا[2].

أما السلطان محمد الخامس فقد عاش حياته أسيراً للسلطان عبدالحميد الثاني وبعد توليه للحكم أسيراً للضباط. كان أنفر باشا وطلعت بك يتنازعان على السلطة علانية، فقد كان أنفر باشا يحب الألمان ويميل إلى التحالف معهم، وطلعت بك يريد أن يجنب تركيا الحرب، وهو ما أدى إلى دخول تركيا الحرب العالمية الأولى في صف الألمان فأعلن الحلفاء الحرب على تركيا في ٣٠ أكتوبر ١٩١٤م، ودخلت تركيا حرباً لا ناقة فيها ولا جمل إلى جانب ألمانيا، وعندما أحس أنفر وطلعت وجمال بقرب نهاية الحرب العالمية وتحققوا من فشل سياستهم، ومسؤوليتهم عن الخراب الذي حاق ببلادهم تركوا أستانبول في زورق حربي ألماني في ٢ نوفمبر عام ١٩١٨م إلى أوروبا، وقد قتل ثلاثتهم بعد ذلك في قلاقل وثورات تالية، أو على يد بعض الأرمن ممن حملوهم مسؤولية ما حدث لهم[3].

كانت جمعية الاتحاد والترقي قد أخذت شكلاً سياسياً، وعقب الاجتماع الذي عقدته في ١٩١٣م، حيث ظهرت كحزب سياسي بكل ما تحمله هذه الجملة من معنى، وهكذا شكل هذا الحزب بعد أن أصبح تشكيله أمراً ضرورياً لتصحيح الأخطاء العديدة التي عرضت الدولة للمحن والأزمات.

خلال تلك الفترة دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى فكان اشتراك الدولة في هذه الحرب أثر من آثار قادة الاتحاد والترقي عموماً، وأنور باشا، وسعيد حليم باشا، وطلعت باشا على وجه الخصوص.

وهكذا اتخذ الاتحاديون قرار الحرب دون أن يرجعوا لأي شخص حيث عطلوا مجلس المبعوثان، وأبقوه مغلقاً حتى شهر نوفمبر لعلمهم أن المجلس أو

قسم عظيم من أعضائه لا يرغب في دخول مثل هذه الحرب الأوروبية[1].

أما رأي قوى الاتحاد والترقي الثلاثة الذين أخذوا قرار الحرب، فكان مختلفاً تماماً حيث كان كل هؤلاء يرون أن كل من انجلترا وروسيا وفرنسا كانت تخطط بالفعل لتقسيم الأراضي العثمانية فيما بينهم في المستقبل، وأن دخول الدولة أو عدم دخولها لم يكن يؤثر كثيراً في الأمر، ويؤكدون على أن اشتراك الدولة في هذه الحرب جانب ألمانيا والنمسا سيكون مفيداً للغاية نظراً لما هو ملاحظ من قوة هذه الدولة العسكرية واحتمال فوزها بالحرب. وهكذا أعلنت حكومة الاتحاديين، في سبتمبر وأكتوبر، أن الدولة العثمانية ستقف ضد فرنسا وانجلترا، وقامت بإلغاء الامتيازات الأجنبية.

لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد لحق بالدولة العثمانية مجموعة هزائم متتالية، مما اضطر جمعية الاتحاد والترقي وأعضائها الذين ورطوا الدولة في هذه الحرب للاستقالة في ٨ أكتوبر ١٩١٨م، ووجدوا طريق النجاة ميسراً لهم بالهروب إلى ألمانيا.

ومهما يكن من أمر فقد أكدت جمعية الاتحاد والترقي، استقرار فكرة الحكم المطلق في الدولة على أثر اكتسابها نفوذاً مطلقاً في البلاد بعد عام ١٩١٣م، وقد تجاوزت هذه الفكرة في المرحلة الأخيرة من حكم الاتحاديين، حددوا النظام السياسي، بل امتد تأثيرها لمختلف المجالات في الدولة، وحيث كان لهذه الفكرة انعكاساتها على التطورات الاجتماعية والتغيرات الاقتصادية والثقافية[2].

نتيجة للسياسة التمزيقية في الداخل، واحتلال إيطاليا لطرابلس الغرب، وضعف موقف الحكومة الاتحادية دولياً، والأسباب الأخرى، فقد ثارت مجموعة من الضباط أطلقت على نفسها «عصبة ضباط الإنقاذ» وأطاحت بحكومة الاتحاديين في ١١ يوليو ١٩١٢م، فشكلت أول حكومة ائتلافية رأسها في البداية مختار باشا ثم تولى رئاستها كامل باشا فحكمت باسم «الحرية والائتلاف» وكانت تؤمن باللامركزية التي كانت أساساً مطلب القوميات غير

التركية في السلطنة وكان يؤيد هذه الجماعة الناشئة سكان الولايات العربية والولايات الأوروبية التابعة للامبراطورية والأرمن.

لكن الحكومة الائتلافية لم تدم طويلاً فقد احتشد في أول مناسبة الاتحاديون في تظاهرات عنيفة ضدها، فقام على إثر ذلك هجوم عسكري اتحادي خاطف على المجتمعين من الحكومة في الباب العالي نتج عنه إجبار الحكومة على الاستقالة، وتعيين حكومة اتحادية جديدة في ١٣ يناير ١٩١٣م[1].

بدأ الاتحاديون يتبعون في سياستهم الطورانية منذ عام ١٩١٣م بسلسلة من الأعمال الاستفزازية ضد العرب، وكان أبرزها نشاط حركة التأليف وظهور مجموعة من المؤلفات التركية التي تضمنت طعناً جارحاً في الشخصيات العربية الإسلامية والدعوة إلى إحياء التقاليد والعادات التركية ونبذ كل ما هو عربي حتى بدا للرب أن الترك قطعوا صلتهم بالتاريخ العربي الإسلامي بل أصبحوا حرباً على كل ما يصل لغتهم وتراثهم بآثار اللغة العربية أو بمآثر العروبة والإسلام، وقد وصل الحنق ببعض غلاة الأتراك إلى حد الدعوة إلى رفع أسماء الخلفاء الراشدين ووصايا الرسول المعلقة في قباب المساجد في تركيا، وكتب أحد دعاتهم يخاطب الأتراك بقوله: انزعوا هذه الأسماء وضعوا مكانها أسماء العظماء الأتراك وقد بلغت القحة حداً بالغاً حين صدرت جريدة أقدام التركية وفيها مقال عن اليمن اتسم بطعنة العرب في الصميم، إذ جاء فيها أن العرب بمقتضى طبيعتهم يبيعون بالمال كل شيء حتى أعراضهم، ومما لاشك فيه أن الاتحاديين جعلوا الدولة ذات طابع طوراني يحيي مجد جنكيز خان وهولاكو وتيمورلانك وأتيلا وأضرابهم هي التي حملت العرب على الاعتقاد بأنهم صاروا غرباء عن الدولة مما حفزهم للسعي إلى الاستقلال والخروج عنها[1].

وهكذا على حين اتجه العرب إلى التشبث بكيانهم دفاعاً عن شخصيتهم، اتجه الأتراك إلى المغالاة في عنصريتهم والتطرف في قوميتهم مما أوجد

صراعاً بين الفريقين وربما كان من الممكن إزاء انقسام الدولة إلى عنصرين رئيسيين أن يتم التعاون فيما بينهم فيما لو استطاعت الدولة أن تحقق العدالة والمساواة، بيد أن الاتحاديين أصروا على تفوقهم العنصري في الوقت الذي لم يجد فيه العرب بتفوقهم الثقافي والحضاري وتراثهم الأدبي وما فيهم أي مبرر للتفوق التركي[٢].

استجابة للقوة والنفوذ الكبيرين اللذين كانت تمثلها هذه الجمعيات العربية السوية واللذين عكسهما المؤتمر العربي بباريس ١٩١٣م، والرغبة في التعاون مع «جمعية الاتحاد والترقي» التركية والتي كانت قد وصلت إلى المشاركة في السلطة والحكم بالامبراطورية يومئذ.

في ظل هذه الظروف أوفدت الحكومة العثمانية إلى باريس أحد مندوبيها لمفاوضة المؤتمرين، واستغرقت المفاوضات بين المناضل العربي «عبدالكريم الخليل» رئيس المنتدى العربي ومعتمد الشعبة العربية، وطلعت بك -وزير داخلية الدولة العثمانية- عن توقيع معاهدة بين الطرفين... الحركة القومية العربية بالمشرق العربي والحكومة العثمانية[٣].

تضمنت هذه الاتفاقية مجموعة بنود أهمها:

م١: يكون التعليم (الابتدائي والإعدادي والثانوي) باللغة العربية في جميع البلاد العربية، كما يكون التعليم العالي أيضاً بلغة الأكثرية، وإنما يكون تعليم اللغة العثمانية إجبارياً في المدارس الإعدادية.

م٢: يشترط في رؤساء المأمورين، بوجه عام، أن يكونوا واقفين على اللغة العربية.

م٣: إن العقارات والمؤسسات الوقفية المشروط صرفها إلى الجهات الخيرية المحلية، ستترك إلى مجالس الجماعات المحلية، على أن تدار من قبلها وفق شروطها الخاصة.

م٤: الأمور النافعة ستترك إلى الإدارة المحلية.

م٥: إن الأفراد العسكريين سيؤدون خدماتهم العسكرية -وقت السلم- داخل

البلاد العربية، في دوائر مناطق الجيش التي ينتسبون إليها، إلا أن الجنود الذين لابد من إرسالهم في الحالة الحاضرة إلى الحجاز وعسير واليمن، سيرسلون من جميع الولايات العثمانية ضمن نسبة معينة.

م٦: إن المقررات التي تتخذها مجالس المديريات العامة ضمن صلاحيتها القانونية ستكون نافذة على كل حال.

م٧: يقبل، كمبدأ أساسي، أن يكون في الوزارة ثلاثة من العرب على الأقل، كما أنه سيكون في الدوائر المركزية عدد مماثل من العرب بصفة مستشارين أو معاونين.

م٨: سيكون في الحاضرة خمسة «ولاة» وعشرة «متقربين» من العرب.

م٩: سيعين في مجلس الأعيان من العرب بنسبة اثنين عن كل ولاية عربية.

ولقد اعتبرت الحركة القومية ببلاد المشرق، وجمعياتها وأحزابها الوطنية هذه الاتفاقية انتصاراً كبيراً للأهداف التي ناضلوا من أجلها، وتنفيذاً لجوهريات المطالب التي صاغوا في مؤتمر باريس.

لكن النوايا غير الطيبة لممثلي الأتراك الذين ساهما في عقد الاتفاقية من قادة جمعية «الاتحاد والترقي». وأيضاً قيام الحرب العالمية الأولى، كل ذلك حال دون تطبيق الاتفاقية، وجعل الأتراك يتجاهلون نصوصها وموادها، بل استمروا في تعسفهم واضطهادهم كان مألوفاً ومعروفاً من قبل[1].

انهيار الدولة العثمانية (عوامل الضعف الداخلية):

لقد كان العثمانيون بالنسبة للعالم كقطب الرحى بفضل الروح الإسلامية العالية التي كانوا يتمتعون بها، والتي كانت من أكبر عوامل انتصاراتهم وفتوحاتهم كما أتقنوا شئون الحكم وخاصة عصور سلاطينهم الأوائل، كما أتقنوا الحرب وبلغوا مكان الصدارة في عالم أخذ بالتفتح والعلوم والفنون وكان عصر (الفاتح) أكبر مثل على استخدام أحدث الوسائل العلمية الحديثة

التي كانت سائدة في عصره، وبلغت الدولة عصر الذروة في عهد سليمان القانوني الذي فاق سلاطين آل عثمان بأعماله ومشروعاته العظيمة وفاقهم بنجاحه وظفره بأعدائه، ولكن الأمور لم تستمر على هذا المنهج نفسه ولا الأسلوب الذي اتبعوه منذ بزوغ نجمهم في صفحات التاريخ المضيء، فبدأ الانحراف عن منهج الله صغيراً ثم ازداد الانفراج واتسع تدريجياً إلى أن تحول إلى ملك عضوض فزحف الضعف والوهن إلى كيانهم فأخلدوا إلى الراحة والدعة والتنعم والتقاعس عن الجهاد وأخذ حالهم يتدنى يوماً بعد يوم ودبّ فيهم داء الأمم من قبلهم، الحسد والبغضاء[٢].

الصراع بين القوميتين العربية والتركية :

كانت سياسة الاتحاديين في فرض تتريك الأقاليم العربية وغيرها وإحياء العصبة الطورانية والكيد للإسلام ومساندة الصهيونية لتحقيق أطماعها في فلسطين وملاحقة العناصر القيادية من العرب وسياسة البطش والإرهاب التي اتبعها جمال باشا حاكم سوريا مع قادة دعاة الاستقلال سبباً في تزعزع الوفاق بين العرب والترك والذي استمر طيلة أربعة قرون تحت راية الأخوة الإسلامية[٣].

وشجعت سياسة الاتحاديين هذه دعاة القومية العربية إلى المناداة بالقومية العربية في مقابل مناداة الاتحاديين بالقومية الطورانية[١].

لقد زرعها الاستعمار عن طريق مدارس الإرساليات التبشيرية واتخذ من نصارى بلاد الشام الذين يشاركونه في العقيدة معبراً إلى المسلمين من ضعاف الإيمان فاتبعوها ودفع من جهة أخرى تلاميذ الماسون من رجال الاتحاد والترقي لتتريك العرب بالقوة كي يزيد من دفع العرب إلى المناداة بالقومية العربية[٢].

إذا كانت القومية التركية قد أجبرت أتاتورك على تمثل قيم العلمانية

الأوروبية، والعداء للدين الإسلامي، فإن القومية العربية قد انبنت على استعادة العصور العربية المجيدة المرتبطة بلا ريب في الإسلام منذ بزوغ الدعوة الإسلامية كدين عربي وصولاً إلى قيام دولتي الأمويين والعباسيين... هكذا قاد تبلور القوميتين العربية والتركية إلى تناقض في المعاني والمضامين التي تريد أن تمثلها كل قومية، وأرادت القومية التركية أن تكون سبيلاً إلى التخلص من الإرث الشرقي والديني المتمثل بشكل خاص بالإسلام والعرب، من أجل الانتماء إلى علمانية غربية وأن تكون جزءاً من المحيط الأوروبي، وعلى العكس من ذلك، فإن القومية العربية أرادت أن تحتفظ بما يمثله الإسلام من مخزون ثقافي وحضاري للعرب الذين احتفظوا على مرّ تاريخهم بدور الريادة الإسلامية، في السلطة وفي التعبير اللغوي، ولم يتفهم الأتراك. في فترة سادها سوء تفاهم عميق، ومغزى عداء العرب للغرب والاستعمار، إن ارتباط مفهوم القومية العربية بالعداء للاستعمار لم يطل الحاضر فقط، بل امتد ليشمل الماضي أيضاً، لقد تمثل للوعي القومي العربي أن الأتراك العثمانيين قد طمسوا الهوية العربية خلال أربعة قرون من الزمن، وأن الاستعمار التركي قد ترك الأمة العربية تتخبط في تخلف وفقر بعد أن حكمها بقسوة واستبداد ونهب خيراتها، وعلى هذا النحو صار لمفهوم الاستعمار مفاعيل قادرة على تفسير الماضي كقدرته على تفسير الحاضر، بحيث يصبح الاستعمار الراهن حلقة من حلقات طويلة يمثل الأتراك العثمانيون المساحة الأوسع فيها[1].

وتطلبت بلورة شخصية ثقافية وهوية قومية توجيه التهم إلى الطرف الآخر، وقد أدى ذلك إلى تمزقات وشروخ، وتطلب الأمر إنكار الآخر أو تجاهله أو استنفار حالة العداء. لقد كان أمراً مفقراً أن يعتقد كل من الشعبين أن بلورة الشخصية القومية يفترض إدارة الظهر للحاضر وتجاهل الماضي المشترك. لكن ومع ذلك، فإن استقلال العرب عن الأتراك لعب دوراً في تحرير نظرتهم عن أنفسهم، وكان مثل هذا الاستقلال أو الانفصال هو طريقهم إلى الدخول

في العالم الحديث، أي مغادرة ما اعتبر آنذاك الأشكال التقليدية التي حملتها الدولة العثمانية لقرون عديدة، وعلى القرار نفسه، فإن الأتراك اعتبروا من جهتهم أن انفصالهم عن العرب هو رمز لانفصالهم عن تاريخ طويل يشدهم إلى الماضي أو إلى تراث ثقافي يثقل الحاضر بمتطلباتها[٢].

وبينما أرادت القومية التركية أن تتبنى الحداثة الأوروبية بشكلها العلماني، وفصل الدولة عن الدين، أي بناء مثال قومي يتطابق مع دولة ذات حدود واضحة وسيادة على أراضيها، فإن الوطنية العربية التي كان لايزال أمامها أن تتخلص من الانتدابات الفرنسية والإنجليزية، وحررت أيدولوجية معادية للغرب الاستعماري وبينما أراد الأتراك التخلص من تراث الماضي تعلق العرب بالتراث العربي، ومن ثم ارتسم طريقان للقومية وللحداثة، ففي حين ظهرت القومية التركية وكأنها تريد أن تكون جزءاً من الأمم الأوروبية في مرحلة ما بين الحربين خصوصاً، يتبنى علمنة صريحة في انتمائها الغربي، فاختطت بذلك طريقها إلى الحداثة، فإن القومية العربية ثبت جزءاً من التراث التاريخي الذي لا ينفصل عن الإسلام وانبثاقه الذي كان عاملاً مؤثراً في دور العرب في التاريخ وتبنت طرفاً من الحداثة مع الاحتفاظ بالعداء للغرب. وكان لكل ذلك أثره في أشكال الدولة الصاعدة بينما جهد الأتراك أنفسهم من أجل إقامة تطابق بين الدول التركية والقومية التركية والتجربة التحديثية التي عبر عنها أتاتورك، فإن القومية العربية كانت من الوجهة النظرية نقيضاً للدولة الناشئة من التقسيمات التي أعقبت الحرب العالمية الأولى[١].

إلغاء الخلافة والتحول نحو العلمانية :

رحل السلطان «وحيد الدين» وبقي الخليفة «عبدالحميد» والخليفة الجديد كهل في الخامسة والخمسين، تولى «مقام» الخلافة وحدها، ولم يتولى

منصب «الحضرة السلطانية» معها فكان أول خليفة من آل عثمان بلا سلطان! وأمام الخليفة في قصر «ضولمة باغجة» على ضفة البوسفور راضياً بما قسمه الله له، ولكن مصطفى كمال لم يتركه كثيراً ولن يترك مقام «الخليفة» إلا مهدوماً، لقد اقترح الفصل بين السلطنة والخلافة مثلما يفعل القائد ليسهل ضرب كل منهما على انفراد وقد ضرب ضربته الأولى فألغى السلطنة ولاذ السلطان بالفرار وبقيت «الخلافة» معرضة وحدها للضربة التالية، وهي آتية لاشك فيها(٢).

وظهرت صحف في أنقرة وفي استانبول تكتب عن الخلافة بنغمة غير مألوفة، حيث لم يعد الخليفة في نظر الناس رجلاً معصوماً، ولم يعد الحديث عن أحواله وأعماله شيئاً غير مباح، بل صار موضوع الخليفة والخلافة نفسها موضوعاً عاماً تتناوله الصحف ويتناوله الناس من كل جوانبه، ثم مرت فترة صار فيها الموضوع المطروح للمناقشة: هل تبقى الخلافة أم تلغى؟ وعندئذ حاول أنصار الخلافة أن يستنجدوا بالمسلمين خارج تركيا.

في ظل هذه الظروف تقدم الشيخ صفوت أفندي ومعه خمسون من أعضاء المجلس الوطني بمشروع قانون يقضي بإلغاء الخلافة، وينفي باقي آل عثمان خارج تركيا، حدث هذا في يوم ٣ مارس سنة ١٩٢٤م، وفي الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والأربعين بعد ظهر ذلك اليوم صوت المجلس بالإجماع، فلم يعترض أحد وامتنع عن التصويت بضعة أعضاء، وكان التصويت هو إلغاء الخلافة الإسلامية. وصوّت المجلس في نفس اليوم على مشروع إلغاء وزارة الأوقاف الدينية، وضم جميع المدارس والمعاهد الدينية التي ينفق عليها من تلك الأوقاف إلى وزارة المعارف(١).

وبعد ذلك بثلاث ساعات وفي الساعة العاشرة مساءً توجهت فرقة من رجال الشرطة إلى قصر «ضولمة باغجه» حيث يقيم الخليفة عبدالمجيد وتلوا عليه قرار المجلس الوطني بإلغاء الخلافة وإقصائه هو وأسرته بعيداً عن تركيا،

وفي اليوم التالي وتحت جنح الظلام تحرك القطار الشهير «اكبسريس الشرق» متجهاً إلى سويسرا حاملاً آخر صفحات الخلافة الإسلامية[٢].

النظام الذي عاش عليه الأتراك طوال ستة قرون هو نظام السلطنة... يموت السلطان فيخلفه السلطان، وقد يعزل السلطان الضعيف لأنه ظالم فاسد، ولكن قرار العزل يصحبه في نفس الساعة قرار تولية السلطان الجديد، والسلطان في نظر الناس لا يمكن أن يكون رجلاً من عامة الناس، فقد عهدوا وتعودوا أن يكون سليل تلك الأسرة التي قادتهم في معارك النصر دهراً طويلاً فأضفى عليها الزمن جلالة ومهابة، ثم أقامت تلك الأسرة صلة بينها وبين النظام الإسلامي المعروف، نظام الخلافة، فنقلت الخلافة من القاهرة إلى استانبول، وصار سلطان الأتراك هو خليفة المسلمين[٣].

لكن مصطفى كمال يريد أن يحطم هذا كله في تلك اللحظة كان مصطفى كمال يحس إحساساً شديداً بنبضة الشعب التركي وكانت «الدراما» الكبرى في حياة مصطفى كمال، وحياة تركيا الحديثة أن نبض الشعب التركي لم يكن متسقاً مع نبض الشعوب الإسلامية بل إن شعوراً قوياً يغمر الأتراك، بأنه قد حق لهم الآن أن يتخلصوا من هذا كله، وأن يلقوا وراء ظهورهم بتلك السلطنة التي لم تعد أكبر من قبة ضخمة مزركشة، يرقد تحتها الدين الذي لا يملك من أمره شيئاً! إنه شخص ضعيف متهالك يقيم في الاستانة بعيداً عن الأناضول التي تتركز فيها الآن القوة الباقية في تركيا تحت قيادة مصطفى كمال.

لكن ما كان يساور الأتراك في دخيلة نفوسهم، وهل يمكن أن تكون هناك تركيا بدون سلطان... وإذا ذهب السلطان ألا تذهب معه الخلافة الإسلامية التي شعرنا بأننا مرتبطون بالعالم الإسلامي... ولو برابطة صورية معنوية!.

يحدث هذا كله ومصطفى كمال يبدو أمام الناس وكأنه تمثال من حديد لا يتكلم بينما تضطرم وراء الأهداف التي استقر عليها فكره، لابد أن يلغي السلطنة والسلطان، ولابد أن يلغي الخلافة والخليفة، ولابد أن يحكم تركيا

بنفسه، ليخلق تركيا جديدة يتجه بها اتجاهاً جديداً بعيداً عن الشرق، وبعيداً عن الإسلام وبعيداً عن كل الأسباب والمظاهر التي تربط بلاده بالشرق والإسلام! لكن ينبغي أن يتحرك إلى هذه الأهداف خطوة خطوة ولينتهز الفرص المواتية ليضرب ضرباته واحدة تلو الأخرى، وتأتي الفرصة الأولى: مؤتمر الصلح منعقد في لوزان وحشمت باشا يمثل تركيا في المؤتمر، وتحاول تركيا وبريطانيا أن تقوم بلعبة من ألاعيب السياسة، فهي توعز إلى السلطان أن يرسل وفداً إلى مؤتمر لوزان، وبهذا يكون لتركيا وفدان يتصارعان معاً... فما أن سمع الناس إلى تركيا أن بريطانيا طلبت من السلطان أن يرسل وفداً حتى ثاروا وفاروا غضباً وسخطاً على السلطان[1].

وفي خضم هذه الثورة الشعبية العارمة قرر مصطفى كمال أن يضرب ضربته الأولى، فأوعز إلى عدد من أعضاء الجمعية الوطنية في أنقرة أن يطلبوا مناقشة موقف السلطان وحيد الدين.

وذهب مصطفى كمال إلى الجمعية الوطنية وألقى خطاباً وطلب في النهاية أن تقرر الجمعية إلغاء منصب السلطان والإبقاء على مقام الخلافة، وارتفعت الأيدي تؤيد الاقتراح وصاح رئيس الجمعية أن الأغلبية واضحة كل الوضوح لقد قررت الأغلبية خلع السلطان وإلغاء السلطنة. حدث هذا يوم ١٧ نوفمبر ١٩٢٢م، ولم تكن هناك حاجة إلى عزل السلطان بالقوة حيث رحل السلطان إلى سويسرا وكانت هي المنفى الذي عاش فيه آخر سلاطين آل عثمان[1].

واجتمعت الجمعية الوطنية بعد قليل، وقررت بالإجماع انتخاب مصطفى كمال رئيساً للجمهورية[2].

في عام ١٩٢٣م تركيا جمهورية رسمياً وأصبحت عاصمتها أنقرة، وانتخب مصطفى كمال رئيساً للجمهورية، مؤكداً السلطة في يده وأصبح بالفعل ديكتاتوراً يملي إرادته على المجلس الوطني، وقد غضب الكثيرون من موقف مصطفى كمال وديكتاتوريته والتفوا حول الخليفة الذي كان ضعيف الإرادة. لكن مصطفى كمال لم يرتح لذلك، فعامل الخليفة معاملة سيئة وارتقب

الفرصة المواتية للخطوة التالية.

وقد سنحت الفرصة وبطريقة غريبة، وبينما كان الشعور الشعبي في أوجه ومناصراً لمصطفى كمال تقدم هذا الأخير للمجلس الوطني بمشروع قانون لإلغاء الخلافة فأقره المجلس في نفس اليوم الثالث من مارس ١٩٢٤م، وأصدر مصطفى كمال رسوماً يلغي الخلافة في ١٣ مارس ١٩٢٤م، ونفي الخليفة عبدالمجيد وجميع أعضاء أسرته من الأرض التركية[٣].

بعد ذلك قرر مصطفى كمال الالتفات إلى الغرب وأراد أن يجعل من تركيا دولة غربية في أسرع وقت ممكن، كما أنه عارض فكرة الاتحاد الإسلامي معارضة كلية، وأصبحت الفكرة السائدة هي الفكرة الطورانية لأن الأتراك جنس طوراني، وهكذا فضل مصطفى كمال فكرة القومية الوثيقة على الفكرة الإسلامية العالمية المطاطة[٤].

وكان مصطفى كمال بعد جلاء القوات الأجنبية عن بلاده قد بدأ في تجريد السلطان محمد الخامس من سلطاته، فاتهمه بأنه أداة طيعة في أيدي الأجانب والخونة الأتراك، ولكن عندما اجتاج الغضب الأتراك، وقف مصطفى كمال يدافع عنه ويقول إن الدين والسياسة لا يجتمعان، وإذا كان السلطان خليفة، فلماذا لا نجرده من الحكم، ونبقي له الخلافة، وعندما حاولت الجمعية الوطنية الموافقة على الاقتراح، وعارضه الكثيرون، ولكنهم منعوا من الكلام ودارت الاشتباكات داخل الجمعية الوطنية التركية. ولكن رئيس الجمعية صاح وسط الصراخ والتضارب: موافقة إجماعية، فوافقت الجمعية على إلغاء السلطنة.

ولقد لقي قرار إلغاء السلطنة معارضة قوية في أنحاء تركيا وخارجها وظن السلطان وأعوانه عقب اتخاذه، إنهم يستطيعون معارضته، ولكن مصطفى كمال أشاع أنه سيحاكم السلطان وقد أبعده، فسكت السلطان ثم طلب إلى القائد الإنجليزي هار ينجتون أن يساعده على الهرب[١]، لكن هار ينجتون خاف أن يتهم باختطافه، فطلب إلى مبعوث السلطان ليحضر إليه مكتوباً

بذلك. وفي ١٧ نوفمبر عام ١٩٢٢م جاءت إلى الباب الخلفي لقصر يلدز عربة إسعاف استقلها السلطان، ثم أبحرت المدمرة الإنجليزية «مالابو» بكل هذا في طريقها إلى إيطاليا ثم سان ريمون حيث عاش السلطان بقية حياته، وأصبح ابن عمه عبدالحميد خليفة للمسلمين ثم وافقت الجمعية الوطنية على إنشاء النظام الجمهوري، وانتخبت مصطفى كمال رئيساً للجمهورية في ٢٩ أكتوبر عام ١٩٢٣م. ثم ألغيت الخلافة في ٣ مارس عام ١٩٢٤م من دون مناقشة بالجمعية الوطنية، وصدر قانون يحكم بالإعدام على كل من يتآمر على عودتها، وأرسل الخليفة عبدالمجيد إلى سويسرا[٢].

تداعيات سقوط الخلافة عربياً وتركياً :

لقد ترتب على سقوط الخلافة آثار عديدة سواء بالنسبة للأتراك أنفسهم، أو بالنسبة للمسلمين الذين يعيشون في الدول الغربية وبصفة خاصة «المسلمون في روسيا» وسوف نتناول هذا الآثار فيمايلي:

لقد خيّم على الأتراك جو من الوجوم... فمهما كان الأمر، ومهما كان «الخليفة» مجرد اسم على غير مسمى، ومهما كانت الخلافة مصدراً للتعصب الأوروبي ضد الأتراك في الماضي والحاضر، فقد كان نظام الخلافة ومظاهرها سمة من سمات الحياة التركية، عاش معها الأتراك وعاشت معهم قرون عديدة.... وقد اعتزوا بها حيناً، وألفوها وعايشوها حيناً، وضاقوا بها واحتملوها على مضض حيناً... لكنها جزء من تاريخهم وحياتهم فلم يكن اختفاؤها من حياتهم وعلى هذه الصورة، أمراً سهلاً على مشاعرهم. بل كانت صدمة نفسية من غير شك. وقد كان من أهم آثار إلغاء الخلافة على تركيا هو إنهاء العلاقات التاريخية والعرقية والدينية التي تربط تركيا بالمسلمين في تركستان والقوقاز.

أما الكارثة الكبرى فقد حلت بأقرب المسلمين إلى تركيا... وهم المسلمون في

روسيا الذين كانوا حتى ذلك الوقت يقاومون الروس حفاظاً على قوميتهم ولعى دينهم.

فعلى الرغم من كل الهزائم التي لحقت بهؤلاء المسلمين في معارك كثيرة في جبال تركستان ووهادها. فقد ظلت روح المقاومة العنيدة باقية فيهم... لأنهم كانوا يشعرون أنه ما بقيت تركيا إسلامية فستظل مصدراً يستمدون منه القوة المعنوية والعون المادي أحياناً... لذلك عندما انهارت الخلافة الإسلامية في تركيا، انهارت مقاومة هؤلاء المسلمون خاصة بعد أن بدا لهم أن تركيا الجديدة قد أخلت نفسها من كل مسؤولية عن هؤلاء المسلمين كما أنهت تركيا الجديدة علاقاتها التاريخية والعرقية والدينية بالمسلمين في تركستان والقوقاز، وكانت هذه هي نهاية تلك المقاومة[1].

تلقى الناس في مصر أنباء إلغاء الخلافة الإسلامية بالاستنكار والأسى وندد الخطباء في المساجد وفي الأندية الإسلامية بتقويض الخلافة التي كان الكثيرون منهم يعدونها ركناً شرعياً في النظام الإسلامي.

ومن ثم فقد ترتب على إلغاء الخلافة في تركيا قيام معركة دينية وفكرية وسياسية في مصر. فقد ظل موضوع الخلافة حياً في مصر.. وظل لها مؤيدوها الكثيرون، ولها معارضوها القلائل. فلما صدر في القاهرة كتاب يتناول موضوع الخلافة التهبت المشاعر فجأة.. وقامت قيامة الجانبين[1].

وبعد البحث والدراسة تبين أن من أسباب ضعف الدولة نجمت عن عنصرين أساسيين:

العنصر الأول: العلماء، حيث كان العلماء في عهد الفتوح والعظمة مسيطرين على ملوك العثمانيين، وكان منهم في العهد الماضي رجال أعلام سلمت نفوسهم من المفاسد ينكرون المنكر ويدعون إلى المعروف وكانوا قوة يخافها الملوك، ويقفون أمامهم إذا جاوزوا الحد، وكان شيخ الإسلام ذا مكانة مرموقة وله تخضع الهيئات القضائية والتشريعية، وكان السلاطين من آل عثمان يوقرونه ويخضعون له ويستشيرونه في جميع أمورهم حتى أمور

الحرب لم تكن تتم إلا بعد فتوى شيخ الإسلام، وهذا هو التاريخ يسجل في أروع صفحاته أن القاضي شمس الدين القناوي رد شهادة السلطان بايزيد - الملقب بالصاعقة- ولم يقبلها، لأنه تارك الصلاة مع الجماعة، وكان سليم الأول والذي عرف عنه أن الأمر بالقتل أقرب إلى شفتيه من الشمال إلى اليمين وطالما قتل وزراءه لأسباب تافهة كان سليم هذا يحاذر أن يقع في غضب مفتيه «زنبللي علي» إلى هذا الحد بلغ احترام السلاطين للشرع ورجاله[٢]، ولكن لما أحدث سليمان القانوني الألقاب والرتب والعلمية وأمال على علماء الدنيا على مالم يكن به عهد، أمسوا يتنافسون للوصول إلى هذه المقامات العلمية بالتقرب من السلاطين، وبعد أن كانت المناصب الدينية توجه في عهد السلاطين العشرة الأوائل لذوي الكفاءة من الرجال وذلك بالامتحان أو التقادم ي العلم، أصبحت تلك المناصب تسند بالشفاعات، ومن هنا قلت رقابة العلماء على السلطان خصوصاً من أواخر عهد سليمان ومن أتى من بعده، فأصبحوا لا يأخذون على أيديهم فيما تقع منهم من أخطاء أضرت بالدولة فيما بعد ضرراً كبيراً وأصبحت مصالح الدولة تذهب بسبب سكوت العلماء[١].

العنصر الثاني: الخلفاء حيث لم يكن من أتى من السلاطين بعد سليمان القانوني على شكالة من سبقوهم من السلاطين الأو باستثناء محمد الثالث ومراد الرابع ومصطفى الثالث، وقد كانوا على مستوى أهلية الحكم إلا القليل فقد ولي الحكم سلاطين وهم في سن صغيرة فقد كان عمر أحمد الأول، وعثمان الثاني أكثر من أربع عشرة سنة عندما بويعا بالسلطنة وكان سن مراد يوم مبايعته اثني عشر عاماً، وكان لمحمد الرابع سبع سنين، وماذا ينتظر من تولية أمور الدولة للأطفال إلا لأن يتحكم فيهم وفي الدولة الوزراء وغيرهم من النساء والندماء مما سبب فوضى في الجيش[٢].

كما أن تغير الدم السلطاني يعد من الأسباب الجوهرية في ضعف الدولة فقد أكثروا من اقتناء الجواري والسراري من النصرانيات فكان سليم الثاني

روسي، لأن أمه روسية، ومحمد الثالث نصف بندقي لأن أمه بندقية، وعثمان الثاني ومراد الرابع، وإبراهيم الأول، أنصاف أروام، لأن أمهاتهم روميات، كما كثر عدد من تولوا أعمال السلطنة ممن دانوا بالإسلام من نصارى الروم والألبان والصرب والبلغار، وعلى عهد سليم الثاني كان من بين ثمانية رجال تولوا الصدارة العظمى ستة من المهتدين إلى الإسلام حديثاً منهم الجنوي والبنجناكي واليوناني والروسي، وكان إسناد المناصب العليا لهؤلاء وغيرهم من أسباب ضعف الدولة، فقد كان هؤلاء يعملون لحساب دولهم، كما كن من السلاطين من بلغ حداً في الإسراف حتى اضطرت خزينة الدولة للاقتراض بالفائدة الباهظة مما جعل الدول الغربية الدائنة تتدخل في شؤون الدولة وستعبدها اقتصادياً حتى آخر أيامها[٢].

حقاً كان الجناة والمسؤولون هم الأتراك -رجال الاتحاد والترقي- الذين زيّن لهم غرورهم ودفعهم حنقهم إلى الاشتراك في الحرب وما كانت إلا حرباً أوروبية في أوروبية أمريكية مدارها النزاع على الامبراطوريات والاستئثار المنافع الاقتصادية والسياسية فأعوزوا إلى ألمانيا وأعلنوا الحرب في أكتوبر ١٩١٤م على الإنجليز وفرنسا وروسيا فبذلك قامروا بدولتهم وأنفسهم والأقطار المرتبطة بهم مقامرة انتهت بتحطيم دولتهم وذهاب ريحهم، ثم كان أوخم العواقب تلك المقامرة أنها أتاحت الفرصة للاستعمار ليثب على الشرق العربي، فيفقد تلك الأقطار استقلالها وحريتها ويؤدي كرامتها، ويحاول طمس شخصيتها ويهدد حياتها.

إلا أن العرب هم الآخرون شاركوا أيضاً في عملية إسقاط الخلافة، ومشاركتهم هذه تتحدد في أنهم فقدوا الحس الإسلامي الصحيح فاندفعوا إلى ما اندفع إليه الأتراك -من رجال الاتحاد والترقي- فنادوا بالقومية العربية في مقابل القومية الطورانية، صحيح أن الاتحاديين هم الذين بدأوا بتلك النزعة إلا أنه كان يجب على العرب باعتبارهم أعرف الناس بالإسلام وبتعاليمه، وهم أول من حمل شعلة الإسلام[١]، كان يجب عليهم أن يروا

إخوانهم فإن أبوا فعليهم أن يتمسكوا بالإسلام وألا يحيدوا عنه ومهما كانت الخطوب ففيه عزهم ونصرهم، ولكن للأسف لم يحدث هذا وارتمى العرب في أحضان الغرب -الإنجليز- الذين أغروهم بالانقضاض على الترك وهم في حرب حياة أو موت ووعدتهم في سبيل ذلك بإقامة خلافة عربية بدل الخلافة العثمانية ولو أخذ المشروع طريقه إلى الحياة لاستحال إلى خلافة تضارع الخلافة العباسية أو العثمانية في عصور الانحلال والظلام.

وطبعاً كان من المستحيل أن يحدث وما كان الإنجليز ليسمحوا به، فالصليبيون الجدد لا يتصورون في سياستهم أن يقيموا دولة فيها أية آثار للإسلام وهم الذين ورثوا في دمائهم بغض الإسلام وأهله[٢].

لقد غاب عن العرب الوعي الصحيح والإدراك السليم وذهب عنهم كياسة الإيمان، فلم يفطنوا إلى ما يراد بهم وبالإسلام فوثقوا ببلاهة غريبة في وعود الإنجليز التي كانت كالسراب حسبه العرب ماء يروي ظمأهم، حتى إذا جاءوه لم يجدوه شيئاً، أعلن الشريف حسين زعيم العرب والخليفة المنتظر الثورة على الأتراك في ١٠ يونيو ١٩١٦م، وتدفقت المؤن والدوا والذخائر والذهب تحملها السفن الإنجليزية إلى موانىء الحجاز وأخذ فيصل بن الحسين ينثر الذهب الإنجليزي مع خطبة ليجمع العرب حوله الذين أقسموا على الإخلاص للثورة العربية ولم يدر العرب أنهم باعوا بلادهم وأنفسهم بهذا الذهب ونال الإنجليز والفرنسيون من العرب كل ما أرادوه وكان آخر ما أدّاه الجيش العربي الذي كان كريماً إلى حد السفه أنه كفل لجيوشهم الأمن والأمان في بلاد العرب وفي أرجاء الشام حيث نظر إليه الناس نظرة الحلفاء والأصدقاء وفتحوا لهم أبوا دمشق تستقبلهم استقبال الأبطال حين دخلوها تحت راية جيش فيصل العربي.

ثم استيقظ العرب على أكبر خديعة حدثت لهم في التاريخ من خيانة الإنجليز لكل عهودهم التي بذلوها للعرب، فقد تبين من بعد أنهم بذلوا للفرنسيين ولليهود في الوقت نفسه وعوداً أخرى تتعارض مع الوعود التي

بذلوها للعرب، إذ اتفقوا مع الأولين على احتلال الشام واتفقوا مع الآخرين على التمهيد لتحقيق أحلامهم في اتخاذ فلسطين وطناً قومياً لهم[1]، وأن العرب هم المسؤولون عن إضعاف الخلافة بطعنها في ظهرها وعن ضياع بلادهم، وبعد ضياع البلاد وإزهاق الأرواح وجد العرب أنفسهم في حالة أسوأ بكثير مما كانت عليه في عهد الدولة العثمانية فقد مزقت بلادهم إرباً وقطعت أوصالها ونصب عليهم سادة متعددون هم الأجانب عن ثقافتها الغرباء عن روحها الأعداء التاريخيين للإسلام منذ عصر الحروب الصليبيية[2].

ملامح الدولة التركية الحديثة :

لقد صدم الكثير من الأتراك، وعامة المسلمين، بإزاحة الخلافة، ووقف الأتراك في صمت إزاء سياسة الغازي مصطفى كمال الذي نجح في استقطاب جميع مراكز القوى بيديه، وبدأ منذ عام ١٩٢٥م يطبّق أفكاره ويمارس سياسته في تحديث إلغاء الطربوش.

كان الطربوش يمثل عنوان الثقافة العثمانية في القرن التاسع عشر بعد أن جاءت إصلاحات محمود الثاني قبل قرن كامل من عهد مصطفى كامل، واستخدمه المسلمون والمسيحيون واليهود والعثمانيون، ولكن الغازي قاد «ثورة» على «الطربوش» وأقر «القبعة الأوروبية» عنواناً جديداً لشباب الجمهورية الفتية ورمزاً للتحرر والتقدم. وبدأ الغازي ثورته الجديدة، بطريقة مرحلية فرض القبعة أولاً على نفسه، ثم على حرسه الخاص ولما لم يجد الغازي اعتراضاً فرض القبعة على الشعب، فكادت حرب أهلية تنشأ بسبب منع الطربوش وانتزع الغازي مرسوماً من المجلس الوطني بإلغاء الطربوش في أغسطس عام ١٩٢٥[1].

إغلاق التكايا والزوايا وإلغاء الطرق الدينية :

تعتبر الطرق الدينية والتكايا من عناصر الحياة الاجتماعية العثمانية فهي من ناحية كانت الوسيط الذي انتشر من خلاله الإسلام في الأناضول ومن ناحية أخرى كان لها دورها في الرد عن الإسلام والبلا من أوكار الخطر... ومن ناحية ثالثة، لعبت الطرق الدينية والتكايا دوراً مهماً، كتضامنية اجتماعية لها مؤسساتها الخيرية والتربوية والتعليمية.

وقد كان لمشايخ الطرق في تركيا، وقت إعلان الجمهورية، ضلع في الجمعيات والاجتماعات السرية والدعوة إلى التظاهر، وإثارة العصبية ضد الحكومة الأتاتوركية الجديدة، وخصوصاً الطريقة الرفاعية والطريقة الشاذلية، وفي نوفمبر عام ١٩٢٥م استصدر مصطفى كمال مراسيم تضمت:

- إغلاق الزوايا والتكايا الموجودة بالدولة سواء كانت وقفاً أو ملكاً لمشايخها.
- إلغاء كل أنواع الطرق ومشايخها وإلغاء ألقاب الدراويش والمرير والأستاذ والسيد والجبلي والبابا والأمير والنقيب والخليفة والعرافة، وحظر السحر والتنجيم وكتابة التعاويذ والأحجبة والتمائم.
- حظر استعمال عناوين وصفات أزياء تدل على تلك الطرق.
- يحكم على من يخالف هذه القرارات بالحبس مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر وغرامة مالية لا تقل عن خمسين ليرة.

وعندما تمرد الدراويش وتظاهروا احتجاجاً على إلغاء الطرق الدينية وإغلاق التكايا، شن مصطفى كمال هجوماً على هؤلاء الدراويش وقال فيه: طلب العون من الميت عار على المجتمع المتمدن[١].

القانون المدني وحظر الحجاب :

عرفت الدولة العثمانية، خلال عصر التنظيمات، استمرار القوانين الغربية

على نحو ما حدث لدى إصدار القانون التجاري عام ١٨٥٠م والذي أخذ من القانون الفرنسي، وكان قانون الجزاء العثماني الصادر عام ١٩٥٨م مستمداً من قانون العقوبات الفرنسي.

وفي حين شهد عصر التنظيمات استحداث محاكم مدنية على النسق الغربي للنظر فيا القضايا المدنية التي تخص غير المسلمين، فإن المحاكم الشرعية ظلت تنظر القضايا المدنية للمسلمين[٢].

وجري تقنين الفقه الإسلامي، وفي كتاب سمي «مجلة الأحكام العدلية» واعتبر أساساً للقانون المدني في الدولة العثمانية، واستمر العمل بمجلة الأحكام العدلية حتى عام ١٩٢٦م.

حينما قرر مصطفى كمال استمداد القانون المدني السويسري كأساس للقانون المدني التركي الذي صدر في أكتوبر عام ١٩٢٦م، وتضمن القانون ٤٤٨ مادة تضمنت موضوعات حقوق الشخص، الأشخاص المعنويين، الزواج، الطلاق، النفقة، النسب، التبني، الميراث، وغيرها.

وفي نهاية ١٩٢٦م، جرى فرض السفور على النساء، وأصدرت المجالس البلدية قراراً يحظر على السيدات لبس الجلباب وإلزامهن بعدم لبس الستائر وإلا قدم أزواجهن أو أقرباؤهن للمحاكمة.

تغريب التعليم واللغة التركية :

قاد مصطفى كمال عملية تغريب التعليم على مرحلتين، وتضمنت الأولى توحيد المدارس، وكانت المرحلة الثانية هي مرحلة إلغاء الحروف العربية واستبدال الحروف اللاتينية بها.

لقد قام التعليم العثماني، وخصوصاً بعد عصر التنظيمات على الازدواجية بين مدارس دينية ومدارس مدنية (غربية)[١].

وأصدر مصطفى كمال عام ١٩٢٤م، قانون توحيد المدارس، الذي تضمن ضم

جميع المؤسسات التعليمية ديني وغير دينية إلى وزارة المعارف، كما أوكل لوزارة المعارف أن تنشىء كلية للإلهيات في الجامعة متخصصة في الأمور الدينية، وأن تنشىء مدارس خاصة لتخريج الأئمة والخطباء. ولفك أي ارتباط بالإسلام والعرب، قدر مصطفى كمال كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية.

وكما بدأ مصطفى كمال بنفسه في تعليم اللغة التركية الجديدة، سمى نفسه أتاتورك «أي أبو الأتراك» عندما طلب من كل تركي اتخاذ اسم عائلة ينتسب إليها.

لقد أراد أتاتورك، بكل ذلك، ثورة من أجل تغريب تركيا.

وفي عام ١٩٣٨م، أيضاً، ألغى أتاتورك مادة الدستور المتضمنة «الإسلام دين الدولة التركية»[١].

بعد نجاح مصطفى كمال في تدعيم أسس دولته الحديثة بالقضاء على ثورة الأكراد، وبعد أن أزاح جميع معارضيه عن المسرح، باشر عندئذ في تطبيق الأفكار التي كانت تداعب مخيلته ولم يكتف بمهاجمة الرموز الإسلامية بل عم في هدم المؤسسات الإسلامية فألغى الوقف الإسلامي وضم أملاكه إلى الدولة، وسن مجموعة قوانين أوروبية وطبقها بدلاً من القوانين المستمدة من القرآن الكريم والسنة الإسلامية.

سار أتاتورك في سنة ١٩٢٣م في تنفيذ برنامجه الديني بخطى أسرع، فألغى التكايا، وحل فرق الدراويش الصوفيين، وأمر رجال الدين ألا يرتدوا أزياءهم الدينية الرسمية إلا في الجامع أو الكنيسة، وألغى التقويم الهجري واستعارض عنه بالتقويم الغربي، وجعل نهار الأحد يوم العطلة الأسبوعية بدلاً منيوم الجمعة، وانحرف نحو علاقة مفتوحة مع الغرب وقطع كل علاقة تربط الأتراك بالعرب[٢].

وانتقل مصطفى كمال إلى الجولة الثانية من إصلاحاته[٣]، فقد أحل بالقانون تغييراً كلياً، فقد كان القانون مبنياً على القرآن الكريم والحديث النبوي

الشريف غير أنه أدخل عليه القانون المدني السويسري، والقانون الجزائي الإيطالي، والقانون الألماني وتبع ذلك تغيير قانون الأحوال الشخصية المتعلق بأحكام الزواج والإرث وغيرها، وقد ألغى نظام تعدد الزوجات.

ومن التغيرات التي خرجت على التقاليد الدينية القديمة تشجيع الرسم والتصوير والنحت على شكل إنسان ومع أنها محرمة في الإسلام، إلا أن أتاتورك قد فتح لها المدارس وأفسح المجال لتعليم المرأة الفنون أيضاً.

أما المرأة التركية فإنها لعبت دوراً هاماً في كفاح تركيا في سبيل الحرية، أقدم مصطفى كمال على تحريرها من كل قيد، وقامت جمعية باسم الدفاع عن «حقوق المرأة» كما فتحت المناصب أمام المرأة. وكان الحجاب أول ما وقع كثيراً وكان مولعاً به ويعتقد أنه يحرر المرأة ويساعد على تغلغل الحضارة الأوروبية. الغناء والرقص رمزي التقدم والتمدن كذلك شجع مصطفى كمال الأطفال على تنمية شخصيتهم، والاعتماد على أنفسهم بنبذ الأساليب البالية من الحفظ عن ظهر قلب التي كانت تتبعها المدارس الدينية.

ومن التعديلات البسيطة التي لها دلالة على الاتجاه الجديد الذي سار عليه حكام تركيا، هو صرف الناس عن الطريق القديم من «إلقاء السلام» بعضهم على بعض واستبدالها بالمصافحة باليد لأنها أكثر ملائمة لروح التحدث والرمز[1].

وانتقل أتاتورك في كفاحه إلى اللغة التركية فقد كانت التركية تكتب بالحروف العربية وهي في رأيه وسيلة رجعية. لذلك قرر استعمال الحروف اللاتينية بدلاً من العربية في الكتابة والقراءة، وأصدر قانوناً حدد المدة التي يلغي بعدها استعمال الأحرف العربية واستعمال الأحرف اللاتينية إجبارياً وأخيراً إلزام كل من يتراوح عمره بين السادسة عشرة والأربعين على دراسة الأبجدية اللاتينية في المدرسة[2].

كذلك قرر مصطفى كمال إسقاط الكلمات العربية والفارسية من اللغة التركية والاستعاضة عنها بالكلمات التركية الأصلية. وكان وراء هذا التغيير

واقع مؤلم لأن كمال أتاتورك كان يريد أن يفصل تركيا بقدر الإمكان عن المؤثرات العربية وغيرها.

وقد تتبع التبديل في اللغة بتبديل في أسما المدن والأشخاص أيضاً فقد أصبحت القسطنطنية «استانبول» وانكورا «أنقرة» ووسمسيرنه «أزمير» وكانت معظم أسماء الأعلام عربية كاسم مصطفى كمال. أما الاتجاه الحديث فهو إعطاء أسماء تركية صرفة لذلك تقرر في عام ١٩٣٤م، أن يتخذ كل شخص لنفسه كنية بدلاً من الانتساب لأبيه وبناءً على ذلك أطلقت الجمعية الوطنية على مصطفى كمال لقباً فريداً هو «أتاتورك» أو أبو الأتراك، فأصبح يدعى «كمال أتاتورك»[١].

وكخاتمة لعملية التحول إلى الغرب والانفصال عن الشرق وهي عملية تضمنت أيضاً الأذان باللغة التركية، والاستعاضة عن اسم الجلالة بكلمة تركية، وحظر الموسيقى الشرقية، وأما الضجة على هذا التحول فقد كان أتاتورك يلجأ إلى قمعها بشدة.

أجل إن أتاتورك قاتل طويلاً من أجل بقاء الشعب التركي في وطن تركي مستقلاً في حكم نفسه، ولكنه تنازل عن معظم ما تميز به الأتراك في الماضي. مجد أتاتورك قومه غير أنه ازدرى ما حققوه في الماضي[٢].

بعد أن قام مصطفى كمال بإلغاء الخلاة الإسلامية في عام ١٣٤٢هـ ١٩٢٤م وأقر الدستور الجمهوري المعارض في الإسلام قام هو نفسه بإلغاء المحاكم والمدارس الشرعية واستبدلها بأنظمة علمانية[٣]، كما ألغى القانون الإسلامي وتبني قانون الأحوال الشخصية العلماني الخالص، وثم ألغى الحروف العربية التي كانت تكتب بها اللغة التركية، واستبدلها بأحرف لاتينية فقطع كل صلة للشعب المسلم بماضيه الإسلامي إذ إن قرآنه وحديثه وفقهه وجميع تراثه مكتوب بالأحرف العربية ونشأ بذلك جيل مبتور الصلة بالماضي الإسلامي العريق، وتقهقرت الحياة الأدبية والثقافية والاقتصادية وتعذرت الكتابة على القلة وقلت الكتب والمجلات الثقافية واندثرت الملايين من

الكتب. ثم ألغى وزارة الأوقاف وتبنى التقويم العز يغوري الغربي النصراني إلى جانب التقويم الهجري في البداية ثم ألغى التقويم الهجري وترجم القرآن الكريم للتركية ففقد كل معانيه ومدلولاته، وفرض السفور على المرأة وألغى الحجاب ومنع لبس الطربوش وفرض ارتداء القبعة، ثم منع ارتداء ملابس علماء المسلمين خارج المساجد وتخلص من الجماعات الإسلامية والمعنوية، ثم حدد عدد المساجد وفرض على الخطباء الذين عينهم التكلم عن الزراعة والصناعة وسياسة الدولة وكيل المديح له في خطبة الجمعة، ثم أخلى جامع آياصوفيا ومسجد الفاتح ومنع التعبد فيهما وجعلهما متحفين ومن ضمن الآثار القديمة خطط المدارس العلمانية على النمط الحديث وتبني القانون الجزائي والمدني الأوروبي[1].

تجلت سياسة أتاتورك في برنامج حزبه (حزب الشعب الجمهوري) لعام ١٣٩٤هـ مرة ثانية في فبراير عام ١٣٥٥هـ والتي نص عليها الدستور التركي وهي المبادىء الستة لاتي رسمت بشكل ستة أسهم على علم الحزب وهي: (القومية، الجمهورية، الشعبية، العلمانية، الثورية، سلطة الدولة) وطبقاً لمبادىء الحزب تم تغيير المناهج الدراسية وأعيدت كتابة التاريخ من أجل إبراز الماضي التركي القومي كما جرى تنقية اللغة من الكلمات العربية والفارسية واستبدل الكثير من الكلمات بأخرى أوروبية أو أرجعت إلى أصول حيثية واستمر ذلك التبديل حتى طرح مفهوم أشمل اللغات، كما جرى التخلي عن أهداف الجامعة الإسلامية والجامعة الطورانية والعثمانية في السياسة الدولية، وضم لواء (الإسكندرية) اسكندرون إلى تركيا في عام ١٣٥٦هـ، واحتلته القوات التركية في عام ١٣٥٧هـ وبحثت الحكومات التركية عن الحلفاء من الدول الصغرى ووقعت معاهدة البلقان ثم ميثاق سعد أباد مع إيران والعراق وأفغانستان، وجعلت هذه النقاط زاوية الخلاف مع العرب إخوة الأمس تزداد انفراجاً ووجدت مشكلة الخلاف المستحكم بين هاتين الفئتين وهكذا خطط لها الغرب أو أراد[2].

اتسمت الدولة التركية الحديثة بمجموعة من الملاح التي شكلت تركيا الحديثة أهمها مايلي:

١- نشر التعليم الحديث :

حيث رأى كمال أتاتورك أن تركيا الحديثة لن تقوم إلا عن طريق التعليم الحديث والعمل الحديث، وقام بفتح المدارس بكل حي وكل قرية وأصر على ضرورة أن يذهب الأولاد والبنات أيضاً، إلى هذه المدارس، وضرورة تعلم الكبار الكتابة والقراءة في فصول ليلية، كما قام أتاتورك بإدخال اللاتينية كوسيلة للقراءة والكتابة بدلاً من اللغة التركية.

٢- النهضة الصناعية :

حيث قام أتاتورك بإنشاء المصانع الجديدة واستيراد الآلات لها من أوروبا كذلك مد الخطوط الحديدية في جميع أنحاء تركيا. كما قام بتوسيع المباني وبناء السفن وزيادة التجارة في البلاد[١].

٣- رحيل الأجانب من تركيا، وإحلال الأتراك مكانهم :

اعتمد أتاتورك في بناء تركيا الحديثة على الأتراك أنفسهم وليس الأجانب... أولئك الذين استغلوا تركيا استغلالاً بشعاً على مدى فترة طويلة من الزمان، أقاما خلالها نظاماً مهماً من نظم الاستعمار والاستعلاء. لذلك قرر ترحيل هذا العدد الضخم من الأجانب من تركيا، وبدأ الأتراك في ممارسة شئون التجارة والمال في إدارة المرافق العامة... وهي مجالات كانت أبعد ما تكون عن تفكير الأتراك.

٤- تحديث الأتراك في مظهرهم، وتحديث التركية في سلوكها[٢] :

حيث أمر أتاتورك بأن يلبس الأتراك القبعة بدلاً من الطربوش، أما العمامة

فتقتصر على رجال الدين فقط.

ما المرأة التركية الحديثة فإنها تذهب إلى المدرسة وإلى الوظيفة، وتخرج إلى الشارع بلا حجاب على رأسها. وتشارك في حفلات الرقص والسمر مع الشباب.

٥- تعديل الدستور التركي ليواكب المستجدات :

حيث أصدر المجلس الوطني قراراً بحذف جملة «الإسلام هو الدين الرسمي للدولة التركية» وهو ما كان ينص عليه الدستور التركي في مادته الثانية وأبقى اللغة التركية اللغة الرسمية للبلاد وأبقى أنقرة عاصمة الدولة.

وترفع أيضاً الجملة التي وردت في المادة الأخرى خاصة بالأحكام الشرعية، ويقرر المجلس وضع قوانين جديدة مستمدة من القانون الفرنسي والقانون الإيطالي وتجرى تعديلات أخرى ويقرر منذ ذلك الوقت أن يقسم النواب «بشرفهم» بدل قولهم «والله» وكذلك يفعل رئيس الجمهورية في قسمه.

كذلك منع المدارس من تعليم الدين وسرى ذلك على المدارس التركية والأجنبية على السواء، وهو ما ترتب عليه إغلاق المدارس التبشيرية فرحل المبشرون[١].

هوامش :

1- Bernard Lewis : Op Cit: P.23.
2- Geofferey Lewis: Op Cit: P.85.

(١) عبدالحميد الكاتب: حكاية أتاتورك والإسلام، كتاب أخبار اليوم، العدد ٣٤٤، مطابع دار أخبار اليوم، ١٩٩٣م، ص٦٨-٧١.

(2) Prof. Dr: Mikemal Oko: "Itilafet Hareketleri Guney Asya Musluman Iarinin Istiklal Davas; ve Turk Mill: Mucadelesi". Ankara, 1991, P.67-69.

(١) فتحي رضوان: «المرجع السابق»، ص٥٢-٥٣.

(2) Islam Ansiklopedis: Op. Cit:

(٣) علي شعيب المرجع السابق، ص٢٣.

(١) محمد الخير عبدالقادر: المرجع السابق، ص٨٤-٨٥.
(2) Constantine Mouradgea d'Hsson: Op Cit: P.69.3131

(١) فتحي رضوان: المرجع السابق، ص٥٣-٥٨.
(2) Ahmet Emin yalman: Op. Cit: P. 75.

(٣) فتحي رضوان: المرجع السابق، ص٦١-٦٢.

(1) Niyazi Berkes: Op. Cit: P.178.

(٢) سيد محمد السيد، المرجع السابق، ص٣٠٧-٣١٣.

(١) قيس جواد الغراوي: المرجع السابق، ص ١٤٤.
(1) Seydi Resis: "Mirate - ut - Memalik". Istanbul 1313, S. S1 - S2.
(2) Geoffrey - Lweis, Frederick A, Turkey. Proccer Publishers, New Yourk - Washington 1964, P.98.
(3) Prof. Dr. M Kemal Oke. Op Cit: P.237.

(١) محمد عمارة، المرجع السابق، ص ٢٨٣ - ٢٨٦

(٢) مجدي عبد الحميد الصافوري: المرجع السابق، ص ١٥٢
(3) E.F.Knight: Op Cit: P.50
(1) Niyazi Berkes: Op Cit: P.98

(٢) مجدي عبدالحميد الصافوري: المرجع السابق، ص ٢٢٧-٢٢٨

(١) بحوث ومناقشات: العلاقات العربية - التركية حوار مستقبلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٥، ص ١٠٢-١٠٣

(2) Yilmaz Ozluna: Op Cit: P.175.

(١) بحوث ومناقشات: المرجع السابق، ص ١٠٣

(2) E.F. knight: Op Cit: P.59
(1) Geoffrey Lewis: Op Cit: P.19.

(٢) عبد الحميد الكاتب: المرجع السابق ص ١٢٠-١٢٤

(3) Trek Parti Yone Timinin Kurulmasi, S. 761

(1) Kazim karaabekir: Op Cit: P.798.

(1) Nutuk Soy Luyor, 3. Cit, S. 1018

(٢) عبدالحميد الكاتب: المرجع السابق، ص١٠٠-١٠٧

(3) Islam Ansiklopedisi: Op Cit: P28

(٤) علي شعيب: المرجع السابق، ص ٧١-٧٤

(١) فتحي رضوان - المرجع السابق، ص٨٦-٨٧

(2) Geoffrey Lewis: Op Cit: P87.

(1) Ahmet Kabakli: Op Cit: P93.

(١) عبد الحميد الكاتب: المرجع السابق، ص ١٢٤-١٢٦

(2) Ayni Yer, S, 261.

(١) مجدي عبد المجيد الصافوري: المرجع السابق، ص ١٥٣-١٥٤

(2) Faith Kursusunde, S.249

(٢) مجدي الصافوري: المرجع السابق، ص ١٥٥- ١٥٦

(1) Sydi Reis: Mir, at-ut Memalik. Istanbul (1313-S.S1-S2).
(2) Prof. Dr.M.Kemal Oke: Op Cit:

(1) Yilmaz Oztuna: Op Cit:

(٢) مجدي عبد المجيد الصافوري : المرجع السابق، ص ١٦٦- ١٦٧

(1) Yilmaz Oztuna: Op Cit: P.54

(٢) رضا هلال: المرجع السابق، ص ٩٦-٧٠

(1) Islam Ansiklopedisi: Op Cit: P.75
(2) Constantine Moursadsea d'Hsson: Op Cit: P.269

(1) Turkiye Buyuk: Millet Meelisi Zabit ceridesi P29-78

(١) رضا هلال: المرجع السابق، ص ٧٣-٧٥

(٢) علي شعيب: المرجع السابق، ص ٧٧-٧٨

(3) Ahmet Kabakli: Op Cit: P.67

(١) علي شعيب: المرجع السابق، ص ٧٩-٨٠

(2) Yilmaz Oztuno: Op Cit: P.184-185

(1) Kazim Karabekir: Op Cit: P798

(٢) علي شعيب: المرجع السابق،ص ٨١-٨٣

(3) Ataturk, UmSolylev Ve Demecleri, 1 St, 1945, S 262.

(١) علي حسون: المرجع السابق، ص ٢٧٨-٢٧٩

(٢) نفسه: ص ٢٨٠-٢٨١

(1) E.F Knigh: Op Cit 1909.
(2) Islam Ansiklopedisi: Op Cit: P.13

(١) عبد الحميد الكاتب: المرجع السابق، ص ١١٢-١١٧

ميناء العقير في عهد الملك عبدالعزيز
الأهمية السياسية للميناء

بحث مقدم من

الدكتور عبدالعزيز عبدالرحمن الشعيل

الحرس الوطني السعودي

إهداء لأستاذي الجليل الأستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ، تقديراً وعرفاناً ووفاء لسيادته، راجياً من الله أن يديمه متمتعاً بالصحة والعطاء. جزاه الله عنا خير الجزاء.

عبدالعزيز الشعيل

الميناء في الميزان السياسي العثماني والسعودي:

لم تكن الحكومة التركية تفكر جدياً في جعل ميناء العقير مركز انطلاق قوة بحرية لكي تسيطر بها على منطقة الخليج العربي، كما هو في مخطط مدحت باشا[1] لأن ميناء البحرين كان هو المناسب لذلك المخطط. ولعل طبيعة ميناء العقير الجغرافية والتي تتسم بضحالة المياه جعلت الدولة العثمانية تصرف النظر عنه كميناء أساسي في المنطقة وكموقع لتكوين أسطول بحري ضخم يربط خط الملاحة بين استانبول والبصرة والذي يستلزم سفناً كبيرة. لذا فالقوات العسكرية التركية المتواجدة في ميناء العقير لا تعكس فيه الحكومة التركية استخدام الميناء لأهداف استراتيجية أو توسعية[2]، كما أن الملك عبدالعزيز أثناء ضمه لمنطقة الأحساء لم يواجه صعوبة في إخضاع العسكريين المرابطين في الميناء علماً بأن القوات السعودية لم تكن بعد تألف التعامل مع البحر، وبعد أن ضم الملك عبدالعزيز الأحساء أصبح ميناء العقير هو المنفذ الوحيد الملائم لقدرات الدولة السعودية فأخذت أهميته السياسية تزداد يوماً بعد يوم، ويعتبر ترحيل القوات التركية عن طريقه بعد أن استلمت القوات السعودية أول خطوة سياسية هامة يكتسبها الميناء[3].

الأهمية السياسية للميناء :

شهد الميناء عدداً من المحادثات واللقاءات بين ابن سعود وممثلي القوى السياسية في المنطقة، ومن أهمها اللقاء السعودي البريطاني الأول الذي تم في ١٦ ديسمبر ١٩١٣م، خلال العام الذي تمكن فيه الملك عبدالعزيز من ضم الأحساء[4].

لقد حقق الوصول إلى ميناء العقير بعداً سياسياً آخر لابن سعود استطاع من خلاله أن يقوي من نفوذه داخل الجزيرة العربية وخارجها وأن يفرض على

الدول القوية المتواجدة في المنطقة أن تتعامل معه من منظار الحذر والخوف. لذا نجد أن بريطانيا كانت تقف موقف الحياد تجاه تحركات الملك عبدالعزيز في نجد والأحساء، إلا أن الوصول إلى ميناء العقير جعل النظرة السياسية البريطانية لابن سعود تختلف وتتحول إلى سياسة التفاوض والاعتبار. وعلى الرغم من أن الملك عبدالعزيز لم تكن لديه قوة بحرية في ذلك الوقت، إلا أن السيطرة على ميناء العقير وجعله بوابة لبلاده مكنته من الدخول في غمار المنافسة الدولية في الخليج العربي وهو ما تخشاه بريطانيا التي لم تستجب لدعوة ابن سعود لرسم العلاقات بينهما خشية أن يكن الميناء منفذاً لبسط نفوذ ابن سعود على الخليج العربي الذي كان يمثل الشريان الحيوي للسياسة البريطانية في المنطقة(٥).

لقد أصبح الميناء مركز مراقبة ونقطة اتصال لابن سعود حيث يفد إليه التجار من البرين - مركزاً للثقل السياسي البريطاني في الخليج- ومن الكويت والبصرة ويقومون بتزويد سلطان نجد بأخبار التحركات البحرية والأحداث(٦) في تلك المناطق عن طريق وكيله في الأحساء الأمير عبدالله بن جلوي(٧).

لقد أدرك العجمان والعرايف أهمية الميناء وبدأوا اتصالاتهم السياسية بشيخ البحرين من أجل دعمهم في حركتهم المعارضة لابن سعود والتي تمركزت في البداية بمنطقة العقير ولكن ابن سعود استطاع في سنة ١٩١٥م-١٣٣٥هـ أن يهزمهم بمساعدة بني خالد أعداء العجمان وأن يجليهم من منطقة العقير، كما أوعز ابن سعود إلى وكيله في البحرين عبدالله القصيبي ليقوم بإجراء بعض الاتصالات مع الوكيل السياسي البريطاني في البحرين ليشرح الموقف السعودي في الأحساء خصوصاً بعد تأكد الملك عبدالعزيز من وجود اتصالات كويتية مع العجمان والعرايف(٨). كما أظهرت بريطانيا قلقها من الاتصالات السعودية العثمانية التي لعبت إلى اتفاق بين الطرفين ولكن الحرب العالمية الأولى أجهضت هذه الاتصالات(٩).

أدت الوكالات التجارية التي يملكها النجديون في منطقة الخليج دوراً سياسياً بارزاً عن طريق استخدام ميناء العقير كمركز لتجارتهم داخل الجزيرة العربية ولاتصالاتهم بالمنطقة، وقد ساهمت هذه الوكالات في دعم الملك عبدالعزيز بن سعود في بداية حكمه. فوكالة البسام والعجاجي والقصبي التي كانت لها مراكز تجارية في البحرين والهند والبصرة، وعملاء في موانيء تجارية أخرى في المنطقة قدموا الدعم المادي لابن سعود، وذلك من خلال تسهيل مهمة تأمين البضائع الخاصة بجيشه وتزويده بالمعلومات السياسية والاقتصادية الخاصة بالمنطقة التي حملها مندوبوه إليه من الأحساء إلى الرياض. لذا شكلت تلك الوكالات التجارية شبكة اتصالات استعان بها ابن سعود في الكثير من الحالات عن طريق ميناء العقير الذي كان بمثابة المركز الأساس لتجارة تلك الوكالات[٩].

ولأهميته السياسية والاقتصادية حاول مشروع الاتصالات الكويتية بأمراء حائل آل الرشيد ومشروع اتصالات أشراف الحجاز بآل الرشيد أيضاً الوصول إلى ميناء العقير لإحكام الإغلاق الاقتصادي وخنق منطقة نجد والتضييق على ابن سعود[١٠].

ولكن الميناء أصبح عاملاً هاماً في كسر دائرة الإغلاق السياسي هذه ضد ابن سعود الذي نجح في التعال مع هذه المشكلات السياسية والأطراف القائمة عليها بحذر وبعد نظر[١١].

ولقد أثبتت هذه الأحداث وغيرها أن الميناء يشكل أهمية سياسية بالنسبة للاستقرار الداخلي خصوصاً فيما يتعلق بتوريد الأسلحة إلى داخل نجد للقضاء على الحركات المعادية لابن سعود من الداخل أو الخارج[١٢]. وفي نفس الوقت كان الميناء يستخدم كمنذ لهروب المجرمين والفارين من الأحساء إلى مناطق الشرق وكمصدر لتزويد بعض القوى المناوئة لابن سعود داخل الجزيرة بالأسلحة. كما لعب الميناء دوراً سياسياً هاماً في دعم ابن سعود استراتيجياً خصوصاً أنه كان الميناء الوحيد لبلاده آنذاك حيث استطاع أن

يتغلب على المنافسة له داخل الجزيرة العربية. كما قام الميناء بدور كبير في تغذية مباشرة للقوة السعودية في الداخل حيث استطاع أن يتزود بالإمدادات والسلاح أثناء إخماد الفتن الداخلية المعارضة أو أثناء حركة التوسع الداخلية[١٣]. وكانت حائل والحجاز من أهداف الملك عبدالعزيز السياسية التي أدرك أنه لن يتيسر له تحقيقها إلا إذا ضمن الاستفادة من الجناح الشرقي كمصدر للإمدادات والمؤن العسكرية، وأثناء قيام الحرب العالمية الأولى وانشغال بريطانيا بها استطاع ابن سعود أن يستثمر الفرصة وذلك في إدخال المؤن الكافية له لتعزيز موقفه العسكري عن طريق الميناء من الهند وغيرها[١٤].

والذي دعم من أهمية ميناء العقير السياسية ازدهار الحركة التجارية به من جراء سياسة الملك عبدالعزيز الاقتصادية التي سلكها من أجل تطوير بلاده، فلقد أشارت الكثير من الوثائق أن ابن سعود عني كثيراً بميناء العقير وساهم في تنشيط حركة الملاحة والتبادل التجاري به حيث قام بتخفيض الضريبة من ١١٪ التي كانت موجودة منذ العهد العثماني إلى ٤٪[١٥]. كما أن ابن سعود لم يقم بطرد التجار الأجانب بل شجع السفن التجارية المختلفة على استخدام الميناء في الحركة الملاحية العامة. وقد أدى هذا الازدهار الاقتصادي في الميناء إلى إنعاش المنطقة وتأمين طرقها التجارية مما ساهم في تنمية القوة السياسية لابن سعود[١٦].

ومن النتائج المباشرة لهذا الازدهار الدور الهام الذي بدأ الميناء يقوم به في مساندة ابن سعود لتدعيم حكمه في الجزيرة وتهيئة الوضع لتحقيق الاستقرار الداخل بالمنطقة.

كما أن الميناء قد أصبح أحد منافذ نشر التعليم ونشر الكتب وتوزيعها داخل الجزيرة العربية حيث يتعذر دخولها عن طريق الحجاز وقد أدى التجار دوراً هاماً في دعم الطباعة للكتب وتوزيعها في داخل الجزيرة وخارجها وأيضاً دعم الحركة العلمية عن طريق انتقال عدد من علماء نجد إلى مناطق الخليج

والهند فكان لذلك أثره في نشر المذهب السلفي مما جعل الدور السياسي السعودي في العالم الإسلامي يأخذ قوة إسلامية عن طريق هذه العناصر المهاجرة إلى تلك المناطق أو عن طريق الاهتمام بالكتب ونشرها من قبل التجار من أهالي الجزيرة العربية[١٧].

لقد كان لانفرا ميناء العقير بخاصية المنفذ البحري الوحيد لابن سعود على العالم الخارجي، وفي بؤرة صراع سياسي متواصل أعقبته الحرب العالمية الأولى وظهور أثر تيار قومي في معظم المناطق العربية التي كانت تحت الحكم العثماي تمهيداً لبداية عصر انقلاب سياسي في معظم هذه الأقطار أن يكون ذلك الميناء هو أهم قناة سياسية يمكن أن تستخدم من أجل خدمة الاتجاه السياسي البريطاني المسيطر والذي على المنطقة، بدأه البريطانيون بالفعل عن طريق ابن سعود إلا أن التباين في التركيب الاجتماعي[١٨] بين نجد وسواحل الأحساء لم يمكن بريطانيا من تحقيق خططها في وسط الجزيرة العربية، كما أن عدم ظهور اتجاه سياسي معارض للحكم السعودي على مستوى عام في صفوف الشعب كان أحد ملامح ذلك الاستقرار الوطني الذي دعمه الميناء[١٩].

وعلى مستوى العلقات السياسية بين ابن سعود والقوى المجاورة في الخليج العربي فقد كان الميناء نقطة انطلاق سياسي لتقوية أواصر الأخوة والعلاقات بين كل من ابن سعود والبحرين[٢] والعراق وقطر وعلى ضفاف هذا الميناء كانت الذكريات الدبلوماسية يرددها مرافقو ابن سعود سواء عن طريق الرواية، أو عن طريق التوثيق السياسي. كما كان نقطة انطلاق عمل سياسي لابن سعو ورجاله لإجراء المباحثاتمع القوى المسيطرة على الخليج العربي، وخاصة بعد أن أخذت قوى غير بريطانيا تدخل غمار المنافسة الاقتصادية في الخليج العربي[٣].

لقد نصت اتفاقية سايكس بيكو Saix Beco عام ١٩١٦م على التقسيم الاستعماري للمشرق العربي وتعد معاهدة دارين ١٩١٥م أحد أساسيات ذلك

التقسم بالنسبة للجزيرة العربية فقد جعلت من نجد محمية بريطانية منعت ابن سعود من الاعتداء على إمارات الخليج الأخرى هذا من وجهة النظر البريطانية[٢٢] ولكن ظروف الميناء السياسية لم تكن تسمح لابن سعود أن يواصل تقدمه في اتجاه البحر أو على الساحل شمالاً أو جنوباً لفقد الميناء القاعدة العسكرية الملائمة للتحرك، ثم حالت اتفاقية العقير دون التفكير في التوسع أو عدمه بالنسبة لابن سعود، وكان الاتجاه في الشمال والغرب والجنوب الغربي هو الطريق الوحيد وكان لنتائج هذا الاتجاه العسكري دور في أن تغير بريطانيا من نظرتها لابن سعود في معاهدة جدة سنة ١٩٢٧م على أنه رئيس دولة مستقل ذا سيادة واعتراف دولي ضمنتها له الاعتبارات السياسية الدولية التي حكمت مؤتمر العقير[٢٣].

لقد أدى الوصول إلى الميناء أن يدخل ابن سعود في غمار الإلزام الاقتصادي في الخليج وذلك باستخدام الضغوط السياسية سواء مع القوى المجاورة أو مع بريطانيا وكان المحور الاقتصادي هو أحد وسائل تلك الضغوط سواء كانت تلك الضغوط مباشرة عن طريق المباحثات[٢٤] أو غير مباشرة عن طريق استخدام أنصار ابن سعود في تلك البلدان ولهم دورهم التجاري الواضح في هذه البلدان[٢٥].

لقد أدى وصول ابن سعود إلى ميناء العقير إلى سعي القوى في الخليج إلى خلق طموحات سياسية لدى إمارة الكويت عن طريق تشجيعها على أن يكون العقير هو الحد الجنوبي[٢٦] البحري لسواحل الكويت، مما دفع شيخ الكويت إلى الدخول في صراح سياسي حول الحدود مع ابن سعود[٢٧] وكذلك سعى البريطانيون إلى محاصرة ابن سعود في المنطقة عن طريق محاولة ترغيب شيخ الكويت في حكم الأحساء والقطيف[٢٨].

ولم تكتف بريطانيا بتغيير موقفها السياسي عند دخول ابن سعود الأحساء ودخولها في محادثات معه ولكن ابن سعود ما أن وصل إلى الميناء حتى أخذ في إعادة حسابات بلاده الاقتصادية التي تمكنه من الاستفادة المثلى من هذا

الموقع عن طريق تجارة البحر فزاد من نشاط الحكومة المباشر بالاستيراد وكذلك شجع الأهالي والوكلاء على زيادة الاستيراد إضافة إلى أنه كان بحاجة إلى السلاح فقد حاول الوصول إليه عن طريق كسر القوانين التجارية التي وضعتها بريطانيا في الخليج والتي تقضي بمنع تجارة الأسلحة[٢٩] مما دفع بريطانيا إلى تقديم الدعم لابن سعود مجبرة على ذلك، ولتحفظ مركزها السياسي بين أمراء المشيخات في الخليج العربي وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى وهو الوقت الذي تحاول فيه بريطانيا تقليص مصروفات المستعمرات العسكرية[٣٠].

لم يكن ابنس عود يرمي عن وصوله إلى الساحل الشرقي تحقيق هدف اقتصادي محض أو هدف سياسي محدود ينتهي بالاعتراف السياسي بوجوده إنما كان يرمي إلى الاستقرار في الخط السياسي التنافسي الذي يؤدي إلى استغلال كافة الفرص السياسية والاقتصادية والاجتماعية[٣١]. لذا فقد قام بتولية عبدالله بن جلوي القدرة الإدارية والسياسية المناسبة لمنطقة الأحساء في الوقت نفسه انحصر اتصال الخليج العربي الأراضي السعودية عن طريق العقير[٣٢].

ومن جانب آخر فقد كان للعقير دور مباشر في مواجهة تدفق الموجات الشيعية التي برزت وزاد ظهورها بعد أن وجدت حكومة مركزية في إيران عام ١٩٢٥م وصاحب ذلك سقوط حكومة الشيخ خزعل في عربستان، وأدى ذلك إلى هجرة أعداد كبيرة من الشيعة إلى الخليج العربي[٣٤].

لذا فقد كان لوجود السيطرة السعودية على الميناء الأثر البارز في الحد من المد الشيعي في الجزيرة[٣٥].

وفي الوقت الذي تعذر فيه استمرار طريق الحجاج[٣٦] من إيران والعراق عن طريق حائل نظراً للظروف السياسية التي مرت على عائلة آل رشيد المسيطرة على ذلك الطريق للحجاج[٣٧] ولأن موانئ الحجاز شهدت فوضى سياسية وإدارية في نهاية حكم الأشراف مما صعب معه اتجاه حجاج عمان

إلى جدة أو موانىء البحر الأحمر[٣٨] فقد كان طريق الخليج العربي أكثر أمناً بالنسبة للعمانيين لذا زادت حركة نقل الحجاج عبر الخليج العربي إلى العقير من العراق وإيران وعمان إضافة إلى الهنود فأصبح العقير من أهم نقاط العبور لحجاج تلك المناطق[٣٩] خاصة في فترة ما قبل فتح الحجاز حيث أعطت القدرة الإدارية لابن جلوي في الأحساء سمعة لدى الحجاج القادمين من تلك المناطق عن طريق الميناء[٤٠] وكذلك نقطة رقابة على جميع المسافرين وذلك عن طريق متابعة الممنوعين وتحديد الفئات المسموح لها بالسفر، ومتابعة المشتبه فيهم[٤١].

دور الميناء في الاستقرار الداخلي :

بعد أن ضم ميناء العقير إلى حكمه أصبح ابن سعود يملك منفذاً بحرياً على ساحل الخليج العربي حيث هيأت الظروف الاقتصادية للأحساء جعله من أهم الموانىء بالنسبة له في تلك الفترة. ولقد لعب الميناء دوراً كبيراً في دعم الاستقرار الداخلي في الجزيرة وفي القضاء على الحركات المعارضة لحكم ابن سعود. ومن أهم هذه الحركات معارضة العجمان لابن سعود التي كادت أن تعرقل مسيرة توحيد المملكة. فبعد أن أصبح الأحساء داخل نطاق حكم ابن سعود برز العجمان كمصدر قلق وازعاج له في الداخل والخارج[٤٢]. فلقد أدرك ابن سعود خطر العجمان أثناء مشاركتهم في معركة جراب[٤٣] واتصالاتهم بابن رشيد والعثمانيين وإيوائهم للمتمردين. لذا حرص ابن سعود على القضاء على نفوذهم لكي يتفرغ لإخضاع المناطق الشمالية والغربية، وأدى الاتفاق الكويتي السعودي إلى حشد قوات كثيرة لقتال العجمان بالقرب من الأحساء سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٥م عند كنزان خسر فيها ابن سعود الجولة وتراجع إلى الهفوف حيث انتظر حتى وصلت إليه الإمدادات عن طريق ميناء العقير من البحرين من السلطات البريطانية[٤٤] إضافة إلى انتظاره الإمدادات النجدية القادمة إلى الميناء ليدعم بها جيشه الذي أعاد الهجوم

على العجمان دون المساعدة الكويتية حيث استطاع أن يقضي على خطرهم[٤٥].

وأن يجلبهم من منطقة العقير التي كانت أيضاً مصدر الإمدادات لهم وتم بذلك تأمين الميناء مما ضمن سلامة التجارة وحركة الملاحة به[٤٦]، وتمكن ابن سعود من إنهاء الخطر الذي كان يشكله العجمان على الرغم من لجوئهم إلى الشيخ مبارك أمير الكويت. ومحاولتهم أن يستغلوا أهدافه في المنطقة ليدعم تمردهم ضد ابن سعود ولكن حال دون تحقيق ذلك وفاة الشيخ مبارك في ٢١ المحرم ١٣٣٤هـ - ٢٩ نوفمبر ١٩١٥م.

وقد أدت العلاقات السعودية الكويتية في ذلك الوقت إلى إخراج العجمان من الكويت وتشتيتهم في المنطقة بين الزبير في العراق والكويت، كما لجأ جزء منهم إلى ابن رشيد وجزء آخر إلى السعدون وحصلوا سنة ١٩١٦م على موافقة للإقامة في «صفوان»[٤٧].

وهكذا استطاع ابن سعود عن طريق ميناء العقير أن يقضي على شوكة العجمان التي كادت أن تزعزع الحكم السعودي بالأحساء وأن يخضعهم في نهاية الأمر تحت حكمه.

وحاول ابن رشيد استغلال موقف ابن سعود بعد معركة كنزان وتراجعه بدعم العجمان والسير من القصيم لتحقيق ذلك ولكنه فشل بسبب وقوف بريدة ضده ومنعه من مواصلة المشوار إلى الجناح الشرقي[٤٨]. كما حاول العرايف وغيرهم إجراء اتصالات بالعجمان في الأحساء وتحريضهم على التمرد ضد ابن سعود ولكن جميعها باءت بالفشل بسبب الإمدادات التي جاءت إلى ابن سعود عن طريق الميناء[٤٩].

ولقد نجح ابن سعود في تهيئة الجناح الشرقي ونشر الأمن في منطقة العقير وذلك عن طريق القضاء على حركات التمرد وتطبيق الشريعة الإسلامية في الحدود مما أدى إلى إيقاف أعمال السلب والنهب التي كان يمارسها البدو هناك[٥٠].

كما قام ابن سعود باقتراض الأموال من يوسف أحمد كانو ومن بريطانيا لزيادة حاسة الميناء وتطويره ليخدم الأهداف التجارية والسياسية(٥١).

كما تمكن ابن سعود من إخماد فتنة أخرى قامت بها قبيلتا مطير وقحطان حيث سيَّر جيشاً انضم إليه العجمان وهزمهم في خزه، واستطاع العجمان دعم الموقف بالسلاح الذي حصلوا عليه عن طريق العقير لتعذر حصولهم عليه عن طريق قطر أو الكويت(٥٢).

واستمر ميناء العقير في تقديم الدعم السياسي والعسكري والاستراتيجي لابن سعود الذي تمكن من إحباط المحاولات المعارضة ضده. فمثلاً حاول ابن رشيد في موقعة جراب والتي حدثت سنة ١٩١٥م، ١٣٣٣/٣/٧هـ أن يضاعف من الضغوط على ابن سعود حين دعاه إلى اتخاذ موقف من الحرب العالمية الأولى أن يضاعف من الضغط على ابن سعود.

فعلى الرغم من سعي بريطانيا إلى محاولة جذب ابن رشيد إلى جانبها عن طريق المراسلات خاصة بعد أن حاول الوصول إلى العراق تحرك ابن رشيد إلى الرياض أثناء انشغال ابن سعود بإخماد ثورة في القطيف والعناية بأمور الأحساء متزوداً بدعم من الدولة العثمانية(٥٣) ومعتقداً أن ابن سعود لم يستطع بعد الاستفادة من الميناء لصالحه، وقد انتهت المعركة باتفاق الطرفين برد ما قام به عرب مطير من نهب لمعسكر ابن رشيد وما قام به العجمان من نهب لمعسكر ابن سعود(٥٤).

كما تمكن ابن سعود وبمؤازرة ميناء العقير أن يحبط اتفاق ابن رشيد مع الشيخ سالم الصباح ضده حيث اجتمعا في الجهراء بينما ابن سعود كان لايزال في الأحساء.

وانتهى الصراع الذي نشب في ١٩٢٠/١٠/١١م - ١٣٣٩/١/٢٦هـ بانسحاب ابن الصباح من الجهراء بسبب القوة التي أرسلها ابن سعود من الأحساء لمساندة الدويش المكلف بالمهمة والذي تم تزويده بالمؤتن والسلاح عن طريق ميناء العقير(٥٥).

وفي محاولة أخرى ضد ابن سعود اتفق ابن رشيد مع الشريف في الحجاز على التوجه إلى الرياض مستغلين تواجد ابن سعود في الأحساء لتهدئة الأوضاع هناك، ولكن ابن رشيد لم يستطع مواصلة السير إلى الرياض بسبب انهزامه أمام أهل بريدة في القصيم مما جعل الشريف يعود أيضاً إلى مكة(٥٦).

ويضيف محمد الباهلي رواية عن فهد بن زعير الذي شارك مع عبدالعزيز في تلك الأزمة السياسية والتي تمثلت في انفتاح ثلاث جبهات أمام ابن سعود في آن واحد قائلاً:

«غزينا وإذا عبدالعزيز ابن رشيد أقبل على القصيم بشدة وعدة على قوات الشريف التي وصلت إلى (نفى) وكانوا قد سجنوا سعد بن عبدالرحمن آل سعود وأبناء عمه عند الهزازنة في الحريق(٥٧). لما جاء وقت المغرب جمع الكبار من حوله وقال الله يقول: «وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله» وأنا أمامي ثلاث جبهات، قال له محمد بن هندي إذا كنت ستشاورنا - فرأس الحية ياموسى - ابتدي بأهل الحريق وأنا سأرسل خطاب لجماعتي عتيبة وأنت ترسل للشريف فأرسل مع ناصر بن سعود بن فرحان خطاباً وهدايا من الخيل. فعليه أطلق الشريف سعد بن عبدالرحمن بعدما علم باتصالات من حول ابن سعود بعتيبة، أما القصيم فإنهم على خلاف مع ابن رشيد بسبب ظلمه لهم(٥٨).

ومن هنا بدأ عبدالعزيز بالحريق واستطاع أن يهزم الهزازنة وفر منافسوه إلى الخليج فكانت نهاية رحلته إلى الأحساء ليجعل من ميناء العقير ميناء ظهيراً في وجه القوتن اللتين تتحينان الفرصة للقضاء عليه.

والموقف الآخر الذي أبرز دور الميناء السياسي والاستراتيجي لابن سعود هو الخلاف الذي حدث بين الأخوان وابن سعود، فبعد أن بدأ نفوذ الأخوان يزداد قاموا بإعلان العصيان على ابن سعود وهاجموا مناطق الحدود السعودية الكويتية وأجروا بعض الاتصالات بالإنجليز وفيصل ابن الحسين في

العراق. ورأى ابن سعود قطع الإمدادات عن الأخوان بوسط نجد فوجّه عبدالله بن جلوي بحملة بقيادة بنه فهد إلى الشمال الشرقي لصد العجمان بعد أن تم تجهيز هذه الحملة من العقير[٥٩] وسميت هذه المعركة بموقعة القرعة حيث هزم الأخوان الذين فروا إلى العراق[٦٠].

وفي نفس الوقت كان الأخوان يعدون تجمعاً ضد ابن سعود وذلك عندما اتفقت قبيلتا مطير وعتيبة لمواجهة ابن سعود حيث نتج عن ذلك المعركة المعروفة بالسبلة[٦١]. أما محمد المانع فيذكر أن ابن سعود أراد أن يقوم بتزويد جيشه من الأحساء بالبنادق والأشدة والخروج وغيرها فكتب إلى ابن جلوي في الأحساء يستفسر عن الأسعار وعرف العجمان بذلك فبادروا إلى شراء الكثير من الأحساء والعقير مما أدى إلى رفع الأسعار لزيادة الطلب فغضب عبدالعزيز لمعرفته بذلك وحاسب الموظفين المسؤولين عن تسرب هذه الأخبار وهذا ما يزيد قولنا بأن للميناء دوراً سياسياً هاماً بالنسبة لابن سعود تمثل في دعم قواه العسكرية لمواجهة الفتن والمعارضة داخل الجزيرة[٦٢].

وصاحب هذا الدور السياسي للميناء أهمية أخرى ساهمت في دعم خطط الملك عبدالعزيز للتوسع داخل الجزيرة العربية وتوطيد دعائم حكمه وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث التالي.

هوامش

(١) يعتبر البريطانيون العقير نقطة النهاية للسلطة العثمانية على ساحل الخليج العربي جنوباً، وقد اعترضت بريطانيا على رفع العلم التركي على جزيرة الزخنوتيه القريبة من العقير وممارسة الصيد من قبل أهالي الأحساء.

L.O.R. L/P/&S/101/162. P2.

(٢) عبدالعزيز الغني، أمراء وغزاة، دار الساقي، لندن، ١٩٨٨، ص٢٤٥،

(٣) أرسل الملك عبدالعزيز بعد ضمه الأحساء قائده أحمد بن ثنيان على رأس كتيبة واستطاع أن يستولي على القلعة وأن يقوم بترحيل الجنود العثمانيين إلى البحرين.
J.B. Philby. Arabian, P. Emenst Benn Ltd, 1930, P.230

كما يذكر ميرزا حسن خان أن ميناء العقير ليس فيه شيء يستحق الذكر وهذا الكتاب قد أعد وصفاً لولاية البصرة حتى تاريخ ١٩٠٨م مما يدل على أن الحكومة العثمانية لم يكن لها اهتمام بالميناء. انظر ميرزا حسن خان: تاريخ ولاية البصرة دراسة في الأحوال الاجتماعية، مركز دراسات الخليج، جامعة البصرة، د.ت. ص٨.

كما يذكر عبدالله الخضير في مذكراته عن الأحساء أن الفير ليس بها إلا مدير، ضمن التشكيلات الإدارية العثمانية. انظر ولاية الأتراك الثانية، ص١.

(٤) عبدالعزيز عبدالغني، أمراء وغزاة، سبق ذكره، ص٢٤٨.

وقد تلا لقاء ابن سعود بالمندوب البريطاني في البحرين زيارة المعتمد السياسي البريطاني في الكويت شكسبير Shakespeare للرياض أواخر عام ١٩١٣م فقد كان النقاش السياسي عاماً لعدم منح شكسبير الصلاحيات السياسية من دولته. انظر فاسليف، العربية السعودية، ترجمة خيري الضامن، دار التقدم، موسكو، ١٩٧٦م.

(٥) لم يكن هناك رغبة بريطانية في العلاقة مع ابن سعود قبل عام ١٩١١م عندما قابل شكسبير Shakespeare ابن سعود في الرياض وكانت مبنية على زيارة بلي Belly للرياض ١٨٦٠ وقد حددت بريطانيا في تلك الزيارة الموقف السعودي من الحكم العثماني للأحساء عندما أبلغها عبدالرحمن بن فيصل عام ١٩٠٤م، وقد عبر شكبير Shakespeare عن موقف بلاده وحدود تدخلها الذي لا يتجاوز الساحل. ولكن بعد سنتين استطاع ابن سعود ضم الأحساء دون مساعدة الإنجليز ولم يبدأ عصر العلاقات السودية البريطانية إلا في عام ١٩١٣م. انظر الملاحق.. رسالة شكسبير Shakespeare إلى عبدالعزيز بن عبدالرحمن بتاريخ ١٩١٣م، ص٩. وأيضاً
L.O.RL/P &/20/VV/50. P.P. 35-36

(٦) أثبتت المراسلات التي تتم بين وكلاء التجارة في البحرين والجهات الرسمية في الأحساء أن المراسلات الشخصية يرفق معها تقارير وصحف ومجلات ليتم إرسالها إلى العاصمة السعودية، الرياض. انظر الملاحق.

(١٠) جبران شامية، آل سعود ماضيهم ومستقبلهم، دار الريس، لندن، د.ت. ص١٤٠.

(١١) بدر الدين عباس الخصوصي، معركة الجهراء، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٨م، ص١٤٦.

(١٢) لقد طلب وكيل ابن سعود في البحرين عبدالله القصيبي من شيخ البحرين منع مركب قطري يحمل سلاحاً للعجمان من رحيله بحراً إلى العقير خاصة أن الشيخ عبدالله بن ثاني منعه أن يتنزلها في قطر. وتشيربعض ....

(١٥) منيرة عبدالله العر.ان، علاقات نجد بالقوى المحيطة ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٠م، ص٢٢٤-٢٢٧.

(١٦) على عبدالرحمن أبا حسين، العلاقة العربية بالمملكة في عهد الملك عبدالعزيز، سبق ذكره، ص٩٣.

(١٧) لقد سافر عدد من أهل نجد لطلب العلم في العراق والهند منهم الشيخ محمد بن مانع، والشيخ ابن سحمان وغيرهم كما قام مقبل عبدالعزيز من أكبر التجار النجديين بدعم طباعة الكتب السلفية في المطابع الهندية والمصرية، وتوزيعها. كما قام الملك عبدالعزيز بعدالحرب العالمية الأولى بنشر عدد من الكتب وتوزيعها. انظر أحمد محمد الغبيب، حركة إحياء التراث قبل توحيد الجزيرة، الدارة ، العدد الأول للسنة الأولى ١٣٩٥هـ، ص ص٥٢، ٥٣، ٥٥.

(١٨) لقد قام في معظم المناطق العربية التي كانت تحت الحكم العثماني منذ عام ١٩٠٩م عدد من الجمعيات السياسية.

(٢٠) علي عدالرحمن باحسين، العلاقات البحرية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز، سبق ذكره، ص٩٠، وأيضاً الملاحق.

(٢٣) السابق، ص١١٣. انظر J.B. Philby, Arabia, P.236.

(٢٤) لقد طلب ابن سعود من بريطانيا قيام شركات النقل البحري بالرسو في الموانىء السعودية أو بالقرب منها للاستفادة التجارية لنقل الواردات السعودية وغير المباشرة. انظر نازك إبراهيم، التكوين السياسي والاجتماعي.....

(٢٨) خالد حمود السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٩٨٣م، ص١٢٧.

(٢٩) لقد وقعت بريطانيا عام ١٨٩٢م مع البحرين معاهدة منع السلاح كما وقعت اتفاقية مماثلة مع باقي شيوخ منطقة الخليج. انظر أمين سعيد، الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة، دار الكتاب العربي، د.ت. ص٦٩.

(٣٠) L.O.R. F0/37/223889. P.96

(٣١) لقد حاول البريطانيون إقناع ابن سعود بالاعتراف به كحاكم لنجد وملحقاتها إلا أن نشاطه في الحدود الكويتية والقطرية دفعت بريطانيا إلى إعادة النظر للتقدير السياسي لابن سعود فالزمته في اتفاقية العقد بعدم الاعتداء على قطر ولما تطرق البريطانيون إلى الحدود ودفع الكويت في الحمرة رفض أن يوقع على الشروط التي أمليت على مندوبه أحمد ابن ثنيان وكرر ذلك عندما قاطع اجتماع العقد ورفض التوقيع وقال نحن لم نحضر لبحث....

(٣٦) لقد أدت الحرب العالمية الأولى إلى انخفاض عدد الحجاج حيث بلغوا عام

١٩١٧م..... الحجاج سنة ١٩١٠م ٣١ حاجاً وفي الأعوام التالية يعزى سبب النقص في الحجاج إلى...... بلغوا عام ١٩٣٣م ٢٠ حاجاً وفي عام ١٩٤١م بلغ عددهم ٩٠ حاجاً.... د. عيسى بن موسى الشاعر، أعداد مواطن الحجاج المسلمين بين.... جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الخامس.

(٣٧) يذكر الشيخ عبدالعزيز بن دحيم الدحيم أن عبدالعزيز.....

(٤٤) مقابلة الشيخ فهد عبدالله الدامر. أحد كبار العجمان وابن أخ شيخ العجمان راكان بن حثلين.

(L.O.R) P/15/5/25 No. 1/46-C

برقية من الوكيل السياسي البريطاني في البحرين إلى المقيم السياسي في الخليج بتاريخ ١٩١٥/٨/٦م.

(٤٥) محمد بن عبدالله الأحسائي، تحفة المستفيد في تاريخ الأحساء، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٢م. ص٢١٥.

(٤٦) عبدالعزيز عبدالغني. أمراء وغزاة، سبق ذكره، ص٢٧١.

(٤٧) السابق، ص٢٧٤.

(٤٨) مقبل بن عبدالعزيز. تاريخ الذكير، الدفتر الرابع، مخطوط، محفوظ بمكتبة عبدالله البسام بعنيزة، د.ت. ص.ص ٣٩، ٤٠.

(٤٩) السابق، ص٤١.

(٥٠) منيرة العرينان، علاقات القوى المحيطة بنجد، سبق ذكره، ص٢٢٧.

(٥١) عبدالعزيز عبدالغني، أمراء وغزاة، سبق ذكره، ص٢٧٢.

(٥٢) مقابلة الشيخ فهد الدامر.

(٥٣) مقبل عبدالعزيز الذكير، تاريخ الذكير، مخطوط سبق ذكره، ص٣٦.

(٥٤) محمد بن عبدالقادر الأحسائي، تحفة المستفيد، سبق ذكره، ص٢١٢.

(1) (L.O.R) R/15/5/05 telagramm from the political Agent in Bahrain to Micum Beighead repeated Aent in Bahrain to Micun repated to Buchnre Kuwait m no. 3.5, edated 25/Oct. 1920.

(٥٦) خالد حمود السعدون، موقف أمارة حائل في الحرب العالمية الأولى، مجلة الدارة من العدد ٢ السنة ٩، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤٠٣هـ، ص ص ٢٨-٤٠.

(٥٧) الحريق، منطقة جنوب الرياض لجأ إليها أحفاد سعود بن فيصل تركي وحاولوا منافسة عبدالعزيز على الحكم.

(٥٨) مقابلة محمد الباهلي والتي أجريت بتاريخ ١٤٠٨/١٢/١٧هـ.

(٥٩) ذكر ذلك فيصل بن ضيدان أبو ثنين ممن شاركوا في هذه المعركة حيث قال: جلب ابن سعود التمر والعيش والذهال من الأحساء لنتقابل مع الدويش في القرعا. مقابلة فيصل ابن ضيدان أبو اثنين، بتاريخ ١٤٠٧/٣/٢٠هـ.

(٦٠) لقد أدت هزيمة الأخوان وفرارهم للعراق محاولتهم إعادة ترتيب اتصالاتهم بالإنجليز والشيخ أحمد الجابر الصباح شيخ الكويت الذي جاءت ردوده غير مقنعة للأخوان خاصة الدويش مع محاولتهم التماس العذر له في قتال ابن سعود ومحاولتهم الإيعاز له بتحريك الشريف ضد ابن سعود في الحجا «المقصود الشريف عبدالله في شرق الأردن» ومحاولتهم اللجوء للصبحية لتكون مركز عمليات ضد ابن سعود مع محاولتهم أن يطمع ابن صباح في حكم جزء من نجد خاصة وأن ابن سعود ما وصل إلا بجيش الأخوان. انظر الملاحق. رسالة من فيصل الدويش إلى أحمد الجابر الصباح الملاحق، ص٦.

(٦١) محمد بن مانع، توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة عبدالله العثيمين، مطابع المطوع، الدمام، ١٩٨٢م، ص١٢٩.

(٦٢) مقابلة محمد المانع، أحد كتبة الملك عبدالعزيز ومؤلف كتاب توحيد المملكة، والتي أجريت معه بتاريخ ١٤٠٨/١٠/٧هـ.

التوجه القومي في الكويت

دكتور سعود مشعل الشمري

الكويت

إهداء واعتراف بالجميل والفضل لأستاذي الأستاذ الدكتور رافت غنيمي الشيخ الذي حظيت برعايته وتشجيعه حتى حصلت على درجتي الماجستير والدكتوراه بإشرافه.. فله مني كل تقدير ومحبة، أطال الله في عمره ومتعه بالصحة.

سعود الشمري

يقول أحمد السقاف: «إن على رأس المفكرين القوميين والأعلام أبوخلدون ساطع الحصري رحمه الله يعتبر بحق أعظم دعاة القومية والعروبة منذ سنة ١٩٢٠....م حتى وفاته سنة ١٩٦٨م، ولقد كان تأثيره جلياً في الشباب الواعي في العراق وسورية ومصر وبلدان الخليج العربي»[1].

١- روافد الوعي القومي في الكويت:

كانت هناك روافد متعددة في إيقاظ نشر الوعي القومي العربي في الكويت، وبدأ رجال الكويت في تحمل هذه المهمة والمسؤولية القومية التي لابد أن تقوم على أسس علمية سليمة لبناء الدولة والإنسان من غياهب الظلام، واحسوا بحاجة الناشئة من أبناء بلدتهم ووطنهم، وهو نشر العلم والمعرفة ليقوم على مرتكز قوي وثابت وسليم وهو:

أ- التعليم : كان التعليم في الكويت سابقاً يقتصر على تعلم الأولاد قراءة القرآن والأحاديث النبوية في المساجد، ومبادىء الحساب والعربي على أيدي رجال الدين «الملا أو المطوع» وكان مستوى هؤلاء المعلمين متواضع وعلى أضيق نطاق وخاصة من علية القوم والتجار، وكان الجهل والخرافات سائدة في المجتمع الكويتي وبدأ التعليم منذ بداية القرن العشرين بإنشاء المدارس وإن كان تأثيرها ضعيفاً في البداية إلا أنها لبنة أساسية قام عليها التعليم ونشر الوعي القومي العربي في الكويت لاحقاً وإن أول مدرسة أنشئت في الكويت هي مدرسة المباركية، واجتمع مجموعة من أبناء الكويت في ديوان الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، ودعا السيد الطبطبائي في الاجتماع إلى إنشاء المدارس ونشر العلم والمعرفة والقضاء على الأمية التي لا تجلب إلا الظلام والجهل[2].

وقام يحث الناس على التبرع والإنفاق على إنشائها[1]، وتداعى الكثير من أهالي الكويت للتبرع بالمال، وافتتحت أبوابها في أول محرم من سنة ١٣٣٠هـ الموافق ٢٢ ديسمبر ١٩١١م ، وسميت باسم الشيخ مبارك حاكم الكويت، وعيّن يوسف بن عيسى القناعي مديراً لها، وكان من أبرز من درس فيها

الشيخ حافظ وهبة المصري والسيد عمر الأزميري وغيرهم، وتعتبر أول مدرسة نظامية من عمل شعبي بجهود أبنائها ولم تكن عملاً حكومياً وكان لها دور كبير في انبثاق الأفكار الحرة والعلوم النافعة[٢]. ونتيجة للتطور النسبي الذي شهده التعليم في الكويت وإدخال العلوم العصرية افتتحت مدرسة الأحمدية سنة ١٩٢١م[٣] التي سمّيت باسم الشيخ أحمد حاكم الكويت وهي ثاني مدرسة نظامية حرة ليس لأحد حق التدخل فيها[٤]، وساهم الكثيرون من الكويتيين في إنشائها واكتتبوا لها وفرضوا مبلغاً من المال سنوياً وأوكلت إدارتها إلى الأستاذ يوسف بن عيسى القناعي[٥]. ثم تلا ذلك إنشاء مدرسة السعادة سنة ١٣٤٣هـ التي أنشأها الحاج شملان بن علي السيف على نفقته الخاصة[٦].

توالى إنشاء المدارس والكتاتيب في الكويت، ويقول عبدالعزيز الرشيد بأنها «وصلت سنة ١٩٢٦م إلى سبعة عشر للذكور وثمان للإناث أكبرها مدرسة المباركية والأحمدية والسعادة والباقي كتاتيب صغيرة تعلم الكتابة والقراءة والحساب»[٧].

بدأ الاتجاه لتتولى الحكومة في عام ١٩٣٦م الإشراف والإنفاق على عملية التعليم بعد ربع قرن من إنفاق الأهالي عليه[١]، وبدأت النهضة التعليمية الحديثة في الكويت وهي بداية عهد جديد في تاريخ التعليم في الكويت حيث شكل أول مجلس للمعارف عام ١٩٣٦م برئاسة الشيخ عبدالله الجابر والأستاذ يوسف القناعي مديراً لها[٢].

وقد واجهت الكويت آنذاك مشكلة المدرسين المتخصصين، واتصل أعضاء مجلس المعارف بمفتي فلسطين الذي أرسل أربعة مدرسين فلسطينيين وتعتبر أول بعثة تعليمية تصل إلى الكويت والذين تكفلت فلسطين برواتبهم[٣]، وبدأ التلعيم على أساس علمي ومنهج دراسي ثابت وأنشأت أول مدرسة للبنات سنة ١٩٣٧م[٤]، وبدأت الكويت الاتجاه إلى البلاد العربية الأخرى فاتصلت بوزارة المعارف المصرية سنة ١٩٤٢م التي انتبدت أربعة مدرسين

للتعليم في الكويت وهي أول بعثة تعليمية مصرية في الكويت[٥]، وتولى علي هيكل إدارة التعليم في الكويت وقام بتنظيم المناهج والخطط الدراسية في الكويت وفي سنة ١٩٤٣م تقرر تطبيق الخطط والمناهج المصرية مع بعض التعديلات التي تلائم خصوصية المجتمع الكويتي[٦].

وساهمت مصر بدور كبير في نشر العلم والمعرفة والوعي في الكويت، وتوج التعليم في الكويت بإنشاء جامعة الكويت سنة ١٩٦٦م.

يقول مصطفى النجار في ذلك: «لقد كان لانتشار المدارس في الكويت وما يتركه تأثير المدرسين على تلاميذهم من الناحية العلمية والتروية والوطنية والقومية من أثر كبير في نضج الحس والوعي الوطني والقومي والفكر بصورة عامة حتى بلغ درجة عالية جداً بين الشباب الكويتي وأصبحت المدارس مراكز للتجمعات الوطنية والقومية وأخذ يُسمع فيها أصوات الوحدة العربية»[١].

وفي اتجاه آخر قامت الكويت بإرسال البعثات الطلابية إلى الخارج لتحصيل العلم والمعرفة، فقد تم ابتعاث أول بعثة علمية للكويت من خريجي مدرسة المباركية والأحمدية سنة ١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٥م تتكون من سبعة طلاب الذي انتسبوا بكلية الأعظمية ببغداد[٢]، ثم إرسال بعثة ثانية سنة ١٣٥٨هـ الموافق ١٩٣٩م في أعقاب تكوين مجلس المعارف والتحقوا بدار العلوم ببغداد[٣]. وفي العام نفسه تم ابتعاث أربعة طلبة لاستكمال دراستهم الثانوية في مصر ثم التحقوا بجامعة الأزهر[٤].

وفي عام ١٩٤٣م أعلنت مصر استعدادها استقبال خمسة عشر طالباً كويتياً وأن تتكفل بجميع نفاقتهم الدراسية والمعيشية[٥]، وفي سنة ١٩٥٦م أرسلت الكويت أول بعثة للطالبات الكويتيات للدراسة في مصر[٦].

إلى جانب المدارس تم إنشاء المؤسسات الثقافية التي أسهمت في نشر العلم والوعي، لقد قام الأستاذ فرحان بن فهد الخالد الخضير في تأسيس الجمعية الخيرية في ربيع الآخر سنة ١٣٣٣هـ الموافق مارس من سنة

١٩١٣م، وكان الهدف منها مقاومة والتصردي للتبشير المسيحي في الكويت والخليج العربي[1]، حيث قدمت سنة ١٩١٠م البعثة الأمريكية الأولى وأنشأت مستشفى الأمريكاني سنة ١٩١٢م لهدف التبشير في الكويت[2]، وكان من أهداف هذه الجمعية الاتصال بالعالم العربي ثقافياً وحضارياً وإرسال الطلاب إلى البلاد العربية مصر وبيروت ودمشق[3] والتعرف على العلوم العصرية، وجلب العلماء الإصلاحيين لنشر الوعي وإرشاد الناس حيث استقدمت الشيخ محمد أمين الشنقيطي، واستقدام طبيب وصيدلي لمعالجة الفقراء مجانا[4]، إلا أنه سرعان ما قضى عليها الشيخ مبارك لاعتبارات سياسية إلا أنها بقيت علامة بارزة على طريق العمل الإسلامي الواعي والعدل الاجتماعي وتطور الفكر الإصلاحي[5].

كما أنشئت المكتبة الأهلية وزودت بالكتب النافعة لنشر الوعي بين أبناء الكويت وجلبت لها الكتب النفيسة والمجلات والجرائد العربية[6] لخدمة القراء وتولى رئاستها الأستاذ يوسف بن عيسى القناعي وتولى إدارتها سلطان الكليب[7]، وأنشيء النادي الأدبي سنة ١٣٤٢هـ الذي كان له صدى كبير لدى أبناء الكويت ومنبراً حراً لتبادل الآراء والأفكار ونشر العلوم والمعرفة وإلقاء المحاضرات المفيدة، وضم الكثير من الكتب والجرائد ويعتبر إنشاؤه أول عمل جماعي ذو طابع ثقافي واجتماعي[8].

وتعتبر الصحافة رادف مهم ومساند للتعليم ولعبت دوراً كبيراً في التأثير المباشر في إيقاظ الحس الوطني والقومي ونشر الثقافة والمعرفة والقضاء على الجهل والتخلف، لقد كانت الكويت حتى العقد الثاني من القرن العشرين خالية من الصحافة المحلية، وتعتمد على الصحف العربية اليومية والأسبوعية، فكانت صحف مصر المنار والأهرام والأخبار وروز اليوسف والصحف اللبنانية النهار والحياة والحوادث والصحف العراقية الناس والزمان وغيرها تقرأ في الكويت من وقت مبكر[1].

ونتيجة للمتغيرات والتطور الذي بدأ على الكويت من اتصال بالعالم على

أيدي رجال أكفاء بدأ التفكير في إنشاء صحافة كويتية لنشر الثقافة واللغة العربية والمساهمة في معرفة العالم الخارجي قام الشيخ عبدالعزيز الرشيد بإصدار مجلة الكويت سنة ١٣٤٦هـ، الموافق سنة ١٩٢٨م وهي مجلة لنشر الأفكار الإصلاحية الداعية إلى عصر النهضة، ولإيمانه بوحدة العرب فكراً وملء فجوة التطور الفكري في بعض البلاد العربية وركود الحياة الثقافية والفكرية في الكويت[٢]، استكتب رجال الإصلاح العربي مثل شكيب أرسلان وعبدالقادر المغربي وعبدالعزيز الثعالبي ومحمد الألوسي[٣]، وحاولت المجلة تحقيق التوازن بين أنها مجلة الكويت ومجلة الجزيرة العربية وامتداد للحوار مع العالم العربي[٤] إلا أنها توقفت بعد سنتين وبقيت الكويت خالية من الصحافة في العقد الثالث إلى العقد الرابع من القرن العشرين[٥].

لعبت مصر دوراً رائداً في نشر الوعي في الحياة الثقافية والفكرية والحضارية في الكويت لاستقبال طلاب الكويت الذين يدرسون في جامعاتها ومعاهدها، فقد قام الأستاذ عبدالعزيز حسين المشرف على البيت الكويتي في القاهرة بإصدار مجلة البعثة في ديسمبر ١٩٣٦م التي تطبع في القاهرة وترسل أعدادها إلى الكويت بالطائرة[١]. وهي مجلة تصدر بمفاهيم العصر آنذاك وبأيدي أبناء الكويت الدارسون في مصر إلى جانب الكتاب المصريين وعالجت كثيراً من الموضوعات والقضايا الداخلية ومحاولة وضع الحلول والمشاكل التي تعاني منها الكويت[٢]. وهي أول مجلة كويتية فتحت باب الحوار الفكري على مصراعيه في الكويت[٣].

وصدرت مجلة كاظمة سنة ١٩٤٨م برئاسة أحمد السقاف التي تبحث في الآداب والعلوم والاجتماع وهي مجلة عربية الهدف خدمة قضايا ومصالح العرب واهتمت بقضية فلسطين والمشاكل التي تعاني منها الكويت[٤] وبسبب مواقفها هذه أغلقت وفصل رئيس تحريرها وبقيت الكويت بدون صحافة حتى مطلع الخمسينات[٥].

وكان لعودة الخريجين الكويتيين من الجامعات المصرية والعربية والبريطانية

مزودين بالعلم والمعرفة والفكر والثقافة دوراً كبيراً في إبراز حركة النشر وعلو شأن الكويت ودخل الوعي والفكر الوطني والقومي مرحلة النضوج الذي أخذت الصحافة في مطلع الخمسينات مهمة التنوير العام ووسيلة تعبير هامة ومن خلالها بدأت تظهر التيارات السياسية المتعددة[٦].

ب- المفكرون والرواد الكويتيون والعرب :

١- الرواد الكويتيون الأوائل : لعبت الأقطاب والمصلحون الكويتيون الأوائل دوراً كبيراً في مساعدة أبناء وطنهم في نشر العلم والمعرفة والقضاء على الجهل والتخلف السائد والمتفشي في مجتمعهم وكان على رأس هؤلاء:

● **الشيخ يوسف بن عيسى القناعي :** كان هذا الرجل مصلحاً كبيراً من عدة وجوه ففي المجال التربوي والتعليمي، قام بالدعوة إل إنشاء أول مدرسة نظامية في الكويت وعين مديراً لها ثم دعا إلى إنشاء مدرسة ثانية في الكويت وعين مديزاً لها وقام بتحديث المناهج العصرية[١] فيها ثم اختير ناظراً للمكتبة الأهلية وكان له دور بارز في الإصلاح السياسي الذي لعب دوراً أساسياً في إنشاء أول مجلس شورى في الكويت في ٢٢ نوفمبر ١٩٢١م[٢] الذي بين أهميته لوجهاء الكويت، وانتخب عضواً في المجلس التشريعي الأول سنة ١٩٣٨م[٣]. وكان من دعاة التحضر والمدنية وطالب بإنشاء بلدية الكويت لتقوم بدورها الحضاري في الكويت[٤]، وعرف عنه أنه مصلحاً اجتماعياً دعا إلى التقيد بالفضائل الإسلامية، ويقول الأستاذ عبدالعزيز الرشيد : «هو أحد أقطاب الحركة العلمية والفكرية في الكويت وأحد العاملين في كثير من المشاريع الخيرية بل هو في الحقيقة مصلح فذ وقد فاق ما سواه بمعاضدة المشاريع النافعة مادياً ومعنوياً فتجده يبذل من ماله في سبيل إصلاحها[٥].

● **عبدالعزيز الرشيد :** من دعاة التحديث والتجديد وكان ذو اطلاع واسع في العلم والمعرفة[٦] والإصلاح، كان يحث المتمكنين من أهل الخير على إنشاء المدارس[١]، ويدعو إلى تحديث وإصلاح المناهج التعليمية وعلى تدريس العلوم

العصرية واللغة الإنجليزية، فقد كان يحث الناس على قراءة الكتب والمجلات والجرائد مثل المنار الإسلامية، ولذلك دعا إلى إنشاء النادي الأدبي الذي تأسس سنة ١٩٢٠م، وعمل كاتباً وصحفياً لجريدة الشورى المصرية وقام بنشر مجموعة كبيرة من المقالات بالمجلات العربية مثل مجلة الهلال القاهرية[٢]. وكان ذو فكر نيّر وصاحب حوار مع من يختلف معه والذي لم يفهم طبية العصر ومستجداته العلمية وألف كتاب الدلائل في تعليم اللغات، والهيئة والإسلام[٣]، وحارب أهل الجهل والضلالة والفكر المنحرف، وأصدر أول مجلة في الكويت والخليج العربي أسماها مجلة الكويت سنة ١٩٢٨م وطبعها في مصر(٤) لنشر الوعي والمعرفة ودعا المفكرين والمصلحين لزيارة الكويت أمثال الأستاذ الكبير محمد رشيد رضا صاحب جريدة المنار والشيخ محمد أمين الشنقيطي والأستاذ الفاضل حافظ وهبة المصري[٥] وكتب في مجلته رجال العرب المصلحين مثل شكيب أرسلان والألوسي والثعالبي وغيرهم، ويعتبر عبدالعزيز الرشيد مؤرخ الكويت الأول وأصدر كتابه الشهير تاريخ الكويت سنة ١٩٢٦م[٦] الذي يعتبر المرجع الأساسي لتاريخ الكويت.

كما كان هناك الكثير من المفكرين المصلحين الذين لعبوا دوراً كبيراً في نشر الفكر والمعرفة.

ب- زيارة المفكرين والرواد العرب الأوائل للكويت :

زار الكويت ما بين سنة ١٩١٠-١٩٢٧م مجموعة من رجال الإعلام والفكر والإصلاح بدعوة من أهل الفكر والمصلحين الكويتيين، واتخذوا الكويت ساحة لنشر المعرفة والعلم المتطور العارف بطبيعة العصر وإيقاظ الوعي القومي وكانت أحاديث وخطب هؤلاء الرواد العرب في المساجد والدواوين وتعميق الوعي والانفتاح على حقائق وروح العصر[١] وكانت الاستجابة لهم وتقبلهم لدى الكويتيين بحكم طبيعتهم المنفتحة لآراء الرواد وأفكارهم التي استفاد منها الكويتيون أثر فعال وكبير في وعيهم وأن العلم يرفع شأن الإنسان والوطن وتنوير الناشئة التي تقوم عليها نهضة الأمة. ويقول عبدالله النوري:

لا ننكر من زار الكويت من العلماء الأفاضل ذو الآراء الحرة والأفكار الصائبة، واتخذوا مساجد الكويت ميداناً لتعليم وبث إرشادهم ونصائحهم منهم الشيخ أحمد أمين الشنقيطي والشيخ محمد رشيد صاحب مجلة المنار والشيخ عبدالعزيز الثعالبي الزعيم التونسي[٢].

● **الأستاذ العالم المحدث محمد أمين الشنقيطي:** يعتبر من المجاهدين العرب الذين كان لهم دور فعال في نشر الوعي وإيقاظ الفكر في الكويت[٣] وهو من إقليم شنقيط في موريتانيا أتى إلى الجزيرة العربية وخاصة في عنيزة ثم وصل إلى الكويت وبقي فيها فترة من الزمن ينشر العلم والمعرفة وإيقاظ الفكر والوعي وجلس إليه الكثير من الكويتيين للاستماع إلى آرائه وعلمه وإرشاداته ووقف بوجهه رجال الدين في الكويت الذين انصرف عنهم الاس إلى هذا العالم الجليل واعتبر رجال الدين أن قدومه إلى الكويت من دواعي الإفساد[١]. وكان ذا آراء سياسية أدى بالشيخ مبارك باتهامه بأنه وراء العصيان الذي حدث في الكويت ضد الشيخ مبارك الذي وقف مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية، وطرد من الكويت بإيعاز من الإنجليز[٢].

وبعد فترة عاد إلى الكويت في عهد الشيخ سالم المبارك الذي طلب منه مغادرة الكويت فوراً بحجة أنه قدم إلى الكويت وهو الشخصية البارزة والمعروفة دون أن يستأذنه في القدوم[٣]، ومايزال الكويتيون يذكرون فضله هو والأستاذ حافظ وهبة المصري[٤]، ويقول عبدالله الحاتم في فضل الأستاذ محمد أمين الشنقيطي تعرض الشيخ الأستاذ طوال حياته إلى الأذى والحرمان وضرب ونفي ونال من المصائب ما يعجز عنه وصفه القلم فطرد وشرد وأهين ولكنه صبر وصابر وخرج من كل هذا رافع الرأس كالجبل وهذا شأن المؤمنين الصابرين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[٥].

ومن مقولاته المشهورة: لو أن كل مبعوث إلى الخارج تعلم ونضج ثم عاد ويئس لكان من الخير ألا يبعث»[٦].

● **الأستاذ الزعيم عبدالعزيز الثعالبي:** زار الكويت في ذي القعدة سنة

١٣٤٣هـ وكان لأحاديثه وخطبه الأثر الكبير وبث فيها روح الحركة والنشاط وأقيمت له الاحتفالات في المعاهد العلمية والأدبية تقديراً لفضله وألقيت القصائد في مدحه في النادي الأدبي[٧]، ويقول الأستاذ عبدالعزيز الرشيد وهو من المعاصرين له «يعتبر من المصلحين الأفذاذ زعيم كبير وأستاذ محقق وبطل مقدام وعالم من العلماء المصلحين - سياسي أخرس الساسة المحنكين ومخلص وله في كل حركة أثر محمود وخطيب مفوه يحق للشرق أن يفاخر به الغرب»[١].

● **الشيخ حافظ وهبة المصري** : أتى إلى الكويت فاراً من أسر الإنجليز في الهند سنة ١٩١٥م، ونزل في مدرسة المباركية وعين مدرساً فيها[٢]. ثم معلماً في مدرسة الأحمدية ودرس العلوم العصرية كمبادىء الهندسة والجغرافيا[٣]. وله من الأعمال والآثار الطيبة التأثير الكبير على أهالي الكويت الذين يقرون له بالفضل وغيرته ويشكرونه على ذلك[٤]، واتهمه الشيخ مبارك بعد العصيان الذي حدث في الكويت بأنه أحد المهيجين على ذلك واستدعاه هو والشيخ محمد أمين الشنقيطي بحضور المعتمد البريطاني وتكلم معه بعنف وشدة، وغادر الشيخ حافظ وهبة الكويت[٥] وأبعدته السياسة من الكويت لتدخله في الأمور الداخلية وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عاد إلى الكويت تاجراً وليس معلماً[٦].

● **الأستاذ محمد رشيد رضا**: أحد الروّاد الأوائل ورجال الفكر والمحقق صاحب مجلة المنار الذين زاروا الكويت وكان له تأثير ودور كبير وفعال في نشر الوعي وإيقاظ الفكر وقد أحدث في السنة التي زار فيها الكويت انقلاباً بين أهلها وتأثر الكثير به وكانت لخطبه الرنانة في الجامع الكبير كالسيل المنحدر فتاب الكثير على يديه وتركوا ما كانوا يعتقدونه في فضيلته السوء وأصبح الراغبون في العلوم الراقية التي يحرمونها أعداد غفيرة، وزاد الإقبال على مجلته بعد أن كانت قلة[١].

جـ- النفـط:

بدأ تصـدير أول شـحنة من نفط الكويت الخـام في ٣٠ يونيـو سنة ١٩٤٦م تدفق من ميناء الأحمدي إلى السفينة البريطانية التي حملت شحنة هائلة إلى الخـارج[٢]، وبدأ الإنتـاج النفطي الكويتي يزداد تدريجيـاً ولم تكتـشف إمكانات الكويت البتـرولية إلا بعد تأميم البتـرول في إيران[٣]، أيام أزمة مصدق الذي كان له الأثر الكبير في ارتفاع إنتاج نفط الكويت ووصل سنة ١٩٥٨م إلى ثلث إنتاج الشرق الأوسط[٤]، وبذلك زادت العائدات المالية والذي كان له الأثر الكبير في تحول مسار الكويت السياسي والاجتماعي، وأصبح الدعامة الرئيسية التي يقوم عليها اقتصاد الكويت، وأصبح للمواطن دخل قوي وثابت عن طريق العمل في الدوائر والمؤسسات الحكومية وضيق الهوة بين أفراد المجتمع الكويتي.

وبدأت التنمية والمشاريع على كل الأصعدة العمرانية والاقتصادية والعلمية أصبح هناك ضرورة إلى تخطيط الكويت وكان برنامج الإنشاء حوالي ١٩٤٠م بدون خطة[٥]، وبدأت مـدن جـديدة في الإنشـاء وبناء المدارس في جـمـيع مراحلها التي كان لها دور كبيـر في ظهور الوعي القومي العربي وأدى إلى ارتباط الكويت بالقضايا العربية وساعد على الاتصال المباشر بين الجماهير الكويتية مع القوى العربية القومية الشعبية[٦]، لقد اقترن بتغير بنيان البلد السياسي والاجتماعي وتحول من نظام اقطاعي إلى نظام ديموقراطي وأهم هذه التـغـيـرات الازدياد الهـائل للسكان وتمركـزهم في مـدينة الكويت[٧] واسـتغلت إمكاناتها المادية إلى مصلحة البلد وتحديث إدارتها وأنظمتها وتحقيق تقدمها الحضاري والثقافي ونجحت إلى الوصول إلى شكل الدولة الحديثة التي وضعتها في مصاف الدول العصرية[١]، ومن معالم النهضة الكبرى في دولة الكويت الحديثة في مسارها وتطورها التقدم العمراني الذي كان السمة البارزة الذي واكب اكتشاف النفط في حركة النهوض وهي دلالة على الرخاء المادي نتيجة توزيع الثروة عن طريق التثمين والتغير في البنية

السكانية يتحول من مناطق البادية إلى المدن[٢]، وكانت إقامة المشاريع بدائية وذات تكلفة عالية وتداركاً لذلك كلفت الحكومة سنة ١٩٥١م خبراء بريطانيون لتنظيم المدينة على أسس عصرية وبدأ شق الطرق وبناء المستشفيات والمدارس والمرافق العامة من حدائق، وفي سنة ١٩٥٤م قامت الكويت بتعديل خطتها[٣] بعد أن رأت استغلال واستنزاف الشركات البريطانية موارد البلد بصورة كبيرة، وسمحت للكويتيين والعرب في عملية إعادة البناء وذلك عن طريق المناقصات الحرة[٤]، فقامت في بناء الوحدات السكنية وتوزيعها على المواطنين بمبلغ رمزي لحل مشكلة السكن، وفي عام ١٩٥٨م قامت ببناء أكبر مستودع لتكرير المياه[٥]، وكذلك الكهرباء وبذلت بلدية الكويت جهوداً كبيرة في تحميل المدن وإنشاء الحدائق والساحات وتزيين الشوارع[٦].

ارتبطت النهضة التعليمية باكتشاف النفط ووضعت الميزانيات لإنشاء المؤسسات التربوية فقد أنشئت المدارس بمراحلها المختلفة من رياض الأطفال وحتى الجامعة وأوجدت المعاهد والكليات المهنية الصناعية منها وزراعية وإنشاء المعاهد لذوي الحاجات الخاصة كما أنشىء معهد الكويت الأبحاث العلمية سنة ١٩٧٠م والغرض منه دراسة البيئة الكويتية والمصادر الطبيعية وإعداد الباحثين العلميين في الكويت[١] وجعلت عملية التعليم بجميع مراحلها مجاناً للجميع.

أما النهضة الصحية فقد بدأ النشاط الفعلي للخدمات الطبية منذ سنة ١٩٤٧م وتطور تقديم الرعاية الصحية تقدماً ملموساً منذ إنشاء وزارة الصحة العامة لتقوم بالإشراف على الخدمات الصحية المختلفة في الكويت وأصبحت الرعاية الصحية على أساس علمي حديث كماً وكيفاً فازدادت أعداد المستشفيات بصورة كبيرة بأقسامها المختلفة وأنشئت المراكز الصحية المختلفة في المناطق والمدارس وقد أممت الكويت الطب وجعلته مجاناً للكويتيين والمقيمين[٢].

إن تدفق عائدات النفط خلق متغيرات بدأت تطفو على السطح في المجتمع الكويتي ونتيجة لشعور قومي عميق قاموا بالاستعانة بأبناء العرب المتعلمين والمهرة للمساعدة في عملية البناء وبدأ دور الأجنبي يضعف[٣] واعتمدت لخدماتها المدنية من أطباء ومهندسين ومدرسين على الأقطار العربية[٤]، وكان لاحتياج الشركات لأيدي عاملة تدفق على الكويت الأيدي العربية العاملة لقرب البلاد العربية ولميل الحكام والشعب الكويتي إليهم بحكم الانتماء الواحد وسهولة التفاهم ساعد على نضوج الوعي القومي والوطني[١]، وكان سائر الموظفين والعمال العرب يتمتع أبناؤهم بنفس الحقوق التي يتمتع بها أبناء الوطن من حيث التعليم والصحة[٢].

لقد أحدث النفط انقلاباً في كافة مرافق الدولة وشتى ميادين الحياة وقفزة نوعية لتلعب الكويت دوراً كبيراً على الصعيدين العربي والعالمي[٣].

وتقول سعاد الصباح: «في حقبة الخمسينات شهدت الكويت مشاريع عملاقة أنفقت عليها عشرات الملايين من الدولارات وكانت بمثابة البنية الأساسية الضرورية لحدوث التقدم المادي والاجتماعي على حد سواء[٤].

إن فترة الخمسينات هي فترة التحضير للاستقلال الكويتي كدولة ذات كيان مستقل عن بريطانيا العظمى وذلك بإيجاد نظام مالي محدد ونظام تشريعي متكامل ومتناسق ومستقل[٥].

د- دور الزعيم جمال عبدالناصر في اضطراد النمو القومي في الكويت من سنة ١٩٥٢ - ١٩٧٠م :

بدأ التاريخ العربي مرحلة جديدة بقيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢م في مصر بقيادة الضباط الأحرار وإزاحة النظام الملكي، واستطاع جمال عبدالناصر تولى رئاسة مصر سنة ١٩٥٤م، وتبني الاتجاه القومي العربي وأصبح رمزاً للقومية العربية التي جعلها عقيدته وإيمانه في تحقيق الوحدة العربية، ولقد لعب دوراً كبيراً في إحياء الروح القومية العربية ولعبت شخصيته الكرازمية: ومواقفه البطولية الشجاعة وإيمانه والتصميم والعزيمة في شحن نفوس

أبناء الأمة العربية في محاربة الاستعمار وتحرير البلاد من القوى الأجنبية والتصدي للمحطات الصهيونية ممثلة في إسرائيل التي زرعت في قلب الوطن العربي.

وأصبحت مصر مركز استقطاب للأمة وللجماهير العربية ومحط الأنظار تتجه إليه، لقد برز جمال عبدالناصر كبطل قومي عربي لدى الجماهير العربية. عندما أمم قناة السويس وقام العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦م حيث نشط القوميون في الكويت في حملة دعائية لتأييد قيادة جمال عبدالناصر في صراعه مع القوى المعادية للأمة العربية وأصبحت هذه الفترة في الكويت كما يقول فلاح المديرس: «العصر الذهبي لحركة القوميين العرب»[١].

ولقد بلغ إعجابهم وحبهم لجمال عبدالناصر مداه حتى أن الشيخ عبدالله المبارك الصباح أحد أفراد الأسرة الحاكمة في الكويت وصف جمال عبدالناصر بكلمات تنم عن إعجابه فقال في حقه: «إن عبدالناصر رجل نذر نفسه لخدمة الأمة العربية وهو يتفانى في هذه الخدمة غير طالب بشيء لنفسه حتى أن بيته لم يبدله حتى الآن، إن الإيمان بخدمة العروبة يملأ حنايا نفسه وعبدالناصر ليس لمصر وحدها بل للعرب جميعاً»[١].

وعندما دعت مصر الكويت إلى حضور المؤتمر الإسلامي عام ١٩٥٦م حذرت بريطانيا أمير الكويت من احتمال ازدياد النفوذ المصري[٢]، وكان للإعلام المصري تأثيره الفعال حيث نجح بإثارة الجماهير العربية مقدماً لها صورة مشرفة للنضال المشترك والمصير العربي الواحد[٣].

إن النظام التشريعي في أواخر الخمسينات ربط الكويت بصورة أوثق بالجمهورية العربية المتحدة حيث إن غالبية المستشارين الذين رسخوا هذا الاتجاه كانوا من المصريين ترتب عليه تقوية جمال عبدالناصر داخل الكويت وبلغ ذلك الاتجاه قمته سنة ١٩٦٠م بتأسيس إدارة الفتوى والتشريع[٤].

وكانت بصمات مصر بقيادة جمال عبدالناصر في دعم تحرر الكويت ونيل استقلالها واضحة وكانت من أوائل الدول التي اعترفت بالكويت وهي وراء

قبول الكويت في الجامعة العربية[٥]. زاد من حب وتقدير جمال عبدالناصر على المستوى الرسمي والشعبي.

أدت نكسة ١٩٦٧م إلى تغيرات هامة في حركة القوميين ونقطة تحول في حياة الحركة وأدت إلى زلازل في حركة القوميين العرب قلبها رأساً على عقب[٦]. التي سارت وراء جمال عبدالناصر على أساس ثورة قادرة على توحيد العرب وتحرير أراضيهم في فلسطين وبعد نكسة يوليو، ظهر تحول في اتجاهات الصف الثاني في حركة القوميين العرب (فرع الكويت) إلى اليسار وبذلك ضعف دورها وبدأ الانشقاق لحركة القوميين العرب في منتصف أكتوبر سنة ١٩٦٨م وصدرت قرارات بفصل قيادة الحركة أحمد الخيب وسامي المنيس وعبدالله الليباري وغيرهم، واختيار قيادة جديدة والالتزام بالماركسية اللينية وغيرت اسم الحركة إلى «الحركة الثورية الشعبية في الكويت»[١]، وبذلك ضعف دور القوميين العرب بشكل قوي بوفاة جمال عبدالناصر سنة ١٩٧٠م.

٣- اضطراد النمو القمي في الكويت ١٩٥٠-١٩٦١م :

توهج الشعور القومي في الكويت في فترة الخمسينات من القرن العشرين أكثر من غيره من فترة أخرى[١]. وبدأ الانفراج الديمقراطي الذي ساد الكويت في هذه الفترة، فقد أصبح الشيخ عبدالله السالم أميراً للكويت سنة ١٩٥٠م الذي اتبع سياسة ليبرالية[٢]، وسمح في فترة حكمه بإنشا الأندية الثقافية والرياضية والروابط الشعبية والصحف التي بلغ عشرين مجلة وجريدة مثل مجلة الإيمان والإرشاد والرائد واليقظة، أما الجرائد مثل صدى الإيمان ولافجر واشعب والأندية.

وقد بلغت النوداي عشرين نادياً مثل نادي التعاون والعمال ونادي العروبة ونادي الخليج واتحاد الأندية الكويتية ولجنة الأندية، ولقد لقيت حركة القوميين العرب دوراً بارزاً في نشر مبادئها القومية من خلال أعضائها أحمد الخطيب الذي ساهم في إنشاء الأندية التي تتبع الفكر القومي مثل

النادي الأهلي والنادي الثقافي القومي، وساهمت صحفها جريدة صدى الإيمان ومجلة الإيمان والفجر في خلق قاعدة شعبية لها في الكويت[٣].

ويذكر ديكسون الوكيل السياسي السابق في الكويت في كتابه «الكويت وجاراتها» أن الأحداث الاجتماعية والسياسية التي تجري في مصر وباكستان وشمال أفريقيا ولبنان بدأت تؤثر في الجزيرة العربية وهذه الحركات لن تفشل في النهاية في فرض تأثير متزايد على مجريات الأحداث، فقد بدأت القومية تمسك بزمام الأمور وأضاف أيضاً وذلك من قبل التحدي للغرب وخاصة بريطانيا[٤].

وأضاف ديكسون في كتابه أن مسؤولاً كويتياً بارزاً قال في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٣م: «إنكم لا تستطيعون أن تنحو باللائمة على العرب لأنهم يريدون تقليد الغرب وإدخال بعض أساليب الغرب لحماية حقوق عمال شركات النفط.. فلماذا لا يحق لنا أن نفعل نفس الشي»[١]. لقد بدأت حركة القوميين في الكويت خلال مرحلة الخمسينات العمل على محاربة الاستعمار الغربي وإنهاء معاهدة الحماية مع بريطانيا وتوحيد الكويت مع الوطن العربي[٢].

كان لتأثير أبناء العرب العاملين في الكويت دور كبير في غرس المفاهيم والأفكار القومية العربية في ذهن الكويتيين فكان شعار بلاد العرب للعرب والكويت للكويتيين، وأن الكويت إمارة مستقلة فلماذا هذا النفوذ السياسي لبريطانيا[٣].

وبدأت حركة القوميين العرب في عهد الشيخ عبدالله السلم نشاطاً سياسياً مميزاً وكان المحور الأساسي الذي تدور حوله تلك الأنشطة السياسية هي القومية العربية التي كان عنصرها المثقفون المتعلمون الكويتيون والوافدون العرب، وبدأت المنشورات ذات الصبغة القومية ممثلة في العصبة الديمقراطية الكويتية تركز على الإصلاح السياسي الداخلي وربط ذلك مع الوضع العربي عمرماً[٤].

وبدأت تطالب بتحرير الثروة النفطية من سيطرة الإنجليز وتسويق النفط

تحت إشراف الحكومة وإنهاء الشركات الإنجليزية الخمس التي تشرف على تنفيذ المشاريع الكويتية في الخمسينات[٥].

إن الكفاح الذي يمر في أجزاء الوطن العربي لنيل الحرية من العوامل التي تضيء نور القيم العربية وتذكي نارها السياسية[١].

ويقول كاتب غربي: لقد كان الكويتيون يتمسكون بدينهم وقوميتهم العربية ويسيرون في الطريق الحضاري السليم[٢].

إن فترة الخمسينات في الكويت هي فترة التحضير لقيام دولة الكويت المستقلة ذات سيادة وبناء البنية التحتية، وإيجاد المؤسسات والأنظمة التشريعية والمالية التي سوف تقوم بإدارة البلاد داخلياً بصورة حديثة[٣].

وتوج ذلك الكفاح القوي والصلب بالدستور والحياة الديمقراطية سنة ١٩٦٢م بعد أن نالت الكويت حريتها واستقلالها سنة ١٩٦١م[٤].

الهوامش :

(١) أحمد السقاف - مرجع سبق ذكره، ص٢٥.

(٢) عبدالله النوري - قصة التعليم ص٣٩-٤٠.

(١) عبدالعزيز الرشيد - تاريخ الكويت ص٣٦٧.

(٢) المرجع السابق نفسه ص٣٦٩.

(٣) نجاة الجاسم - قضايا في التاريخ السياسي والاجتماعي لدولة الكويت، ص١٩٩.

(٤) سيف مرزوق الشملان - من تاريخ الكويت ص٢٠١.

(٥) عبدالعزيز الرشيد، ص٣٧٠.

(٦) المرجع السابق نفسه، ص٣٧١.

(٧) عبدالعزيز الرشيد - مرجع سبق ذكره، ص٣٦٧.

(١) فوزية يوسف عبدالغفور - تطور التعليم في الكويت ١٩١٢-١٩٧٢، ص٧٥.

(٢) خليل محمد عوده - علماء الكويت دعاة الإصلاح، ص٤٥.

(٣) فورية يوسف عبدالغفور - مرجع سبق ذكره، ص٧٨.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص٨٠.

(٥) صالح شهاب - تاريخ التعليم في الكويت، ص٦٢.

(٦) فوزية يوسف عبدالغفور - مرجع سبق ذكره، ص٩٠.

(١) مصطفى النجار - التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي، ص٢٥٦.

(٢) مرزوق الشملان - مرجع سبق ذكره، عبدالله الحاتم - من هنا بدأت الكويت، ص٢٥١.

(٣) عبدالله الحاتم - مرجع سبق ذكره، ص٣١٩.

(٤) نجاة الجاسم - مرجع سبق ذكره، ص٢٩٠.

(٥) صالح شهاب - مرجع سبق ذكره، ص٦٢.

(٦) نجاة الجاسم - مرجع سبق ذكره، ص٢٩١.

(١) خليل محمد عوده - مرجع سبق ذكره، ص٤٣.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص٤٤.

(٣) عبدالعزيز الرشيد - مرجع سبق ذكره، ص٣٧٣.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص٣٧٣.

(٥) خليل محمد عوده - مرجع سبق ذكره، ص٤٥.

(٦) عبدالعزيز الرشيد - مرجع سبق ذكره، ص٣٧٤.

(٧) سيف مرزوق الشملان - مرجع سبق ذكره، ص٢٠٢.

(٨) خليل محمد عوده - مرجع سبق ذكره، ص٤٢.

(١) أحمد الشرباصي - أيام الكويت، ص٣٣٦.

(٢) محمد حسن عبدالله - الحركة الأدبية، ص١٨٥.

(٣) فلاح المديرس - المجتمع المدني والحركة الوطنية في الكويت، ص١١.

(٤) خليل محمد عوده، مرجع سبق ذكره، ص٤٩.

(٥) ميمونة الصباح - مرجع سبق ذكره، ص٣٩٦.

(١) أحمد الشرباصي - مرجع سبق ذكره، ص...

(٢) محمد حسن عبدالله - صحافة الكويت، ص٥٩.

(٣) لمرجع السابق نفسه، ص٦٠.

(٤) نجاة الجاسم - مرجع سبق ذكره، ص٢٠٨.

(٥) فلاح المديرس - مرجع سبق ذكره، ص١٢.

(٦) نجاة الجاسم - مرجع سبق ذكره، ص٢٠٧.

(١) خليل محمد عوده - مرجع سبق ذكره، ص١٠٤-١٠٥.

(٢) نجاة الجاسم - التطور السياسي والاقتصادي للكويت بين الحربين ١٩١٤-١٩٣٩، ص١٦٣.

(٣) ميونة الصباح - مرجع سبق ذكره، ص١٥.

(٤) خليل محمد عوده - مرجع سبق ذكره، ص١٠٩.

(٥) عبدالعزيز الرشيد - مرجع سبق ذكره، ص٣٢٦.

(٦) خليل محمد عوده - مرجع سبق ذكره، ص١٣٤-١٣٥.

(١) خليل محمد عوده - مرجع سبق ذكره، ص١٢٦.

(٢) عبدالمحسن الخرافي - مربون من بلادي، ص١٦٦.

(٣) خليل محمد عوده - مرجع سبق ذكره، ص١٢٨.

(٤) محمد حسن عبدالله - الحركة الأدبية، ص١٦٦، عبدالمحسن الخرافي - مربون من بلادي، ص١٦٦.

(٥) خليل محمد عوده - مرجع سبق ذكره، ص١٣٤-١٣٥.

(٦) عبدالمحسن الخرافي - مرجع سبق ذكره، ص١٦٦.

(١) ميمونة الصباح - مرجع سبق ذكره، ص١٢٢.

(٢) عبدالله النوري - قصة التعليم، ص٣٥.

(٣) ميمونة الصباح - مرجع سبق ذكره، ص١٢٥.

(١) محمد حسن عبدالله - مرجع سبق ذكره، ص٣٤٧.

(٢) عبدالعزيز الرشيد - مرجع سبق ذكره، ص٢٠٧.

(٣) عبدالعزيز الرشيد - مرجع سبق ذكره، ص٢٤٣.

(٤) خليل محمد عوده - مرجع سبق ذكره، ص١٣٤.

(٥) عبدالله الحاتم - مرجع سبق ذكره، ص١٦٥.

(٦) عبدالمحسن الخرافي - مرجع سبق ذكره، ص٧٨٧.

(٧) عبدالعزيز الرشيد - مرجع سبق ذكره، ص٢٥٥.

(٥) عبدالله الحاتم - مرجع سبق ذكره، ص١٦٥.

(١) عبدالعزيز الرشيد - مرجع سبق ذكره، ص٢٥٥.

(٢) عبدالله النوري - مرجع سبق ذكره، ص٤٩.

(٣) نفس المرجع - ص٥٣.

(٤) عبدالعزيز الرشيد - مرجع سبق ذكره، ص٣٥٥.

(٥) مرزوق الشملان - مرجع سبق ذكره، ص١٨٠.

(٦) عبدالله النوري - مرجع سبق ذكره، ص٤٩.

(١) خليل محمد عوده - مرجع سبق ذكره، ص١٣٤.

(٢) ديكسون - الكويت وجاراتها الجزء الأول ص٢٥٧، أحمد الشرياصي - مرجع سبق ذكره، ص٥١.

(٣) د. حسن سليمان محمود: الكويت ماضيها وحاضرها - ص١٠٠.

(٤) قدري قلعجي - الخليج العربي ص٥٦٩، Marlowe op. cit. p.174.

(٥) التنمية الاقتصادية في الكويت - ص٦٥.

(٦) حسن الإبراهيم - الكويت دراسة سياسية - ص١٣٤.

(١) ميمونة الصباح - مرجع سبق ذكره، ص٤٢١.

(٢) قدري قلعجي - النظام السياسي والاقتصادي في الكويت - ص٢٣٢.

(٣) التنمية الاقتصادية في الكويت - ترجمة صلاح الدين الصباغ - ص٦٦.

(٤) نجاة الجاسم - مرجع سبق ذكره، ص٣٥٩، قدري قلعجي - مرجع سبق ذكره - ص٢٢٨.

(٥) جمال زكريا - مرجع سبق ذكره، ص٤٤، أحمد مصطفى - تاريخ الكويت، ص٣٧١.

(٦) قدري قلعجي - مرجع سبق ذكره، ص٢٣١.

(١) قدري قلعجي - مرجع سبق ذكره، ص٢٥٤-٢٥٥.

(٢) نفس المرجع - ص٢٧٢-٢٧٣.

(٣) محمد الرميحي - البترول والتغيير في المجتمع الخليجي - ص١١٩.

(٤) أحمد الشرباصي - مرجع سبق ذكره، ص٦٢.

(١) ميمونة الصباح - مرجع سبق ذكره، ص٤١٠.

(٢) قدري قلعجي - الخليج العربي - ص٦٢٩.

(٣) نفس المرجع - ص٥٧٠.

(٤) سعاد الصباح - صقر الخليج، ص٦٧.

(٥) غانم النجار - مرجع سبق ذكره، ص٦١.

(١) فلاح المديرس - ملامح أولية، ص١٩.

(١) سعاد الصباح - مرجع سبق ذكره، ص١٥٩.

(٢) نفس المرجع، ص١٥٨.

(٣) هاني الهندي وعبدالإله النصراوي - حركة القومية العربية - نشأتها وتطورها جـ١، ص٢٦٤

(٤) غانم النجار - مرجع سبق ذكره، ص٦١.

(٥) د. أمين ساعاتي - العلاقات الحضارية والتاريخية المستمرة بين مصر والخليج العربي، ص١٣٥.

(٦) محمد جمال باروت - حركة القوميين العرب، ص٣١٢.

(١) محمد جمال باروت - مرجع سبق ذكره، ص٤٤٢.

(١) أحمد السقاف - أحاديث في العروبة والقومية، ص١٠١.

(٢) فلاح المديرس - مرجع سبق ذكره، ص١٦.

(٣) نفس المرجع، ص٢٩.

(٤) ديكسون - الكويت وجاراتها جـ١، ص٢٧١.

(١) ديكسون - مرجع سبق ذكره، ص٢٧١.

(٢) فلاح المديرس - ملامح أولية، ص١٧.

(٣) ديكسون - مرجع سبق ذكره، ص٢٧١.

(٤) غانم النجار - مرجع سبق ذكره، ص٥٠.

(٥) الفجر - ٩/٧/١٩٥٨.

(١) سيد نوفل - الأوضاع السياسية، ص٢٢٤.

(٢) Redricown, the golden buble, p.31.

(٣) غانم النجار - مرجع سبق ذكره، ص٦١.

(٤) أحمد السقاف - تطور الوعي القومي في الكويت، ص٣٩.

قيادات نسائية من الصعيد خدمت التنمية
نموذج هدى محمد سلطان (هدى شعراوي)

إعداد
أ.د. رافت غنيمي الشيخ
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
عميد كلية الأداب جامعة الزقازيق وقناة السويس سابقاً
مؤسس معهد الدراسات الاسيوية
جامعة الزقازيق

مقدمة:

لما كانت دراسة الشخصيات من الأهمية بمكان، كان علينا دراسة قيادة نسائية من صعيد مصر هي هدى شعراوي، لأن دراسة الشخصيات تعكس أحوال المجتمع المعاصر لتلك الشخصية وإنجازاتها تأثيراً وتأثراً، كما أن تاريخ الشخصيات الهامة قديماً وحديثاً لا يمكن تجاهله لأنه جزء من تاريخ المجتمع في العصر الذي عاشت فيه تلك الشخصيات.

ظهرت هدى شعراوي، بنت صعيد مصر، خلال ثورة عام ١٩١٩م، التي حفلت بالشخصيات الوطنية من رجال ونساء في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد لعبت هدى شعراوي دوراً بارزاً في خدمة القضية الوطنية، فكانت أول النساء اللاتي خرجن إلى الشارع وقدن مظاهرات ضد الاحتلال الانجليزي، كما اقترن أسمها في التاريخ بأنها إحدى رائدات النهضة النسائية، لما قامت به لخدمة قضية المرأة، كنموذج للنشاط النسائي المصري في بداية القرن العشرين.

وكانت هدى شعراوي أول من نظمت مظاهرات نسائية في ثورة عام ١٩١٩م، وخلال فترة الثورة أختيرت رئيسة للجنة الوفد المركزية للسيدات، التي

وحدت أهدافها مع أهداف الوفد المصري، ثم اختيرت رئيسة للاتحاد النسائي المصري والعربي، ونائبة لرئيسة الاتحاد النسائي الدولي، وهي أول من مثلت المرأة المصرية في المؤتمرات الدولية.

وخلال الفترة من عام ١٩٢٣م وحتى عام ١٩٤٥م اهتمت هدى شعراوي اهتماماً بالغاً بالتعليم ونشره بين البنين والبنات، كما اهتمت بقضايا مصر الداخلية والخارجية. ومن أهم هذه الاهتمامات التنمية بمفهومها الشامل القائم على رفع مستوى أبناء الصعيد -بنين وبنات- بصفة خاصة، وأبناء كل بلاد القطر المصري بصفة عامة، اجتماعياً واقتصادياً وتعليمياً وثقافياً، ومشاركة سياسية.

وفي الصفحات التالية نتناول نشأة هدى محمد سلطان باشا في مدينة المنيا، ووزاجها من على شعراوي، وبداية عملها في النشاط الاجتماعي موقفها من بعض القضايا السياسية، والقضايا الاجتماعية وخاصة تلك التي تهتم بالمرأة، وقضايا التعليم للمرأة وصحة المرأة، مع التركيز على نشاطها المؤثر في صعيد مصر وخاصة في مديرية المنيا.

هدى محمد سلطان

ولدت هدى في الثالث والعشرين من شهر يونيو عام ١٨٧٩م بمدينة المنيا، وهي إحدى مدن الصعيد، بقصر والدها محمد سلطان الذي كان يشغل مساحة كبيرة محاطاً بالحدائق، وكان له مرسى خاص على نهر النيل يربط شرق النيل بغربه، إذ كان عمل محمد سلطان كمتعهد لنقل الأحجار بجماله من شرق النيل إلى غربه، ما تطلب إنشاء هذا المرسى.

وكان محمد سلطان -والد هدى- بن سلطان أغا بن أحمد، عربي الاصل، حيث حضرت أسرته من أرض الحجاز إلى مصر واستقرت بها، ولم يلتحق محمد بأية مدرسة ليتعلم فيها، ولكنه أتقن التحدث باللغة العربية بفضل نشأته العربية في أرض الحجاز.

ونتجية لكرم محمد سلطان وعطاياه لقب بملك الصعيد، وقد تولى شياخة البلد، ثم تولى عمدة بلدة زاوية الأموات إحدى قرى محافظة المنيا وتقع شرقي النيل وتغير اسمها حالياً إلى زاوية سلطان باشا نسبة إلى محمد سلطان. ثم صار ناظراً على قسم قلوصنا بعد أن رشحه لهذا المنصب الشريعي مأمور قسم قلوصنا، أثناء حكم الوالي محمد سعيد باشا، في الفترة من ١٨٥٧ إلى ١٨٥٩م، ثم رقى إلى وظيفة وكيل لمديرية بنى سويف، ثم مديراً لمديرية أسيوط، ثم مديراً لمديرية الغربية، ثم مدير جفالك مديريتى المنيا وما حولها عام ١٨٧٥م، ثم رقى إلى مفتش عموم قبلى في أغسطس عام ١٨٧٩م. وفي عام ١٨٨٢م عين رئيساً لمجلس شورى النواب.

وقد اشترك محمد سلطان في جمعية حلوان التي عرفت فيما بعد باسم الحزب الوطني أو الأهلي مع بعض الوطنيين من مدنيين وعسكريين وذلك عام ١٨٧٩م. ومنذ ذلك الوقت توثقت علاقته مع أحمد عرابي الذي وجد فيه سنداً لحركته الوطنية بما يمتلك من مركز أدبي وسياسي ومن ثروة، ولكن محمد سلطان انقلب على الثورة وساعد الاحتلال البريطاني، خاصة بعد أن أيقن أن مبادئ الثورة العربية سوف تؤثر على مصالحه، وتنشر المساواة بين الفلاحين والأعيان.. وقد توفي سلطان بمرض السرطان في ١٨ أغسطس ١٨٨٤م وكانت هدى في الخامسة من عمرها.

ووادة هدى تدعى إقبال عبدالله، وعندما توفي محمد سلطان كانت تبلغ من العمر خمسة وعشرين عاماً. وكانت الزوجة الثانية لمحمد سلطان، وأنجبت منه هدى وعمر، اللذين عاشا تحت وصاية على شعراوي ابن شقيقه محمد سلطان بعد وفاة الأخير، فاهتم على شعراوي بتعليمهما.

وقد تعلمت هدى اللغة العربية ليتسنى لها تلاوة القرآن الكريم دون أخطاء، حتى ختمت القرآن في سن التاسعة من عمرها، كما تعلمت اللغة التركية ليتسنى لها التحدث مع جدتها وأخوالها أثناء زيارتهم لوالدتها، كما أخذت عن والدها حبه للشعر، كما تأثرت بالسيدة عائشة المغربية التي كانت

تزورهم في الفكر والسلوك فاعتنقت هدى فكرة أن المرأة الفاضلة تستطيع مجالسة الرجال في مجالسهم دون خوف.

وقد تزوجت هدى عام ١٨٩٢م من ابن عمتها والوصي عليها وعلى أخيها عمر، على شعراوي ,وكانت تبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً، في حين كان على شعراوي يبلغ من العمر ثلاثة وأربعين عاماً، وعلى شعراوي ابن حسن أغا عمدة قرية المطاهرة اسمها حالياً قريتي بنى محمد شعراوي إحدى قرى مركز إبي قرقاص المنيا.

وقد حصل والده حسن شعراوي على لقب أغا بعد ما تزوج من أخت محمد سلطان.

وكان على شعراوي من الوطنيين الذين ساهموا في ثورة ١٩١٩م حيث كان ضمن إعضاء الوفد الذي ذهب لمقابلة المعتمد البريطاني مع سعد زغلول، وكانت هدى الزوجة الثانية لعلي، حيث كان متزوجاً من أخرى ومقيماً معها في المنيا وله منها ثلاث بنات وولد، هو حسن على شعراوي، ولم تكن هدى راضية عن زواجها بعلي شعراوي، لذلك كانت حياتهما غير مستقرة، ومن ثم حاولت أن تملأ فراغها بالاندماج في النشاطات النسائية مع سيدات المجتمع مثل شريفة زوجة رياض باشا، وزوجة رشدي باشا، والأميرة عين الحياة زوجة السلطان حسين كامل وصاحبة فكرة إنشاء مبرة محمد علي.

أنجبت هدى من زوجها على شعراوي بنتا هي بثينة وولدا هو محمد، وقد تأثرت هدى بوفاة والدتها في ١٠ أغسطس ١٩١٤م، وحاولت التخفيف من حزنها فاتجهت إلى العمل الاجتماعي فكانت فكرة تأسيس نادي يهدف إلى تنمية القدرات العقلية للسيدات وتنمية مواهبهن الفنية وشغل أوقات فراغهن بما يعود على الأسرة بالنفع، ومن أجل ذلك عقدت اجتماعاً بمنزلها حضرته أميرات البيت المالك، ولقى المشروع قبولاً لكنه توقف العمل به بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى.

دور هدى شعراوي في التنمية الاجتماعية والاقتصادية ساهمت هدى شعراوي في الكثير من مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية لعل أبرزها دورها في الدعوة لمقاطعة كل ما هو أجنبي، ودورها في إنشاء بنك مصر الدولي، لخلق اقتصاد مصري مستقل، ينقذ الثروة الوطنية من أيدي الأجانب، ويقدم الخدمات للمودعين المصريين، مثل استثمار أموالهم في أوجه الإصلاح، خاصة في المجال الزراعي الذي يعتبر الركيزة الأولى للتقدم الصناعي والتجاري.

وكان طلعت حرب صاحب فكرة إنشاء بنك مصر وكيلاً لدائرة عمر سلطان شقيق هدى. ومن هنا استفاد طلعت حرب من جهود هدى في تذليل الصعاب التي تواجه إنشاء البنك والتي تتضمن انفضاض من أصحاب الأموال من حول طلعت حرب لخوفهم من إيداع أموالهم في مصرف يديره مصريون لا خبرة لهم بالشئون المصرفية. وهكذا كان دور هدى متمثلا في الترويج لفكرة البنك وفي سحب أموال المصريين من البنوك الانجليزية، ومناشدة صديقاتها بالاكتتاب في أسهم بنك مصر، وتشجيعاً لهن اكتتبن هدى بحوالي ٢٥٠ سهماً، مما جعل طلعت حرب يعرض عليها أن تكون عضواً في مجلس إدارة البنك، ولكنها اعتذرت لأنها غير مؤهلة لإدارة الأعمال المصرفية.

وكان من المساهمين الرئيسيين في أسهم بنك مصر فؤاد سلطان ابن شقيقة هدى، الذي أصبح عضواً منتخباً في مجلس إدارة البنك من عام ١٩٢٠م حتى عام ١٩٤٠م، وعندما تعرض البنك لأزمة مالية أثناء الحرب العالمية الثانية باع فؤاد سلطان منزله الكائن بمدينة المنيا وسدد ديون البنك.

وعملت عدى على إحياء الجمعيات النسائية التي كانت قد بدأت العمل فيها قبل نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، وكان الدافع الأكبر الذي حفزها إلى هذا النشاط هو إحساسها العميق بعدم الرضا عن الأوضاع السائدة في المجتمع المصري بصفة عامة والمرأة المصرية بصفة خاصة،

فسعت لدى العديد من القيادات النسائية لتكوين جمعية نسائية مستقلة، تساهم في دعم نشاط المرأة في كافة الميادين، على أن تكون لدى هذه القيادات النسائية القدرة على ممارسة العمل التطوعي.

وقد لمست هدى شعراوي في كثير من القيادات النسائية القدرات المتمثلة في المثابرة في أداء العمل التطوعي، مما يمهد الطريق لنجاح مثل هذه الجمعيات، وذلك من خلال علاقاتها الوطيدة بعناصر نسائية قيادية وجدت لديها قدرات ظهرت من خلال نشاطهن في اللجنة المركزية للسيدات، مثل تميزهن بسعة الصدر، والقدرة على تحمل المتاعب الناتجة عن التعامل مع قطاعات وشرائح المجتمع المتباينة في اتجاهاتها وتقاليدها، وقدرتهن في التعامل مع العاملين بالحكومة فيما يتصل بأعمال الجمعيات.

وكان من الجمعيات التي أسهمت هدى شعراوي في إنشائها جمعية الرقي الأدبي للسيدات، واشتركت الأميرة أمينة حليم مع هدى شعراوي في تأسيس هذه الجمعية قبل الحرب العالمية الأولى، وكان هدف الجمعية ورسالتها إنشاء ناد تجد فيه الفتاة بعد تخرجها من المدرسة ما يكمل تعليمها، كما توفر لها الوسائل الترفيهية مثل الألعاب الرياضية، والموسيقى، مع تخصيص وقت تتلقى فيه الفتاة علوماً مكملة لما تدرسه في المدرسة مع العناية بالناحية العملية في التعليم وعلم الصحة والعناية بالأطفال والإدارة المنزلية إلى جانب إلقاء المحاضرات، وقد دعت هدى شعراوي الآنسة كليمان الفرنسية لإلقاء محاضرات للمرأة المصرية في هذه الجمعية.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عاد نشاط الجمعية كبيراً، وقد ساعد على ذلك نداء الصحف النسائية إلى هدى شعراوي باحياء هذه الجمعية خاصة، وأن الجمعيات التي قامت بعد الحرب لم تف بالغرض المنشود، وقد حاولت هدى توسيع خدمات هذه الجمعية في المجال الاجتماعي ليشمل الطبقات الشعبية ونشر الوعي الصحي بينهم، كما عملت على تشجيع الأشغال اليدوية، فكانت بمثابة ناد ثقافي ومشغل تجد فيه المرأة المعلومة والإرشاد.

كما كانت من الجمعيات التي أسهمت هدى شعراوي في تأسيسها جمعية المرأة الجديدة التي تأسست في ٢٢ أبريل عام ١٩٢٠م، حيث تركزت أهدافها في السعي في طريق الرقي بكافة السبل المشروعة، مع الاحتفاظ بالتعاليم الدينية والتقاليد القومية، والمساعدة في أعمال الخير بجميع جوانبه، كما اهتمت بتربية البنات الفقيرات، لذلك ألحق بها مشغل خيري، وقد انتشرت عدة جمعيات على نهج هذه الجمعية في مختلف المديريات مثل جمعية «فتاة مصر الفتاة» بالقاهرة، وجمعية «النسائيات المصريات» وجمعية الاتحاد الأخوي "ببورسعيد وجمعية" اتحاد ورقي المرأة في طنطا وجمعية اتحاد ورقي المرأة بالاسكندرية.

وقد أسندت إلى هدى شعراوي مهمة الإشراف على كافة الأنشطة بجمعية المرأة الجديدة، وقد ضمت هذه الجمعية عدداً كبيراً من الآنسات وربات البيوت ممن لديهن وقت فراغ كبير، ودفعتهن عوامل متعددة منها الغيرة على رقي المرأة وإعلان شأنها، والرحمة بالفقراء، والرغبة في تخفيف عنائهم، ولم تضم أهداف هذه الجمعية أية أهداف سياسية في نشاطها.

وقد تبرعت هدى شعراوي لهذه الجمعية بمبلغ ألف جنيه، خصص معظمه لشراء خيوط غزل وأنوال النسيج، كما تبرع زوجها على شعراوي بمبلغ ألف جنيه، في شهر فبراير عام ١٩٢١م مساهمة منه نفقات البناء، وذلك لتدريب الفتيات على أعمال النسيج والتريكو لمعاونتهن على رفع مستوى معيشتهن، وصيانة الأسر الفقيرة، وعلى هذا فقد عمدت الجمعية إلى إنشاء مدرسة للفتيات الفقيرات، لتعليمهن مبادئ العلوم الأولية والتطريز والخياطة والأشغال اليدوية بأنواعهان بحيث تضمن للعديد من الفتيات مصدراً للرزق، وحرفة تشغلهن بها وقت الفراغ.

وقد ذكرت هدى شعراوي في حفل الجمعية الذي أقيم في عام ١٩٣٥م أن المشغل أثبت نجاحه وكفاءته، حتى أن بعض خريجات مشغل الجمعية أسس ما يشبه مصانع خاصة بهن بعد تخرجهن منه، والبعض دخلن المصانع

والمدارس للعمل كمعلمات. وقد نص قانون الجمعية على إقامة الأسواق الخيرية لتسويق منتجاتها، على أن يستخدم دخل الأسواق في النهوض بأعمال الجمعية وتوسيع رفعة نشاطها ليشمل النواحي الرياضية.

وكان من إسهامات هدى شعراوي في إنشاء المؤسسات الخيرية لخدمة وتنمية المجتمع المصري إنشاء ما عرف باسم "الاتحاد النسائي" في مارس ١٩٢٣م بمدينة القاهرة بشارع القصر العيني، وهو عبارة عن مقر يشمل مدرسة وناد ومشغل تتعلم فيه الفتيات بشارع القصر العيني، وهو عبارة عن مقر يشمل مدرسة وناد ومشغل تتعلم فيه الفتيات حرفاً متعددة كالخياطة والتطريز وصناعة السجاد ونسيج الأقمشة، كما يتعلمن الاسعافات الأولية والتمريض، وكل ما يتصل بأمور الصحة العامة، إلى جانب تثقيف الفتيات وتعليمهن القراءة والكتابة، أما القسم الثاني من المقر فهو عبارة عن مستوصف المعالجة الأطفال والنساء الفقيرات. وكانت الأدوية تصرف مجاناً لغير القادرين على دفع ثمن العلاج.

وقد نص قانون الاتحاد النسائي على تعليم الطلاب الصحة العامة، والقانون والموسيقى، لتهذيب النفوس وزيادة الوعي، استكمال بناء الجامعة المصرية، وتشجيع حركة الترجمة لنقل نفائس الكتب، وتطوير الصناعة، ومحاربة المسكرات والمخدرات، كما طالب الاتحاد بحقوق المرأة المهضومة، والسعي لحل المشاكل الأسرية التي تضمن للمرأة حريتها وإنسانيتها، ووضع قانون يمنع تعدد الزوجات، وجعل الطلاق أمام القاضي، وإلزام المطلق بالنفقة، وزيادة سن الحضانة للأطفال، كما طلب بوضع سن لزواج الفتاة والفتى.

وعلى الصعيد السياسي، طالب الاتحاد النسائي باستقلال مصر والسودان، وحياد قناة السويس وفقاً للمعاهدات الدولية، وإسقاط أية قيود مفروضة على مصر خاصة اتفاقية الحكم الثنائي لعام ١٨٩٩م، وتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م، ورفض ما ورد في معاهدة لوزان عام ١٩٢٣م، ومن تحمل مصر جزء من ديون تركيا، وإلغاء الامتيازات الأجنبية بين مصر والدول صاحبة

الامتياز، وتعديل الدستور بادخال تغييرات عليه، أهمها تحقيق الديموقراطية السياسية، ومنح المرأة حق الانتخاب، وإلغاء القوانين الاستثنائية، ومراجعة التعديلات التي أدخلت على قانون العقوبات، وتقييد تعيينات الموظفين الأجانب، وتحسين حال الجيش نظراً لأهميته كوسيلة للدفاع عن البلاد، وتطوير كافة وسائل المواصلات.

وقد شاركت هدى شعراوي في كثير من المؤتمرات الدولية، مثل المؤتمر النسائي الذي عقد بمدينة روما بإيطاليا عام ١٩٢٣م، حيث أصبح الاتحاد النسائي المصري عضواً في الاتحاد النسائي الدولي، ومؤتمر "جزائر" بالنمسا عام ١٩٢٤م، والمؤتمر النسائي العاشر في باريس الذي عقد في ٣٠ مايو عام ١٩٢٦م، ومؤتمر أمستردام الذي عقد في ١٢ نوفمبر عام ١٩٢٧م، ومؤتمر برلين بألمانيا عام ١٩٢٩م، ومؤتمر مرسيليا بفرنسا الذي عقد عام ١٩٣٣م، والمؤتمر الذي عقد في استانبول عام ١٩٣٥م.

كما اهتمت هدى شعراوي بقضايا الأحوال الشخصية للمرأة بتعديل العلاقة بين الزوجين وجعلها طبقاً للشريعة الإسلامية، كما طالبت بوضع حد لتعدد الزوجات إلا في حالات نادرة، مثل العقم أو المرض، وبعد التأكد من ذلك من طبيب مختص، لما في ذلك من إهانة للمرأة وتفرقة للأطفال، ويعد تعدد الزوجات مناخاً خصباً للحقد والمنافسة، ومظهراً من مظاهر التخلف الاقتصادي.

كما اهتمت هدى شعراوي بالناحية الصحية اهتماماً بالغاً خاصة بعدما اجتاحت مصر -بعد الحرب العالمية الثانية- أنواع خطيرة من الأوبئة على أثر رجوع الجيش المتحاربة إلى بلادها عبر الأراضي المصرية، فقد حملت هذه الجيوش أمراضاً انتشرت في جميع أنحاء البلادن قضت على الآلاف من الأرواح، من هذه الأمراض: التيفود والكوليرا، وقد شاركت النساء بدور فعال في مكافحة هذا الأمراض، حيث أقمن في مخيمات شهوراً كاملة لعلاج المرضى وحماية الأصحاء في الوجهين البحري والقبلي.

وعندما انتشر وباء الكوليرا، أنشأت هدى شعراوي إسعافاً وسط القبور وسافرت بنفسها إلى زاوية سلطان بمديرية المنيا، وعندما طلب منا تأجيل سفرها حتى تخف حدة الوباء، قالت وما الفائدة من سفري بعد أن تخف وطأة الوباء، إنني أريد أن أقف على تطعيمهم بنفسين هؤلاء أهلي وعشيرتي.
وعندما لاحظت هدى كثرة عدد الوفيات من النساء بعد الولادة أنشأت مستوصفاً للولادة ورعاية الطفل، واشترت الأدوية الطبية والأثاث اللازم، كما أرادت إنشاء حمامات للسيدات وأخرى للرجال ليستخدموها في قضاء حاجاتهم بدلاً من استخدام الترع.
وقد أدركت ما يترتب علي تلوث البيئة من انتشار للأمراض، ففكرت في إنشاء مصنع للصابون في المنيا يختص بانتاج الصابون وتوزيعه على أهالي القرى، كما اهتمت بادخال ماكينة للكهرباء لإنارة قريتها "زاوية سلطان" وشاركت مع أعضاء الاتحاد النسائي في تعميم المياه المرشحة الصالحة للشرب في القرى، وبلغت قيمة ما تبرعت به ١٢٠٠ جنيه، وذلك للنهوض بحالة الفلاحين الصحية، ولتوفير بعض أسباب الراحة المحروم منها الفلاح المصري الذي هو عماد الثروة الاقتصادية.
كما اهتمت هدى شعراوي بتنظيم الإحسان للفقراء، حيث عاشت منذ طفولتها في بيت يهتم بالفقراء، حتى وصفت بأنها اليد الكريمة التي تعطي دون أن تمن، إذا أولت الفقراء رعاية خاصة حيث كانت تستضيفهم لحين إيجاد عمل لهم، ولذلك خصصت جزءا من منزلها لمن لا مأوى له، وخصصت جزءاً من إيرادها معاشاً لغير القادرين على العمل من كبار السن والمرضى.
كما عارضت تحديد النسل، ونادت بتنظيم النسل عن طريق العناية بالشعب والنهضة الاجتماعية، والعناية بالوالدين لتنشئة نسل صالح، وإعانتهم على حسن القيام بترتيبهم، وأن يخضع تنظيم النسل لتشريع يحدد الأفراد الذين يجب عليهم تحديدهم النسل كالمرضى والعجزة وضعاف العقول. ومن ثم حرم ولاة الأمور الزواج من النساء الضعيفات، وكذلك الرجال الضعفاء، إذ

يكونون سبباً في خلق ذرية ضعيفة لا تقوى على معترك الحياة، ولم يعتبر هذا قيداً في طريق الزواج، فإن المسألة مسألة أمة بأكملها، وليست مسألة فرد، بل يجب أن يكون مستقبلها جديراً بأن يحاط بسياج متين.

وعندما علمت هدى شعراوي بارتفاع مهور الزواج في فلسطين، وأن ذلك يؤثر على إقبال الشباب الفلسطيني على الزواج، وأن ذلك سيؤثر على الشعب الفلسطيني وبقائه أمام تكاثر اليهود المقيمين في فلسطين، مما يشكل نكبة للشعب الفلسطيني وللأمة العربية، نادت بضرورة العمل على تخفيض المهور وعدم المغالاة فيها، وتشجيع الشباب الفلسطيني على الزواج بمهور معقولة، وضربت بنفسها المثل حيث زوجت ابنة خالها واسمها "حورية" بمهر قدره خمسة وعشرون قرشاً فقط.

وبفضل مركز هدى شعراوي المالي والأدبي والاجتماعي والسياسي، وبفضل نشاطها كعضو عامل في الهيئة الاجتماعية ولأن لديها متسع من الوقت، اشتركت في الجمعيات النسائية التي هدفت إلى خدمة المواطنين، وكان التعليم أحد المجالات التي اهتمت بها لتجاوز سياسة الاحتلال البريطاني التي عملت على الحد من التعليم وجعله بمصروفات. ومن ثم شارك الاتحاد النسائي وعلى رأسه هدى شعراوي في الدعوة للقضاء على الجهل وزيادة فرص التعليم.

وتركزت جهود هدى شعراوي في المناداة بتعليم المرأة نظراً لأهمية التعليم، لا للتكافأ مع الرجل في ميدان العمل، بل لتعد نفسها لوظيفة أرقى وأسمى من ذلك وهي وظيفة الأمومة، فالمنزل مجال فسيح لإظهار النبوغ والعبقرية، وهو معمل لإنتاج فتيات صالحات، وفتيان صالحين للحياة يسمون مجتمعهم، لذلك يجب على الأم أن تكون على قدر من العلم والثقافة. وقد أدركت هدى أهمية التعليم بالنسبة لكل المصريين عامة، والمصريات بصفة خاصة، حيث كن محرومات من التعليم، فطالبت بالمساواة في التعليم الثانوي والعالي بين المرأة والرجل، في كل مديرية ومركز، وفصل إدارة تعليم البنات عن تعليم

البنين، وأن تحل الخبيرات بشئون التعليم محل الرجال في كل فروع التعليم النسائي.

وصل اهتمام هدى شعراوي بالتعليم في كل القطر المصري ليشمل قريتها "زاوية سلطان" حيث أنشأت بها مدرسة في وقت ندر فيه وجود مدارس في قرى الصعيد، وعندما رآت الحكومة الإقبال على مدرسة زاوية سلطان أنشأت مدرستين للفنون الطرزية واحدة بأسيوط، والأخرى بالأقصر، ومدرسة للثقافة النسوية في بني سويف، ومدرسة ابتدائية بمدينة ملوى، وقد تم تخصيص هذه المدرسة لتعليم البنات.

وأثمرت جهود هدى في مجال التعليم عن فتح مجال جديد للتعليم العالي أمام الفتيات، حيث التحقت بالجامعة المصرية عام ١٩٢٩م ست طالبات بكليات الآداب والحقوق والطب، وفي عام ١٩٣٣م، احتفل الاتحاد النسائي بتخريج أول دفعة من الفتيات من الجامعة، وهن: سهير القلماوي، فاطمة خليل، نعيمة الأيوبي، فاطمة سالم، فضيلة عارف، منيرة ثابت، ودعيت معهن أول طبيبة وهي خديجة حفنى ناصف، وأول طيارة وهي لطيفة النادي، ومنذ ذلك الحين أخذ عدد الطالبات المقبلات على دخول الجامعة يزداد بصورة ملحوظة.

وبسبب نشأة هدى شعراوي في قصر والدها ذي الطراز المعماري والفني الرائع، فقد تأصل شغفها بالفن منذ نعومة أظافرها، وبعد أن نضجت اهتمت به وشجعته بشتى الطرق المادية والمعنوية، ومن هنا تفكيرها في إنشاء مصنع للخزف لتدعيم حبها للفن، وإيمانا منها بتشجيع الانتاج المحلي الذي يؤدي إلى الاستقلال الاقتصادي الذي يعد خطوة نحو الاستقلال السياسي، وتم إنشاء المصنع في ١٩٢٥م من مالها الخاص إحياء لهذه الصناعة.

لذا جمعت هدى شعراوي الحرفيين الذين توارثوا هذه الصناعة، واهتمت بهم اهتماماً بالغاً حيث أرسلت مجموعة من الشباب في بعثة تعليمية إلى

مصانع «سيفر» بفرنسا على نفقتها الخاصة، واستمرت البعثة لمدة ثلاث سنوات، وبلغت منتجات هذا المصنع أعلى مستوى، وذاع صيته في مصر والعالم، وعرضت منتجاته في المعارض المصرية والعالمية، التي كانت وسيلة جيدة للدعاية للمنتجات المصرية.

وقد عرض إنتاج المصنع بمتحف الفن بشارع قصر النيل، وضم حجرة كاملة باسم هدى شعراوي تغطى حوائطها بالبلاط القيشاني من إنتاج المصنع، إلى جانب عدد من الأواني الخزفية، وقد استخدمت هدى شعراوي منتجات مصنع الخزف في بناء مقبرتها الكائنة بمدافن المنيا.

وقد أنشأت هدى شعراوي مشغلاً بالمنيا للاستفادة من التراث المحلي، وأنشئ هذا المشغل في المضيفة بزاوية سلطان شرق النيل على قطعة أرض تتبع ممتلكات سلطان باشا الموقوفة للصالح العام، فعندما امتد العمران إلى المنطقة، أصبحت هذا المباني ذات قيمة، رأت هدى أن تحلها من الوقف للاستفادة منها في عمل مشروع يخدم أهل القرية، وبالفعل استطاعت أن تعيد ترميم المباني ثم حولتها إلى مشغلين أحدهما للبنين والآخر للبنات.

كما اهتمت هدى شعراوي بدراسة ما تنتجه مديرية المنيا من مشغولات يدوية قائمة على استخدام خامات البيئة المتوفرة بها ليكون تسويقها ميسراً محلياً في نطاق المنيا وما حولها، ولم يكن هذا المشغل يتبع أنشطة الاتحاد النسائي، بل كانت تنفق عليه هدى شعراوي من مالها الخاص، اقتناعاً منها بضرورة إنشاء هذا المشغل لتشجيع الفتيات والفتيان على إحياء الحرف الشعبية، ولتكون مصدراً للكسب لمن تخلفوا عن التعليم وإعدادهم للعمل الصالح.

ولم يقتصر مشغل هدى شعراوي في المنيا على تعليم الحرف البيئية، بل امتد نشاطه إلى تعليم مبادئ القراءة والكتابة لكل من مشغلي البنين والبنات، أما الحرف فكان كل مشغل حسب اختصاصه، فاختص مشغل الفتيات بدراسة الحياكة والسجاد، أما مشغل البنين فقد استخدم فيه جريد النخيل والليف لعمل مطالع النخيل، كذلك اختص المشغل بأعمال التجارة إلى جانب

عمل السجاد والكليم.
وكانت مدة الدراسة بهذا المشغل أربع سنوات يتعلم فيها الفتى والفتاة القراءة والكتابة واللغة الفرنسية، إلى جانب مادة إمساك الدفاتر والحسابات لمعرفة قيمة الخامات وحساب التكاليف والربح، وقد اختلفت مواد الدراسة في مشاغل هدى شعراوي كل حسب البيئة المحيطة به، وقد استعانت هدى بالحرفيين والحرفيات للتدريس في هذه المشاغل وانتدبت معلمة مشغل القاهرة لتدريس عمل الكليم في مشاغل المنيا، وتشجيعاً للدارسين للإقبال على المشغل، منحت لهم مصروفات يومياً من مالها الخاص، ويرجع تاريخ إنشاء هذا المشغل إلى ما قبل بداية الحرب العالمية الثانية بأكثر من عام، ولا يتبع الاتحاد النسائي، وكل نفقاته من مال هدى الخاص.
وبالنسبة لبرامج الدراسة في مشاغل هدى شعراوي كانت أعم وأشمل من المشاغل التابعة لوزارة الشئون الاجتماعية، وسارت على منوالها العديد من المشاغل الحكومية، وبذلك عملت هدى شعراوي على القضاء على البطالة والاستفادة من الأيدي العاملة لتنمية المجتمع لمعرفتها للنتائج المترتبة على البطالة من تشرد وانخراط في الإجرام.
ولقد ظهر تأثير مشغل هدى شعراوي في المنيا على البيئة، حيث خلق فيها حرفيين وتجاراً بدلاً من البطالة التي كانت مسيطرة على القرى هذا إلى جانب الاستفادة من الخامات المحلية، وإحياء الحرف التي أوشكت على اندثارمن البيئة، الأمر الذي ينبغي معه الحفاظ على عنصر الاستمرار أمام الحياة الحديثة التي تهدد الموروث من العادات والحرف، وحاولت بث هذه الروح في نفوس فتيات المشغل.
وقد اهتمت هدى بالنابهين الذين طرقوا أبوابها في شتى المجالات، منهم المثال عبدالبديع عبد الحي المثال الذي تقابل معها أثناء زيارتها للمنيا، ورأت فيه مؤهلات المثال، فطلبت منه أن يصحبها ليعمل عندها، فألحقته بالقسم الخزفي بمدرسة الفنون الجميلة العليا، واشترك في مسابقات مختار، وكان

قد حصل على جوائز أكثر من مرة، فقد أصقلت هدى موهبته بالدراسة، وفكرت هدى في إنشاء مدرسة للفنون الجميلة بالمنيا، كما اهتمت هدى بالصحفي أحمد الصاوي صاحب عمود "ما قل ودل" بجريدة الأخبار، وقد بعثته إلى فرنسا ليدرس في جامعة السربون على نفقتها الخاصة، كا طالبت هدى بإدخال الموسيقى ضمن مواد الدراسة كمادة أساسية نظراً لحبها للموسيقى.

وقد أسست هدى شعراوي جريدة L'Egyptien باللغة الفرنسية وذلك في أوائل عام ١٩٢٥م بهدف تنوير الرأي العام الأوروبي وإمداده بصورة حقيقية غير مشوهةعن المرأة المصرية مغايرة لتلك الصورة التي نقلها كتاب ليسوا على دراية بحقائق الأمور في الشرق، وقد لوحظ تحول ملموس في اتجاهات الرأي العام الأوروبي بعد صدورها، وأسندت هدى رئاسة تحرير هذه المجلة إلى «سيزا نبراوي» نظراً لما تتمتع به من ثقافة غربية وخاصة الثقافة الفرنسية، وقد تبرعت هدى للمجلة بدعم مالي وصل إلى ألف جنيه، وقد أصدرت هدى نفس الجريدة باللغة العربية عام ١٩٣٧م. ورأست تحريرها نعمت راشد ثم هدى شعراوي.

وفي صباح ١٢ ديسمبر ١٩٤٧م فاجأت هدى شعراوي أزمة قلبية حادة، وفاضت روحها، وكان عمرها ٦٨عاماً. في منزلها بالقاهرة، ثم نقل جثمانها إلى المنيا في قطار خاص لتدفن في المقبرة التي أعدتها قبل عام من وفاتها، وقد اهتمت باتمام بنائها على الطراز العربي، وعندما وصل الجثمان إلى محطة المنيا، شيعت الجنازة بالمدينة حتى وصلت شاطئ النيل، نقل الجثمان إلى زاوية سلطان شرق النيل حيث دفنت في مقابر العائلة، وعلى إثر ذلك أقيم العزاء لمدة أربعين يوماً بسراى سلطان باشا بالمنيا، ونحرت الذبائح ووزعت على الفقراء.

وهكذا كانت رحلة هدى شعراوي كإحدى نساء الصعيد التي بذلت الكثير من أجل رفع شأن المرأة في القطر المصري، بل والعمل على تنمية المجتمع تنمية

شاملة تعليمياً ومهنياً فتيات وفتيان، وهي رحلة طالت وامتلأت بالنشاط وفي القاهرة، بل وفي خارج مصر أيضاً بما أكد دور المراة المصرية في خدمة المجتمع.

مصادر الدراسة

١- مجموعة خطب في ذكرى فقيدة العروبة هدى شعراوي، دار الفن للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٤٨م.

٢- محمد السوادى: أقطاب مصر بين ثورتين، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٧٦م.

٣- قليني فهمي: مذكرات قليني فهمي، المنيا، ١٩٤٧م.

٤- أمينة السعيد: مذكرات رائدة المرأة العربية الحديثة، سلسلة كتب الهلال، القاهرة، ١٩٨١م.

٥- مجلة المصور، العدد ١٢١٧، سنة ١٩٤٨م.

٦- نجيبة عبد الحميد: دليل العمل مع الجمعيات النسائية، القاهرة، ١٩٧٦م.

٧- هيئة الاستعلامات: هدى شعراوي رائدة الحركة النسائية قبل الثورة، القاهرة، ١٩٧٩م.

٨- جمعية الرقي الأزلى: مجلة المرأة الجديدة، العدد السادس السنة الأولى يونيو ١٩٢٠م.

٩- أمال السبكى: الحركة النسائية الحديثة فيما بين الثورتين ١٩١٩-١٩٥٢م، القاهرة، ١٩٨٦م.

١٠- عبدالفتاح عبادة: نهضة المرأة المصرية، المرأة العربية في التاريخ، القاهرة، ١٩١٩م.

١١- جميلة عطية، مقال بعنوان هدى شعراوي أين عرفتها، مجلة روزاليف العدد ١٠١٩ آخر ديسمبر ١٩٤٧م.

١٢- ملف هدى شعراوي رقم ١٦٩٢ جريدة الأهرام عام ١٩٢٧م.

١٣- محمد طه محمد: المرأة المصرية بين الماضي والحاضر، القاهرة ١٩٧٩م.

١٤- نبيل راغب: هدى شعراوي وعصر التنوير، القاهرة، ١٩٨٨م.

١٥- إنجى أفلاطون: نحن النساء المصريات، القاهرة، ١٩٤٩م.

١٦- هيئة الاستعلامات: الذكرى المئوية لهدى شعراوي ١٨٧٩-١٩٧٩م، القاهرة، ١٩٧٩م.

١٧- مارى كوريللي وآخرون تعريب محمود عبدالعزيز الصدر: المرأة والسياسة، القاهرة.

١٨- هدى شعراوي: مقال بعنوان في موضع المرأة وتنظيم النسل، مجلة الاثنين الأعداد ٢٥٥ و٢٦٣، ١٩٣٩م.

١٩- لطيف محمد سالم: المرأة المصرية والتغير الاجتماعي، القاهرة، ١٩٨٤م.

٢٠- فؤاد باسيلي: المرأة النموذجية، القاهرة، ١٩٦٤م.

٢١- مجلة الاثنين: العدد ٤٧٩، أغسطس ١٩٤٣م.

٢٢- إجلال خليفة: الحركة النسائية الحديثة، القاهرة.

٢٣- وداد عبدالحليم جاد: الأثر التعليمي لمشغل هدى شعراوي ودوره في خلق حرف نسوية شعبية وتوظيفها لأغراض فنية لترشيد تعليم الكبار، رسالة دكتوراه، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ١٩٨١م.

الهوامش:

مجموعة خطب في ذكرى فقيدة العروبة هدى شعراوي، دار الفن والطباعة والنشر، القاهرة ١٩٤٨ ص,٥

محمد السوادي: أقطاب مصر بين ثورتين، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة ١٩٧٦ ص,٣٣

قليني فهمي: مذكرات قليني فهمي جـ١ مطبعة صادق بالمنيا ١٩٤٧ ص٦٨.

نفس المرجع ص٣٧-٧٤.

مجلة المصور العدد ١٢١٧ سنة ١٩٤٨، وعائشة المغربية، هي مغربية الأصل وحضرت مجالس الرجال، وكانت أول سيدة تظهر سافرة الوجه.

محمد السوادى: المرجع السابق، ص ٣٣.

أمينة السعيد: مذكرات رائدة المرأة العربية الحديثة، سلسلة كتب الهلال، القاهرة ١٩٨١م ص١٣١- ١٥٢.

محمد السوادى: أقطاب مصر بين ثورتين، مرجع سابق، ص ٤٣.

مجموعة خطب في ذكرى هدى شعراوي، مرجع سابق، ص ٣٨-, ٣٩

محمد السوادى: المرجع السابق، ص ٥٦.

نجيبة عبدالحميد: دليل العمل مع الجمعيات النسائية، القاهرة ١٩٧٦م، ص ١٨.

هيئة الاستعلامات: هدى شعراوي رائدة الحركة النسائية قبل الثورة، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٢٠.

جمعية الرقي الأزلى، مقال بمجلة المرأة الجديدة العدد السادس السنة الأولى، يونية ١٩٢٠م، ص٢٠٥.

د.أمال السبكي: الحركة النسائية الحديثة فيما بين الثورتين، ص١٠٣.

عبد الفتاح عبادة: نهضة المرأة المصرية، المرأة العربية في التاريخ، القاهرة ٩١٩، ص٣٨-٣٩.

جميلة عطية: مقال بعنوان هدى شعراوي أين عرفتها، روز اليوسف، العدد ١٠١٩ آخر ديسمبر ١٩٤٧م.

ملف هدى شعراوي، رقم ١٦٩٢، جريدة الأهرام عام , ١٩٢٧

محمد طه محمد: المرأة المصرية بين الماضي والحاضر، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٥٨.

أمال السبكى: المرجع السابق، ص١٠٥.

نفس المرجع: ص١٠٦.

نبيل راغب: هدى شعراوي وعصر التنوير، ص١٣١.

إنجي أفلاطون: نحن النساء المصريات، ص ٧٠.

محمد طه محمد: المرجع السابق، ص ٦٠.

صحيفة الأهرام عدد ٢٢٤٤٨ السنة ٧٣ ديسمبر ١٩٤٧م.

ذكرى فقيدة العروبة: مجموعة الخطب والقصائد التي ألقيت في حفل تأبين هدى شعراوي بدار الاتحاد النسائي المصري، القاهرة ص١٢٩.

الذكرى المئوية لهدى شعراوي ١٨٧٩-١٩٧٩م، هيئة الاستعلامات، القاهرة ١٩٧٩، ص٢١.

ماري كوريللي وآخرون تعريب محمود عبدالعزيز الصدر: المرأة والسياسية، مطبعة الرحمانية، القاهرة، ص٢٠.

هدى شعراوي: مقال بعنوان في موضع المرأة وتنظيم النسل، مجلة الاثنين العدد ٢٥٥ والعدد ٢٦٣، مايو ويوليو ١٩٣٩م.

د.لطيفة محمد سالم: المرأة المصرية والتغير الاجتماعي، القاهرة، ١٩٤٨م، ص٤.

أمينة السعيد: مذكرات رائدة المرأة العربية هدى شعراوي، دار الهلال، القاهرة، ١٩٨١م ص٣٣١.

مجلة الاثنين، العدد ٤٧٩، أغسطس ١٩٤٣م.

إجلال خليفة: الحركة النسائية الحديثة، القاهرة، ص١٢١.

وداد عبدالحليم جاد: الأثر التعليمي لمشغل هدى شعراوي ودوره في خلق حرف نسوية شعبية وتوظفيها لأغراض فنية لترشيد تعليم الكبار، جامعة حلوان، ١٩٨١م ص١٧.

نفس المرجع والصفحة.

نفس المرجع ص١٨، ومجلة المصور العدد ١٤١٠، ١٨ ديسمبر ١٩٤٧م.

وداد عبد الحليم جاد: المرجع السابق، ص١٤٠.

نفس المرجع: ص١٨٤.

محمد السوادي: المرجع السابق: ص٤٠.

لطيفة محمد سالم: المرجع السابق، ص, ٦٣

شكر وتقدير

د. محمد السيد قنديل

رئيس مجلس إدارة مركز بحوث آسيا الزقازيق

إلى أستاذي العزيز/ رأفت غنيمي الشيخ

عميد كلية أداب الزقازيق الأسبق، مؤسس وعميد معهد الدراسات والبحوث الأسيوية الأسبق . ورئيس جمعية خريجي معهد الدراسات والبحوث الأسيوية

عرفاناً منا بجهد سيادته المشكور حيث شرفت بتدريسه لي أثناء دراستي في تهميدي الماجستير ثم إشرافه على في رسالة الماجستير وكان عطاؤه متواصلاً حتى حصولي على درجة الدكتوراه عام ٢٠٠١م ولا يزال سيادته بحراً زاخراً يتدفق بكل خير وحب لي ولغيري من تلامذته حيث يشملهم برعايته إشرافاً وتوجيهاً ويفيض عليهم بالعلم الغزير ومصادره الوفيرة فضلاً عن جهده المتواصل في المحافل العلمية داخلياً وخارجياً حيث عم سيادته الطلاب من خارج مصر بكامل رعايته وتوجيهه لهم.

وكتابات أستاذنا الدكتور/ ورسائله وأبحاثه لا تزال معيناً لا ينضب من حيث كثرتها وتنوعها وشمولها.

وإني أسأل الله الكريم أن يبارك في عمره وفي علمه وأن ينفعه به وبهذه المناسبة أتقدم بتعريف عن النورسية في خطوطها الفكرية الرئيسية.

تعريف بالنورسية في خطوطها الفكرية الرئيسية: دكتور محمد السيد قنديل النورسيون هم أتباع سعيد النورسي، والنورسية حركة سلمية منذ نشأتها وهي عبارة عن أستاذ وطلبة، ارتضعوا بفكر النورسي كمنهج حياة، ولقد أسهمت إقامة النورسي مع والي بتليس في إثراء تكوينه العلمي فاطلع على أصناف من العلوم، واطلع عى أمهات الكتب في علم الحديث، وعلم الكلام،

والمنطق والنحو والتفسير والحديث.. فحفظ الكثير منها، كما كانت الصحف الصادرة من استنابول مصدراً آخر لمعلوماته حتى حين.

وفي ماردين ١٨٩٢ نشط في إلقاء الدروس بجامع المدينة والإجابة عن أسئلة قاصديه حتى ذاع صيته. وفي عام ١٩٠٧م أقام في خان الشكرجي في منطقة فاتح حيث كان ملتقى كثير من المفكرين والأدباء.. أمثال الشاعر المشهور محمد عاكف.

لقد أدرك النورسي بأن الإصلاح التعليمي والسياسي هما أساس اي نهضة.. فطالب بفتح مدارس للعلوم الرياضية والفيزياء.. بجانب المدارس الدينية، ولاسيما في كردستان حيث يسود الجهل والفقر، وفكرة هذه المدرسة هي مزج العلوم الدينية بالعلوم الحديثة التي خلت من أي مظهر من مظاهر الدين.

وكانت هذه الفكرة كرد فعل على وجود المدارس والمعاهد العلمية والثقافية العربية في عقر ديار الإسلام والتي تقف في نفوس أبنائه الشك والالحاد، وقد احتوت هذه المدارس على أبناء الطبقة العليا وحدها، ومن لم يتم نضجه في هذه المعاهد فإن في البعثات المتلاحقة ما يكفل لهم التمام.

ومن التجربة أن هذه الطبقة عندما تتولى مقاليد الأمور يظهر أثرها واضحاً في الناحية الاقتصادية حيث يظهر الإسراف.

كان جل اهتمامه -النورسي- للتربية، وتكوين أفراد الصف، ونشر رسائل النور فقام بمعية طلابه بطبع الآلف النسخ منها على جهاز السحب الرونيو وتوزيعها على أنحاء البلاد.

وتنقسم حياة النورسي الدعوية والفكرية إلى المراحل الثلاثة التالية:

المرحلة الأولى: من عام ١٨٧٣-١٩٢٦م وهي مرحلة النشأة والتعليم والتربية والتكوين.

المرحلة الثانية: ١٩٢٦-١٩٥٠م وهي مرحلة المجاهدة وفيها ظهرت رسائل النور إلى الوجود لأول مرة.

المرحلة الثالثة: ١٩٥٠-١٩٦٠م وهي مرحلة الانتشار لرسائل النور والدعوة إليها.

ولم يربط النورسي الدعوة إلى الله تعالى بشخصه حتى لا تنحصر فيه بل كانت دعوته عامة.. لذا حاول أن يبث في الجماهير أنذاك روح العلم، واهتم بأسباب المشاكل الاقتصادية، وعوامل الفقر والحاجة، وبحث عن حلول لأسباب فرقة الأمة، وعن علاج لخلافاتها، وأكد دائماً على ضرورة الوحدة والاتفاق.. وكان يرى أن منبع جميع الشرور والسيئات أنذاك -كما هو الحال الآن- هو الجهل والفقر، والتشتت والاختلاف.. لذا صرف النورسي عمره في محاربة هذه الجرثومة القاتلة.. إذ رأى أنه ما لم تجهز الجماهير والعلم، والمعرفة وما لم يتعود المجتمع على التفكير المنظم، وما لم تجابه تيارات الأفكار المنحرفة، فمن العبث الأمل في خلاص هذه الأمة.

كما دعا النورسي إلى طبع الكتب ونشرها وغلى القراءة والمطالعة، والتفكر وإلى السعي والحركة.. فأكد على التعليم الذي رأه ضرورة لرفعة الوطن والمواطن.

ولقد جمع النورسي بين الشريعة والحقيقة، وكان لا يقنع ولا يكتفي بالحركة القلبية وحدها ?كأكثر أهل الطريقة- بل جهد كل الجهد أولاً لإنقاذ عقله وفكره من بعض الأسقام التي أورثتها إياه مداومة النظر في كتب الفلاسفة.

ورسائل النور أثر من أثار النورسي، وضع فيها جل فكره، فكانت منهجاً وطريقاً لطلاب النور ومن على شاكلتهم.. ولم يعارض النورسي تصويب أي فكرة من أفكاره إن كانت مؤيدة بالكتاب والسنة، لأنه كان ينظر إلى نفسه، وإلى طلابه أنهم خدام للحقيقة القرآنية وحدها.

ويمكن استعراض الخطوط الفكرية الرئيسية عند النورسي في النقاط التالية:

أولاً: خدمة الدين والسياسة:

كانت هذه هي البداية الحقيقية للنورسين إلا أنه عدل عنها بتأليفه لرسائل

النور، التي تخص في المقام الأول أمور الأخرة والإيمان معاً.

إذ كان يخاطب أهل السياسة والحكومة، بعدم الإنشغال به وبطلابه بناء على الظنون والأوهام، بل عليهم أن يذللوا المصاعب لهم.. لأن خدمتهم تؤسس الأمن والاحترام والرحمة، فتسعى لإنقاذ النظام والأمن والحياة الاجتماعية من الفوضى والإرهاب.. والمتتبع لحياة النورسي يجد أنه لم يتخل عن السياسة كلية، بل نجده بين الحين والحين يخاطب كبار رجال الدولة بتقديم النصح والإرشاد لهم، كما أنه كان يقدم لهم الفكر السياسي مع عدم دخوله معترك الحياة السياسية برمتها ولم يؤلف حزباً سياسياً، كما لم يعلن عن أية نشاطات سياسية كانت ويظهر ذلك من خلال استعراض النقاط التالية:

١-حاول النورسي صد التيار المعادي للإسلام بالصراع في تيار السياسة، فنراه ينصح السلطان عبد الحميد الثاني تارة، وتارة أخرى يكتب المقالات السياسية العنيفة في جريدة ولقان أي البركان.

ب- محاولته التأثير في رجال الاتحاد والترقي لدفعهم إلى الجانب الإسلامي.

ت- لقد أشار النورسي على طلابه، ومؤيديه بأن يقفوا بجانب الحزب الديمقراطي الذي أسسه عدنان مندريس سنة ١٩٤٦م. ولقد قال قولته المشهورة: إننا نؤيد الحزب الديمقراطي لأنه أهون الشرين، مشيراً بذلك إلى حزب الشعب الذي كان يتزعمه في ذلك الوقت عصمت اينينو.

ث- بعد عام ١٩٥٠م وجه النورسي رسائل إلى المسؤلين. والمطلع على سائل النورسي يرى فيها فكراً سياساً بالغ الوضوح خاصة في كتابه المسمى بـ ملحق قسطموني وكتابه المسمى بـــ ملحق أمير داغ ورسالتي المناظرات، المسنوحات، والنورسي لم يدع السياسة لأنه يعتقد أنها ليست جزءاً من الإسلام، ولكنه تركها لعدم جدواها وسلة للإصلاح في ذلك الوقت -من وجهة نظره -.

ولم يدر في خلد النورسي في يوم من الأيام السيطرة على النظام السياسي

مطلقاً، ولا الاشتراك فيه، وإنما الهدف، والغاية تركزت في تكوين اتجاه إسلامي عام.

ثانياً: الدولة.. الحاكم:

لقد حكمت الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون متتالية ٦٩٩هـ - ١٣٠٠هـ بعد أن أسسها عثمان بن أرطغول عام ٦٩٩هـ - ١٣٠٠هـ ، وظهر منها ملوك يفخر بهم الإسلام، في مقدمتهم السلطان محمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية، وبايزيد الذي فتح هنغاريا والنمسا حتى وصلت جيوشه إلى عاصمة النمسا فيينا فدخلت تحت حكمه، هنغاريا ورومانيا وبلغاريا واليونان والبوسنة والهرسك والجبل الأسود، وجزيرة كريت، وألبانيا فضلاً عن الحجاز والشام والعراق ومصر وبلاد المغرب.

والسؤال الذي يرد إلى الذهن، هو: لماذا انحسر المد الإسلامي؟ ولماذا توقف رقي المسلمين؟

يرى النورسي أن أهم سبب في ذلك، هو: تباين الأفكار واختلاف المشارب والآراء بين أهل المدارس الدينية، والزوايا، وأبناء المدرسة الحديثة.. فأهل المدرسة الدينية يتهمون أهل المدرسة الحديثة بضعف العقيدة، والتأويل، بينما ينظر أبناء المدرسة الحديثة إلى أبناء المدرسة الدينية، فيرونهم جامدين وغير موثوق بهم لعدم إقبالهم على العلوم الحديثة.

مع أن النظريات السياسية في الإسلام تقوم على القول بأن الحكومة الإسلامية وجدت بمقتضى عقد مقدس قائم على الشريعة. ومن هنا فإن أحداً لم يتساءل لماذا وجدت الدولة. فالدين لم يكن منفصلاً عن السياسة، كما أن السياسة لم تكن منفصلة عن الأخلاق.

والسياسة تصبح شرعية بشرط مراعاة اعتبارين اساسين: (٣).

١- شرعية التأسيس.

٢- شرعية المقصد أو المصلحة.

إن الغاية والهدف الأساسي من قيام الدولة الإسلامية هو إقامة الدين والإلتزام بأحكامه سواء ما تعلق منها بأمور الدين المرتطبة بالعقيدة والعبادة أو تلك الأحكام المتعلقة بحياة الناس ومعاملاتهم. وسبيل الحكومة الإسلامية إلى ذلك بل والإلتزام المفروض عليها هو الخضوع لأحكام الدين الإسلامي، وتعاليمه واتخاذ التشريع الإسلامي قانوناً عاماً للدولة تتحقق به إقامة الدين، ورعاية مصالح المحكومين. ومن ركائزها، الشورى والعدل، وواجب الطاعة للحاكم ونصرته، مع التزام الحاكم بالإشراف الدائب على تنفيذ أحكام الشريعة.

إلا أن مفهوم الدولة الإسلامية في الفكر النورسي، لم يكن واضحاً لوجود الإنفصال النفسي بينه وبينها.

لذلك اهتم النورسي بسرية إعداد أفراد جماعته وهذه بداية تحول اتجاهه من السياسة إلى التربية.

ثالثاً: التربية واتجاهاتها عند النورسي:

التربية هي الوسيلة للانتقال من الأخلاق الفردية إلى الأخلاق الاجتماعية(١). ويعتبر المنهج من أهم موضوعات التربية، هو لب العملية التربوية والأساس الذي ترتكز عليهز كما يعتبر القنطرة الحيوية، والتي تصل الطالب بالعالم المحيط به. كما أنه الوسيلة الرئيسية التي يصل بها المجتمع من خلال الطالب إلى ما يبغيه من أهداف وآمال.

والمفهوم الحديث للتربية يقوم على أن المتعلم هو مركز عملية التربية، وذلك من خلال مكوناته العقلية، والجسمية، والوجدانية إذ هي ثلاثة أبعاد متوازية. كما أن هذه التربية تضع اهتمامات الفرد وحاجاته ومشكلاته موضع الاهتمام عند بناء المنهج التربوي أو تنفيذه وكذلك الأمر بالنسبة لخبراته السابقة.

إن عملية التربية إنما هي تخليه بمعنى تمشيط الأخلاقيات السيئة،

والتحذير منها وتنظيف كيان الفرد مما علق منها، ثم سكب الأخلاقيات الحسنة المنضبطة فيه، ولكي تعين غيرك على ذلك وتربيه، ينبغي أن تنظر في نفسك أولاً.

وليست التربية الإسلامية دنيوية عملية كما كانت عند اليونان -مثلاً- وليست دينية محضة كما كانت عند اليهود قديماً، وإنما هي جما بينهما(٢).

والتربية في الإسلام تعد ضرورة حياتية وفريضة شرعية لإعداد الفرد الصالح، والأسرة الصالحة، والمجتمع الصالح الذي يطلق عليه القرآن الكريم الأمة الوسط، والتي حملها الله تعالى مسؤولية إقامة الحياة على منهاجه وشريعته، لتكون نظاماً حياتياً شاملاً(٣).

وبديع الزمان النورسي، هو مؤسس الحركة الدينية المعروفة باسم جماعة النور وباسم آخر جماعة طلاب النور، وهم المسلمون الذين ارتضوا فهم النورسي للإسلام والإيمان من خلال رسائلهم التي ألفها بعنوان رسائل النور، والذين ارتضوا فهم رسائل النور، واتخذوها نبراساً لهم في حياتهم، وفي تكوين المجتمع الإسلامي، الذي أساسه الفرد المسلم، والبيت المسلم.

وغرس الأخلاق قاعدة أساسية في بناء الأفراد والأمم، وركيزة راسخة في تكوين المجتمعات النافعة الراقية، لأن الحياة لا تستقيم إلا بمكارم الأخلاق(٤).

وذلك من خلال:

١- تربية الفرد:

يرى النورسي أن التعليم الفردي أساس لتكوين المواطن المسلم، ويكون هذا التعليم الفردي، بأن يتعلم الشخص مقداراً معيناً يومياً من رسائل النور، وهذا الفعل يمكن الإنسان من إدراك واجباته تجاه الله، وتجاه الحياة التي يحياها، وذلك من خلال الأمور التالية:

أ- إذا ما صان الشاب نفسه بتربيتها بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة فيسكون شاباً رائداً حقاً، وإنساناً كاملاً، ومسلماً صادقاً سعيداً. نعم إن

الشاب إذا ما دفع ساعة واحدة في إقامة الفرائض، وتاب عن سيئاته ومعاصيه وتجنب الخطايا والذنوب. فإنه سيعود بفوائد جمة إلى حياته، وإلى مستقبله وإلى بلاده وأمته. فضلاً عن أنه يكسب شباباً خالداً في النعيم المقيم يوم القيامة.

ب- العمل على تبديل العادات إلى عبادات، وذلك بالنية الخالصة حيث يشعر الإنسان بسعادة عندما يقوم بعمل من أعمال الخير.

ت- إن خلق الحواس والمشاعر في وجود الإنسان، وإدراجها ضمن فطرته، إنما يستند إلى:

● الشكر تجاه كل نوع من أنواع النعم التي أسبغها علينا المنعم سبحانه وتعالى.

● معرفة تجليات الأسماء الحسنى التي تعم الوجود كله.

ج- عدم تزكية النفس، قال تعالى«فلا تزكوا أنفسكم»(١) ذلك لأن الإنسان حسب جبلته وبمقتضى فطرته، محب لنفسه بالذات بل لا يحب إلا ذاته في المقدمة، ويضحي بكل شئ من أجل نفسه. بل لا يقبل التقصير لنفسه أصلاً، ويدافع عنها دفاعاً قوياً، حتى كأنه يصرف ما أودعه الله فيه من أجهزة لحمده وتقديسه سبحانه إلى نفسه، فلا بد إذن من تزكيتها، وتزكيتها في هذه الخطوة وتطيهرها إنما يكون بعدم تزكيتها، نعم إن من يعجب بنفسه ويعتد بها شقي بينما الذي يرى عيب نفسه محظوظ سعيد(٢).

هـ- كان النورسي يعقد مناظرات ومقارنات فكرية، توضح عمق التربية القرآنية في الأخلاق وتفوقها على فلسفة الأخلاق الغربية، إذ أن التربية في نظر النورسي الأخلاقية تمنحها حكمة القرآن الكريم للحياة الشخصية، والإسلام كله هو: حسن الخلق، وللوصول إلى مدى الفرق بين التربية الأخلاقية، التي يربى بها القرآن الكريم تلاميذه، والدرس الذي تلقنه حكمة الفلسفة، يرى الباحث أن يضع تلميذيهما في الموازنة الآتية:

● فالتلميذ المخلص لنفسه "فرعون" ولكنه فرعون ذليل، إذ يعبد أخس شئ

لأجل منفعته ويتخذ كل ما ينفعه ربا له، وهو يرضى لنفسه منتهى الذل في سبيل الحصول على لذة بل هو منفعي ومصلحي، لا يرى إلا ذاته، فغاية همته، تلبية رغبات النفس والبطن والفرج وهو دساس مكار يتحرى عن مصالحه الشخصية دون مصالح الأمة.

● بينما تلميذ القرآن الكريم المخلص هو عبد لكنه عبد عزيز، لا يستذل لشئ حتى لأعظم مخلوق، ثم إنه تلميذ متواضع، لين هين، ثم إنه فقير وضعيف، موقن بفقره وضعفه، ولكنه مستغن عن كل شئ بما ادخره له مالكه الكريم من خزائن لا تنفد في الآخرة. ثم إنه لا يعمل إلا لوجه الله، بل لا يسعى إلا ضمن رضاه بلوغاً إلى الفضائل.

و- خاطب النورسي طالبات النور اللاتي يرغبن في حياة العزوبة فقال: يجب ألا يبعن أنفسهن رخيصات، سافرات، كاشفات، عندما لا يجدن الزوج المؤمن الصالح ذا الأخلاق الحسنة، الملائم لهن تماماً. بل عليهن البقاء في حياة العزوبة إن لم يجدن ذلك الزوج الكفء ؟كما هو حال بعض طلاب النور ؟ حتى يتقدم لطلبها من يلائمها ممن تربى بتربية الإسلام، وله وجدان حي، ليكون رفيق حياة أبدية يليق بها، وذلك لئلا تفسد سعادتها الأخروية لأجل لذة دنيوية طارئة(١).

ذ- ورسائل النور تنتهج منهجاً دعوياً، فهي تشير إلى أن طول الأمل في الحياة الدنيا يثلم الإخلاص ويفسده، ويسوق الناس إلى حب الدنيا وكراهية الموت، وإلى الرياء.

ح- ركز النورسي على إصلاح الفرد مبتدئاً بقلبه، وقبل هذا وذاك أصلح نفسه أولاً حتى يكون قدوة في ذلك. ومن أخلاق النورسي التي ربى عليها أتباعه أنه لا يقابل السيئة بمثلها، ولا يدعو على من ظلمه شفقه عليه ورحمة بمن يعوله. فالسلوك الأخلاقي هو قوام الدين، ومن هنا كانت تربية النفس الإنسانية من أهم الواجبات التي ينبغي أن يتولاها الإصلاح الديني (٢) والمدخل إلى إحداث التكامل الوثيق بين الدين والدنيا، كأساس مستمر

للدعوة الإسلامية في هذا العصر يكمن في توفير خاصية القدرة على الفهم والإفهام عند الداعي إلى الله(٣).

ط- كان دأبه مع طلابه الاستشارة وتقسيم الأعمال فيما بينهم كما كان يفتح بابا للعقل والتفكير لدى طلابه. ليقضي على البطالة الدعوية لدى أفراد الصف(٤).

٢- تربية البيت:

إن بيت كنا إنسان هو دنياه الصغيرة، فإن لم يكن الإيمان بالآخرة حاكماً ومهيمناً في سعادة هذا البيت، لوجد كل فرد من أفراد تلك العائلة اضطراباً في علاقة بعضهم البعض.

يقول النورسي «ما أن يحل الإيمان بالآخرة في ذلك البيت حتى ينور أرجاءه مباشرة ويستضئ، لأن علاقة القربى والرأفة، والمحبة التي تربطهم لا تقاس عندئذ ضمن زمن قصير جداً، بل تقاس على وفق علاقات تمتد إلى خلودهم وبقائهم في دار الآخرة، والسعادة الأبدية، فيقوم -عندئذ- كل فرد باحترام خالص تجاه الآخرين، ويوليهم محبة صافية، ويظهر رأفة صادقة، ويبدي صداقة وفية، صارفاً النظر عن التقصيرات، فتتعالى الأخلاق وتسمو وتبدأ السعادة الإنسانية الحقة بالتألق في ذلك البيت(١).

وهكذا فإن كل مدينة هي بحد ذاتها بيت واسع بسكانه، فإن لم يكن الإيمان بالآخرة مسيطراً على أفراد هذه العائلة الكبيرة فيستولى عليهم الحقد والمنافع الشخصية، والاحتيال والأنانية والتكلف والرياء، والرشوة والخداع بدلاً من أسس الأخلاق الحميدة التي هي الإخلاص والمروءة، والفضيلة والمحبة والتضحية، ورضاء الله -تعالى- والثواب الأخروي. وقياساً على هذا فإن البلاد بأكملها ما هي إلا بيت واسع جداً والوطن بيت عائلة الأمة. فإذا ما حكم الإيمان بالآخرة هذه البيوت وسيطر عليها، فإن الفضائل تتكشف وتتبسط، ويظهر الاحترام المتبادل، والرحمة الجادة، والمحبة

الخالصة بلا عوض. وتشيع الفضائل الأخرى جميعاً.

وقد ركز النورسي على اتخاذ البيوت مدارس نورية فدعا كل شخص أن يحول بيته إلى مدرسة نورية، يتدارسون فيها مع الأطفال وأهل البيت رسائل النور. وإن لم يكن له أحد وكان وحيداً، فليتخذ مع بضع أفراد من جيرانه أحد المساكن مدرسة نورية، يتدراسون فيها رسائل النور أو يستمعون لها أو يستنسخونها، وذلك في الأوقات التي يتفرغون فيها عن أعمالهم ومشاغلهم، إذ الانشغال بهذه الرسائل، ولو لعشر دقائق يثيب صاحبه ثواب طالب علم حقيقي. علاوة على تحول عاداته ومعاملامته الاعتيادية لمتطلبات معيشته عبادة يثاب عليها.

فالدعوة الإسلامية الحقيقية تكون الصحوة الفكرية، والصحوة الفكرية تكون أشخاصاً يقومون بالتصميم والتخطيط لحاضر أمتهم ومستقبلها(٢). ذلك أن ملء الرأس بالمعلومات الدينية ليس هو الذي يهذب الخلق، ويوجد الوازع الذي يحث على الخير ويبعد عن الشر وإنما الذي يؤدي إلى ذلك هو التربية الدينية التي تعتمد أو ما تعتمد على القدوة الصالحة(١).

والمطلوب شرعاً لتكوين الأسر، الزواج، وأن يكون الزوج كفؤاً للمرأة، وهذا يعني ملاءمة الواحد للآخر ومماثلتهما، وأهم ما في الكفاءة هذه هي كفاءة الدين كما هو معلوم. ولقد أوصى النورسي بحسن المعاملة الزوجية إضافة إلى حسن تربية الأولاد. والزوج السعيد هو الذي يقلد زوجته الصالحة فيكون صالحاً مثلها لئلا يفقد رفيقته في حياة أبدية خالدة "الجنة"، والزوجة كذلك لئلا تفقد رفيقها الأبدي فتفوز بسعادة أخرتها ضمن سعادة دنياها. والويل كل الويل للزوجين الذين يعين كل منهما الآخر في دفعه إلى الشر.

ولأجل إصلاح الركن المهم في البيت ؟المرأة ؟كتب النورسي رسالة "الحجاب"، التي حوكم من أجلها، والتي نادى فيها بصيانة المرآة المسلمة من الأفكار الإلحادية الهدامة التي انتشرت في تركيا، والتي تنادي بانسلاخ المرآة

المسلمة من عقيدتها وشريعتها، وبالتالي من عفتها وطهارتها بحجة التقدم، ومسايرة ركب الحضارة الغربية. فأوصاهن بالتمسك بأوامر الله - تعالى- وأوصاهن ببيوتهن، ورعاية الأولاد وتربيتهم على الإسلام.

ولا بد في المقام الأول من حسن اختيار الزوجة، فإن لهذا الاختيار أكبر الأهمية وأعظم الأثر في بناء البيت المسلم، فهي أكثر ملازمة للبيت من الرجل ?في غالب الأحيان ?وهي التي تهيئ البيت وتشرف عليه ويعد مملكتها الخاصة. فإذا أضفنا إلى ذلك، أن المرأة هي التي تحضن الأولاد وتربيهم، وتؤثر فيهم قبل ذهابهم إلى المدرسة بأكثر مما يؤثر الأب ثم إن المرأة هي المسئولة عن استقرار البيت وسعادته ابتداءاً من الزوج وانتهاء بأي أحد في البيت.

والطلاق هدم للأسرة، وإذلال للمرأة، وتضييع للأولاد ومن ثم فلا ينبغي اللجوء إليه إلا إذا كان الاستمرار في الحياة الزوجية، على بغض وتنافر.

ويستطيع الإنسان المسلم تكوين البيت المسلم من خلال:

أ- حمل أهله على احترام فكرته الإسلامية.

ب- المحافظة على آداب الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية.

ت- حسن اختيار الزوجة وتوقيفها على حقها وواجبها.

ث- حسن تربية الأولاد والخدم، وتنشئتهم على مبادئ الإسلام.

والبيت المسلم إذا صح تكوينه، وإعداده، وصح عمله، وصحت ممارسة الحياة فيه على النظام الإسلامي، يكون لبنه قوية في بناء المجتمع المسلم الملتزم بمنهج الله - تعالى- في الحياة.

٣-تربية المجتمع:

لقد بدأ التغيير في حياة المجتمع التركي - حضارياً وثقافياً- قبل عصر النورسي بقرن من الزمان تقريباً، إذ بذلت المساعي لتغيير معتقدات أفراد المجتمع الدينية إلا أن النورسي حينما رأي تباعد المجتمع دينياً، سعى لكي

يحافظ أفراده على معتقداتهم الإسلامية، وصلاتهم الدينية، وجعل هذا السعي من أهم أهدافه.. فحكام تركيا عام ١٩٢٣م، قد غيروا المجتمع التركي تغييراً كاملاً بعد إعلان الجمهورية، ووجهوا الشعب إلى الأخذ بتقاليد الغرب وعاداته، واعتبروه أفضل نموذج يقتدى به، لكن النورسي عارض هذه الأفكار، ودافع عن الأسس والأخلاق الإسلامية، وسعى إلى توثيق الروابط بين العالم الإسلامي.

وقد ركز النورسي على بناء المستشفيات، والمدارس وملاجئ الأيتام، والأقسام الداخلية للطلبة، ودور العبادة، وشق الطرق، وهذه كلها دعوة إلى الله تعالى من خلال تقديم النموذج الإسلامي في أداء الخدمات للناس بطريقة صحيحة مرضية.

والحركة النورية لم تحمل السلاح قط، واقتصر جهادها على اللسان، وعلى العلم والفكر(١).

وقد رأى أهل السياسة في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ما للتربية من الصلة الوثيقة بنجاح الحكومات، وارتقاء الشعوب. (٢)

وقد أعطت رسائل النور أهمية كبرى في الحث على الشجاعة والإقدام في الدفاع عن الوطن، كما أوضحت خطر التدخل الأجنبي في الأمور الداخلية(٣).

والبيئة الصالحة لها دور فعال في توجيه سلوك الأفراد، وتربية أخلاقهم، سواء كانت تلك البيئة صغيرة كالبيت والأسرة والقرية والقبيلة.. أو كانت كبيرة كالمدينة والدولة أو عموم المجتمع كله (٤).

فالأخلاق قاعدة أساسية في بناء الأفراد والأمم، وركيزة راسخة في تكوين المجتمعات الدافعة الراقية، لأن الحياة لا تستقيم إلا بمكارم الأخلاق(٥).

يقول النورسيون إن غاية رسائل النور، وهدفها هو نشر الحقائق الإيمانية، والقرآنية وتبليغها وتعميمها بين أفراد المجتمع. كما أن حركة النور تحاول أن تربط المسلمين بعضهم ببعض بالروابط القلبية. وذلك بإحداث العدل بين

طبقات المجتمع. فالقرآن الكريم قد قضى على ظلم الخواص للعوام في الآية الكريمة «وآتوا الزكاة»(١) ومنع الحقد والحسد من العوام على الخواص بالآية الكريمة «وأحل الله البيع وحرم الربا»(٢).

يتضح من ذلك أنه لا يمكن العيش بسلام ووئام في مجتمع إلا بالمحافظة على التوازن القائم بين الخواص والعوام، أي بين الأغنياء والفقراء، وأساس هذا التوازن هو رحمة الخواص وشفقتهم على العوام وإطاعة العوام واحترامهم للخواص، ولا يتأتى ذلك إلا بالقضاء على الربا وأداء الزكاة لمستحقيها عن طريق الفرض العام. لأن أهمية الزكاة لا تنحصر أشخاص وجماعات معينة فقط، بل إنها زكن مهم في بناء سعادة الحياة البشرية بل هي عمود أصيل تتوطد به إدامة الحياة الحقيقة والإنسانية، وإلا ستنهال مطارق الظلم والتسلط على هامات العوام من أولئك الخواص، وينبعث الحقد والعصيان اللذان يضطرمان في أفئدة العوام تجاه الأغنياء الموسرين، وتظل هاتان الطبقتان من الناس في صراع معنوي مستديم... حتى يؤول الأمر تدريجياً إلى الشروع في الاشتباك الفعلي والمجابهة، حول العمل ورأس المال كما حدث في روسيا(٣).

وهناك دائماً صراع بين الحق والباطل، إلا أن حكمة القرآن الكريم هي جعل الحق نقطة استناد في الحياة الاجتماعية بدلاً من القوة، وجعل رضاء الله تعالى، ونيل الفضائل هو الغاية والهدف بدلاً من المنفعة واتخاذ التعاون دستوراً أساسياً في الحياة بدلاً من دستور الصراع والتزام رابطة الدين بدلاً من العنصرية، والقومية السلبية.

والمدنية الحاضرة لا تقبل تعدد الزوجات، وتحسب ذلك الحكم القرآني مخالفاً للحكمة ومنافياً لمصلحة البشر، لكن الحكمة من هذا الزواج والغاية منه، إنما هو تكاثر الأولاد وإنجاب النسل الطيب الطاهر بعيداً عما حرم الله.

والقرآن الكريم يأمر النساء أن يحتجبن بحجاب الحياء رحمة بهن وصانة

لحرمتهن ولكيلا تهان تلك المعادن الثمينة «معادن الرأفة والشفقة»، بينما التكشف والتبرج يزيلان تلك المكانة، ويحركان الغرائز، ويسممان الحياة العائلية.. فسعادة العائلة في الحياة، واستمرارها إنما هي بالثقة المتبادلة بين الزوجين، والاحترام اللائق، والود الصادق بينهما، إلا أن التبرج والتكشف يخل بتلك الثقة، ويفسد ذلك الاحترام والمحبة المتبادلة.. كما أن رفع الحجاب وإفساح المجال أمام التبرج والتكشف يحد من الزواج، بل يقلل من التكاثر كثيراً، لأن الشاب مهما بلغ فسوقه، وتحلله، فإنه يرغب في أن تكون صاحبته في الحياة مصونة، عفيفة، ولا يريدها أن تكون مبتذلة، متكشفة مثله لذا تجده يفضل العزوبة على الزواج، وربما ينساق إلى الفساد..(١).

والعلاج الناجع لإنقاذ النساء من الإفساد في حياتهن يتركز في تربيتهن تربية دينية ضمن نطاق الإسلام الشامل. وعلى الزوجة أن تسعى جادة لإكمال نقص زوجها، وإصلاح تقصيره، كي تنقذ صاحبها الأبدي.. والتهاون في تطبيق الشعائر الدينية يفضي إلى ضعف الأمة، والضعف يغري العدو ويشجعه، ولا يوقفه عند حد .. وأعداء الدين وخصومة يحاولون تدمير الشعائر الإسلامية، مما يستوجب إحياء هذه الشعائر والمحافظة عليها.

وحجاب المرآة كان معروفاً بين العبرانيين من عهد سيدنا إبراهيم ?عليه السلام- وظل معروفاً بينهم في أيام أنبيائهم جميعاً إلى ما بعد ظهور النصرانية، وتكررت الإشارة إلى البرقع في غير كتاب من كتب العهد القديم، وكتب العهد الجديد(٢).

فال تعالى «يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن»(٣).

ولقد كان للمدرسة النورسية مقومات أساسية كي تؤتى ثمارها ومن أهمها ما يلي:

أ- أن يكون الخلاف أو الاختلاف إيجابياً بناء، ومعناه أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته وصواب نظرته، دون أن يحاول هزم

مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم، وإبطال مسلكم، بل يكون سعيه لإكمال النقص ورأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلاً. أما الاختلاف السلبي فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، ومبعثه الحقد والضغينة والعداوة(٤).

ب- أن أهل الحق لا يستطيعون خدمة الحق إلا بترك "الأنا" حتى ولو كانوا على حق وصواب.

ت- وإذا نظرنا إلى منهج النورسي في تربية المجتمع بوجه عام نرى أنه قد اعتمد على عدة مبادئ تتمثل في ما يلي:

١- البعد عن الحسد.

٢- تفضيل الإخوان على النفس في المراتب والمناصب والتكريم.

٣- التعاون على البر والتقوى بين أفراد المجتمع.

٤- الاحترام المتبادل بين الناس من حاكم ومحكوم والحفاظ على أمن البلاد والعباد.

٥- التركيز على الأصول والكليات دون الفروع والجزئيات والانتقال من المختلف فيه إلى المتفق عليه.

٦- العمل على توحيد وجهات النظر المختلفة لأصول الدراسة والتفكير بين المدرستين الفقهية والصوفية باستخدام الوسائل الآتية:

مبادلة الأفكار بين المدارس المختلفة لأجل وحدة الهدف.

إثارة ملكة التفكر، إذ بدونهما لا يمكن أن يكون الإخلاص والإيمان والعمل ذاتياً(١).

٧- الاهتمام بإصلاح وتربية المسجونين بوجه خاص، لأنهم الأحوج إلى التربية، وقد قام النورسي بتأليف رسالة الثمرة لأجلهم.

٨- الدعوة إلى توطين النفس على تحمل المشاق في سبيل نشر الفكرة الإسلامية(٢).

ولقد رأى النورسي أن نور الإيمان هو مناط التكاليف الإلهية بأسرها، فلا

تكاليف، ولا تكاليف إلا بالإيمان. ما رأى أن الإسلام ما هو إلا مظهر ذلك كله، فليس في مفهوم النورسي للإيمان والإسلام فرق اللهم إلا الفرق بين نورين، أحدهما قلبي، والآخر مظهره في الوجود الخارجي أو في الظاهر. والإيمان في الأصل هو انتساب إلى الله تعالى(٤).

إلا أن الإسلام بلا إيمان لا يكون سبباً للنجاة، كذلك الإيمان بلا إسلام -على علم- لا يصعد ولا يمنح النجاة أيضاً.

رابعاً: إنقاذ حقيقة الإيمان:

إن الإيمان(❖) لا يتحقق إلا إذا كانت هناك الغيبيات التي لا تشاهدها الحواس ولكن يراها القلب بنور البصيرة، فيؤمن بها(٦).

قال تعالى «من كان يريد ثواب الدنيا، فعند الله ثواب الدنيا والآخرة»(٧).

أما مفهوم الإيمان ومعناه، فإنه ليس مجرد إعلان المرء بلسانه أنه مؤمن، أو مجرد القيام بأعمال وشعائر اعتاد أن يقوم بها، أو مجرد معرفة ذهنية بحقائق الإيمان، فكم من قوم عرفوا حقائق الإيمان ولم يؤمنوا.. بل إن الإيمان الكامل، هو ذلك الإيمان المركب من التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح، وللإيمان فروع كثيرة، أعلاها النطق بالشهادتين وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء من فروع الإيمان، قال تعالى «ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون» وقال تعالى «إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً»(٢) وقال تعالى «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً»(٣).

إن الإيمان حقيقة واحدة نابعة من ستة أركان متحدة لا تقبل التفريق «إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وهو كل لا يتجزأ ولا تقبل أركانه الانقسام(٤).

فالإيمان في حقيقته ليس مجرد عمل إنساني ولا عمل بدني ولا عمل ذهني

إنما هو عمل نفسي يبلغ أغوار النفس ويحيط بجوانبها كلها من إدراك وإرادة ووجدان وإذا فقد بعض الإيمان فإن ما بقي فيه لا يستحق أن يسمى إيماناً أو عقيدة بل يمكن أن تسمى فكرة أو نظرية أو رأياً(٥).

قال تعالى «إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسله ثم لم يرتابوا»(٦).

قال تعالى «وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»(٧).

إن هذه المعاني الكبيرة والمشاعر الرفيعة، إذا ما سرت في كيان الفرد المسلم جعلت منه إنساناً عزيزاً كريماً، كبير النفس كبير الآمال، إذ أن للإيمان أثره في حياة الفرد والبيت والمجتمع ولذلك نرى النورسي يوليه اهتماماً بالغاً.

والإيمان: يهون على الإنسان شهواته، ومطالبه الدنيوية فإذا هو يكتفي بما يسد جوعه من الطعام، وما يستر العورة من اللباس، وإذ هو يرضى بالقليل من المال، والمتواضع من السكن.. بل يهون على الإنسان ماله فينفقه في سبيل الله، ويهون أهله عليه فيرحل عنهم والإيمان بالله هو الذي يمدنا بروح القوة، وهذه القوة هي مصدر قوة المجتمع بأسره.

وعلى قدر نصيب المرء من الإيمان، يكون نصيبه من تلك القوة التي من ثمارها:

١- التزام الحق مع القريب والبعيد.

٢- الاستهانة بالقوى المادية بجانب قوة الله تعالى.

٣- الإخلاص في القول والعمل.

٤- التحرر من الخوف والحرص.

ولله تعالى شروط أساسية حددها في قرآنه الكريم للفوز بالجنة منها: قوله تعالى «إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين».

كما أن الإيمان أساس التقوى والعمل الصالح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال تعالى (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم

مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم، وماتوا وهم كافرون»(٢).

وقد اهتم النورسي بالإيمان التحقيقي، المبني على العلم، والذي هو الإيمان الحق وهو قول اللسان، وعقد القلب وعمل الجوارح، أي شهادة، وعقيدة، وعبادة(٣).

ومما يقوي الإيمان ويزيده عند النورسي النظر في الآفاق وفي أيات الله تعالى الكونية.

وعلى المسلم واجبات عليه أن يؤديها حتى يبرهن على صحة إيمانه أمام نفسه وأما ربه الذي خلقه، وهي قيامه بالعبادات تطوعاً وحباً وليس بالفرض والإكراه.. وليس من دليل على إيمان العبد وصدقه إلا صدقه في العبادات(٤) من صلاة جامعة في المساجد وزكاة وحج وصوم، وجهاد في سبيل الله.. والإيمان كما يؤكد النورسي يشيع روح الأخوة بين المؤمن وكل شئ في حين يبنى الكفر الحواجز بي الكائنات.. وقد ركزت رسائل النور على محاربة التيارات الإلحادية. ودعوة المسلمين إلى المحافظة على عقيدتهم.. فأساس موضوعات رسائل النور هو الإيمان باركانه المتعددة إذ نجد أبرز القضايا المطروحة في الرسائل، إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته بأدلة كثيرة متنوعة وكذلك التدليل على صدق النبوة ومعجراتها وحقيقة اليوم الآخر، والحشر وعدالة الشريعة (٥).

ولقد اجتهد النورسي في أن تكون رسائل النور زاداً لمن لا إيمان له، فتدعوه إلى حظيرة الإيمان، وتشد من إيمان الذي يجد إيمانه ضعفاً فتقويه، وتجعل الإيمان القوي التقليدي إيمانا تحقيقياً راسخاً، وتوسع من آفاق الإيمان التحقيقي الراسخ.. وتهب لمن كان إيمانه واسعاً مدارج الرقي في المعرفة الإلهية التي هي الأساس في الكمال الحقيقي.. فالأيمان كما تجسد في فكر النورسي، شرط وجودي لا تلقنه الديانات السماوية وحدها، ولكن تؤكده المشاهدات الحسية أو الملاحظات التي لا يكف النظر عن تسجيلها في الذات الإنسانية، وفي ما يحيط بها من دلائل كوينة شاخصة، ليصل

بالإنسان في نهاية المطاف بأن يظهر الخضوع والقبول للشريعة، وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم كما أن الإيمان تصديق وتهذيب للأخلاق(١).

أما عن أركان الإيمان في رسائل النور، فإنني أرى أنها تحتوي على الترغيب والترهيب، ولا ريب في جدوى تأثير هاتين الوسيلتين في الإنسان، وفي ضوء هذه الحقيقة فإنها توقظ أهل القرآن واضعة نصب أعينهم بعض الأسس لئلا ينخدعوا:

إنها تضع ابتغاء مرضاة الله النابعة من الإيمان به بدلاً من حب الجاه.

أنها تضع الإيمان بالقدر بدلاً من الخوف والوقوع في الشكوك والأوهام.

أنها تضع الإيمان بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين بدلاً من الحرص والطمع.

أنها تضع الإيمان بالرسل الرام بدلاً من الأحاسيس والمشاعر العنصرية.

أنها تضع الإيثار وحب الآخرين بدعوتهم إلى الله تعالى بدلاً من الأنانية وحب الذات.

أنها تضع الإسراع إلى العمل للقرآن والسنة بدلاً من الكسل والخلود إلى الدعة والراحة.

ومن الأمور الواضحة أن النورسي كمفكر إسلامي، تشكلت معظم أفكاره، وحياته نتيجة انعكاس قد تكون ضد التسرب الثقافي الذي دخل وتسلل إلى الحياة الثقافية في عصره.. فعمل النورسي على تكوين الشخصية التركية من جديد(٢).

الهوامش :

(1) Ornek metinler okuma; risale- inur kulliyatindan; inceleme, arastirama, 2. buski, yeni asya, Istanbul, 1999, s 144

(٢) مصطفى مشهور. بين الربانية والمادية، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٩٩٠م، ص ٣٢-٣٣.

(3) Bunyamin duran; islam toplumlarinda sosyo- ekonomik degisme 2.baski, yeni kusak yayinlari, Istanbul 1998 s 101-102

(٤) أحمد عيساوي لمحات من حياة الشيخ بديع الزمان النورسي. مقال في مجلة منار الإسلام الشهرية. الإمارات، وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف، العدد ١٠، ١٩٩٩م، ص ٥٩.

(١) يقول اسماعيل حقي أوزون- جارشيلي: كنت أرى العلماء الأفاضل، والأساتذة الكبار يذهبون إلى النورسي، ويتحدثون معه ويستفيدون من علمه انظر:

(*) Necmeddin sahiner; son sahitler bediuzzaman said nursi yianiatiyor, yeni asya yayinlari, c.1 istanbul 1993 s 191

(٢) بديع الزمان النورسي. الشعاعات القاهرة ترجمة إحسان قاسم الصالحي شركة سوزار للنشر، ط٢ ١٩٩٣م، ص ٥٤٢.

(١) إحسان قاسم الصالحي. بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره استانبول، دار سوزار للنشر، ١٩٩٦م ص ١٠٥.

(٢) مصطفى محمد الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا. ألمانيا الغربية. ط١، ١٩٨٤م، ص ١٥٠.

(٣) محمد السيد قنديل. آثر بديع الزمان سعيد النورسي في إحياء الاتجاه الإسلامي المعاصر في تركيا. الزقازيق ظافر للطباعة ١٩٩٩م، ص ١٧١.

(٤) إبراهيم على العوضي. بديع الزمان النورسي فكره ودعوته. الأردن المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٨م، ص ١٨٣.

(١) المدرسة الحديثة: هي المدارس ذات الطابع العلماني، ولا تهتم بتدريس العلوم الدينية.

(٢) جوزيف شاخت كليفورد بوزورث، تراث الإسلام. الكويت ترجمة حسين مؤنس، إحسان صدقي العمد، مراجعة: فؤاد زكريا عالم المعرفة، ج٢، ط٣، ١٩٩٨م، ص١١٢.

(٣) محيي الدين محمد قاسم، السياسة الشرعية ومفهوم السياسة الحديث. القاهرة،

المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٧م، ص ١١٢-١١٣.
(٤) عمر شريف، نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية دراسة مقارنة القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٨٢م، ص ٣١.
(٥) عبد الحليم عويس. الدولة الحديثة بين الحقيقة والتزييف، القاهرة، دار الصحوة للنشر، ط١، ١٩٩٤م، ص ٣.
(٦) محمد الحسن. المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي. طنطا، دار البشير للثقافة، ١٩٩٨م، ص ١٣٥.

(١) حسن حنفي، جمال الدين الأفغاني المائوية الأولى (١٨٩٧- ١٩٩٧م) القاهرة ,دار قباء ١٩٩٩م ص١٠٢.
(٢) حسن البنا، تربية النشء. الزقازيق، أصالة للتجارة والتسويق، ط١، ١٩٩٩م، ص١٠.
(٣) على لبن، جمال عبد الهادي، المهام التربوية للأباء مرحلة ما قبل البلوغ. القاهرة، مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية ١٩٩٨م، ص ٣.
(٤) محمد حافظ سليمان، أثر الأخلاق في بناء الفرد والمجتمع، مقال في مجلة الأزهر. القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ج٥ ١٩٩٦م، ص ٦٥١.

(١) سورة النجم: آية ٣٢.
(٢) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، القاهرة ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزار للنشر، ط٢، ١٩٩٢م ص ٤٢٣، ص ٥٩٥.

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق. القاهرة ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزار للنشر، ط٢ ١٩٩٢م، ص ٣٦٨.
(٢) محمد أمين جبر، الأخلاق والمال في الإسلام. القسم الأول -دراسة إسلامية. القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد ٤٤، ١٩٩٩م، ص ١٧.
(٣) محمد محمد البادي، الداعية الإسلامي وأهمية القدرة على الفهم والإفهام. مقال في مجلة الأزهر الشهرية. القاهرة مجمع البحوث الإسلامية، ج١١، ١٩٩٩م، ص ١٧٣٨.
بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، القاهرة ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزار للنشرن ط٢، ١٩٩٨م ص ٥٣٧.

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص ٢٨٣.
(٢) وحيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي، المنهج والشروط، القاهرة ترجمة محسن عثماني الندوي، مراجعة عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٤م، ص١٦٧.

(١) محمود عبد الحليم. الإخوان المسلمين أحداث صنعت التاريخ. ١٩٢٨-١٩٤٨م. الاسكندرية، دار الدعوة، جـ١، ١٩٧٨م، ص ٣٥١.
(٢) عبد الحليم عويس، أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي بالجزائر. القاهرة، دار الصحوة ١٩٨٦م، ص ٣١.

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص ٦٤.
(٢) مصطفى أمين. تاريخ التربية. القاهرة، مطبعة المعارف، ط٢، ١٩٢٦م، ص ٣٦٣.
(3) Risale - inur kulliyatind ordu ve asker, ittihad yayineilik, Istanbul, 1999, s. 7
(٤) سعيد بن محمد بن مصلح القرني. الفكر التربوي عند بديع الزمان سعيد النورسي. السعودية. رسالة ماجستير، ١٤١٨هـ ص ٢٦٩.
(٥) محمد حافظ سليمان، مرجع سابق، ص ٦٥١.

(١) سورة البقرة: آية ٤٣.
(٢) سورة البقرة: آية ٢٧٥.
(٣) بديع الزمان سعيد النورسي. المكتوبات، ص ٣٥٥.

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، القاهرة ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزار للنشر، ط٢، ١٩٩٣م، ص ٣٠٣.
(٢) عبد العزيز بن محمد عوض الله، بديع الزمان سعيد النورسي، عصره، حياته، آثاره. القاهرة مركز صالح عبدالله كامل للاقتصاد الإسلامي، ١٩٩٨م، ص ٢٤٢. وفي الإصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين عن رفقة أنها رفعت عينيها فرأت إسحاق عليه السلام فنزلت عن الجمل وقالت للعبد: من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائنا؟ فقال العبد: هو سيدي فأخذت البرقع وتغطت.. انظر سفر التكوين: ح٢٤: ٦٤-٦٥.
(٣) سورة الأحزاب: آية ٥٩.
(٤) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص ٣٤٧.

(١) إحسان قاسم الصالحي، مرجع سابق، ص ٢١٤.
(٢) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص ش.
(٣) الشفيع الماحي أحمد. البعد الإيماني في فكر النورسي، مقال في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت، العدد ٣٩، ١٩٩٩م، ص ١٣٠.
(٤) سورة الذاريات: آية ٣٦.

(٥) الإيمان لغة: هو التصديق. وفي الشرع: التصديق بالقلب والإقرار باللسان، انظر: مجمع اللغة العربية. المعجم الوجيز. القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ص ٢٦. وفي حديث جبريل ?عليه السلام- حين جاء النبي صلى الله عليه وسلم في صورة أعرابي يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان قال صلى الله عليه وسلم عن الإيمان (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، ابن رجب الحنبلي البغدادي، جامع العلوم والحكم، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٤، ١٩٧٣م، ص ٢٠.

(١) سعد الدين السيد صالح، العقيدة الإسلامية، القاهرة، دار الصفا للطباعة والنشر والتوزيع، جـ ١، ط٢، ١٩٩١م، ص ١٦٢.

(٢) سورة النساء: آية ١٣٤.

(١) سورة البقرة: آية: ٨-٩.

(٢) سورة النساء: آية ١٤٢.

(٣) سورة النمل: آية ١٤.

(٤) أحمد عبد الوهاب. النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام. دراسة الأديان. القاهرة ، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٧٩م، ص ٣.

(٥) يوسف القرضاوي. الإيمان والحياة. القاهرة مكتبة وهبة، ط,٨ ١٩٨٧م، ص ١٧.

(١) سورة الحجرات: آية ١٥.

(٢) سورة التوبة: آية ١٠٥.

(١) سورة التوبة: آية ١٨.

(٢) سورة التوبة: آية ١٢٤-١٢٥.

(٣) سعيد بن محمد بن مصلح القرني، مرجع سابق، ص ١٧٨.

(٤) نيازي عز الدين، دين الرحمن الكتاب الثالث: المدخل إلى الحقيقة. بيروت، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ط١ ١٩٩٨م. ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٥) حسن عبد الرحمن بكيز. مرجع سابق، ص ١٢٥.

(١) سعيد مراد، مدرسة البصرة الاعتزالية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢م، ص ١٣٨.

(٢) شريف ماردين، مقال في مجلة كوبرو- استانبول، يني آسيا، ١٢/ ١٩٩٠م، ص ٣٧-٣٨.

الأوقاف في الحضارة العثمانية

أحمد عبدالوهاب الشرقاوي

باحث بمعهد الدراسات والبحوث الأسيوية

جامعة الزقازيق

أهديها إلى أستاذي الأستاذ الدكتور رأفت الشيخ غنيمي محبة وتقديراً وعرفاناً ووفاء لما قدمه لي ولزملائي من مساعدات علمية كبيرة، جزاه الله عنا خير الجزاء.

أحمد عبدالوهاب الشرقاوي

معهد الدراسات الأسيوية

الأوقاف في الحضارة التركية :

قد قام السياسيون الغربيون بإطلاق تعبير (جنة الأوقاف) على المجتمع العثماني في القرن السادس عشر نظراً لكثرة مؤسسات الأوقاف به[1].

كانت الدولة في النظام العثماني مسؤولة عن حماية الأنفس وأموال وحرية المواطن والمحافظة على الأمن، ولم تكن ملزمة ببناء آثار عمراية أو بتعليم المواطن أو بإنشاء المعابد للعبادة، شيدت الطرق والجسور، لكن ذلك كان بغرض إقامة تسهيلات لمرور الجيش ولتأمين أمن الدولة ولم يكن لأجل الشعب بصورة مباشرة... لقد وفر الأغنياء كل حاجات الشعب الاجتماعية[2].

أما بقية الخدمات والمرافق الأخرى، وما يطلق عليه بتعبيرنا المعاصر «البنية الأساسية»، فإن الدولة لم تكن متكفلة بالخدمات الاجتماعية، بل كانت هذه الخدمات تدخل في اختصاص الوقف، وكان ركناً أساسياً في اقتصاد الدولة[3].

إن مؤسسة الوقف التي وجدت إمكانية الانتشار في مساحة جغرافية واسعة امتدت من الأندلس حتى أندونيسيا، ورأسياً في المساحة من آسيا الوسطى حتى جنوب أفريقيا، على الرغم من الضربات العديدة التي هزت أسس وبنيان المؤسسات الإسلامية المختلفة، الاجتماعية والاقتصادية، وحتى السياسية، على الرغم من ذلك كله إلا أنه كان لمؤسسة الوقف دورها الهام في التاريخ، ومن الممكن أن نحس وجوده بالآثار الموجودة والحيّة حتى الآن[4].

أغراض الوقف التركي :

١- الأوقاف في الأغراض الدينية: الجامع، المسجد، التكية، المصلى أو الزاوية، وغير ذلك.

٢- الأوقاف في الأغراض الثقافية والتربوية: المدرسة، المكتبة، دار الكتب، مدارس رياض الأطفال، دار الحديث، وغير ذلك.

٣- الأوقاف في الأغرض المدنية والعسكرية: المنازل، القصور، المعسكرات، دار الدفاع - محافظ (مستودعات) أسلحة، الحدائق، القلاع والحصون، وغير ذلك.

٤- أوقاف في الأغراض الاقتصادية: الأسواق، الأسواق المغطاة، الحوانيت، النزل، وخلافه.

٥- أوقاف في الأغراض الاجتماعية: المستشفيات، دور الشفاء، النزل، المنازل الخاصة بفاقدي البصر، الأماكن الخاصة بمصابي الجذام، وخلافه.

٦- أوقاف تتعلق بخدمات المياه: الأسبلة، قنوات المياه، السدود، خزانات المياه، الحمامات، عيون المياه، وخلافه.

٧- أوقاف تتعلق بالرياضة والمؤسسات الرياضية: تكايا للأبطال ولرمي السهام والقوس، وساحات للنقوش الرياضية... إلخ[١].

هذا التقسيم وصف بأنه تقسيم «عام» لأنه يشير إلى مجرد «نماذج» من خدمات الأوقاف في «الكثير» من المجالات التي تشعب إليها، فهذا التقسيم لابد من وضعه بجانب غيره من التقسيمات والتفريعات الأخرى لمحاولة الوقوف على «معظم» خدمات الأوقاف في «كل» المجالات التي تطرق إليها، بل وابتدعها ابتداعاً، وأزعم أنه لا يستطيع باحث أن يلمّ في دراسة واحدة بكل تلك الخدمات، فعلى المستوى العملي قد تغلغل الوقف في كل مجال في المجتمع العثماني، ولم يبق مجال يخص الإنسان حتى الحيوان خارج اهتمامات الوقف[١].

وكلمة الصدقة الموجودة في بعض الأحاديث قد ترجمت إلى اللغة الفارسية والتركية بكلمة «الوقف»[٢].

إن دخول مسلمي الشرق تحت الحكم التركي مع تأسيس الدولة السلجوقية العظمى قد تسبب في ظهور أضعاف مضاعفة من مؤسسة الوقف، لأن سياسة أهل السنة التي انتهجتها الدولة السلجوقية إزاء الدولة الفاطمية الشيعية قد تسبب في ظهور مؤسسات دينية كثيرة جداً في جميع أنحاء

الدولة[٣].

إن جميع الخدمات العامة المتعددة للمدن التركية في العهد العثماني، وكذلك جميع المظاهر المتعددة للحياة المدنية والدينية والعلمية ومؤسسات التكافل الاجتماعي، كل هذه المؤسسات تم تنظيمها وإدارتها عن طريق مؤسسات الوقف[٤].

ومما يثير عجب أحد الأجانب المقيمين في كنف الدولة العثمانية في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي أن «يسكن الأتراك أنفسهم في الأبنية المتواضعة، إن جميع الأبنية الضخمة التي تشاهد، هي الأبنية التي منحوها لأغراض خيرية»[٥].

هذا وقد تطورت الأوقاف كثيراً في الأوقات التي وصلت الامبراطورية[١] العثمانية إلى أزهى عصورها، لأن جزءاً كبيراً من ثروات الامبراطورية غير المنقولة قد تحولت إلى أوقاف[٢].

حجم الأوقاف :

ولكي نثبت هذا، نذكر أولاً مثالين للمصادرة التي تعرضت لها الأوقاف التركية.

المثال الأول: في مصر العثمانية في بداية حكم محمد علي[٣]، إذ بلغت الأوقاف حداً يجعلها مطمعاً لكل حاكم، حتى أن محمد علي محمد عندما مسح البلاد المصرية ليعرف مساحتها بالتعيين وجد أن مساحة الأراضي الزراعية في إبانه كانت تبلغ مليونين من الأفدنة وجد من بينها أوقاف تبلغ مساحتها نحو ستمائة ألف فدان، أي نحو ثلث الأراضي الزراعية في ذلك الوقت... ولذلك قبض على الأراضي المصرية كلها، واستولى على الأوقاف بكل أنواعها[٤].

وترصد لنا المصادر المعاصرة لفترة الحكم العثماني لمصر وقف ٤٠٪ من إجمالي الأراضي الزراعية المصرية تقريباً، إلى جانب العقارات الكثيرة

وأدوات الإنتاج الموقوفة[1].

بل إنه حتى في السنوات الأخيرة من عمر الدولة العثمانية كانت الأوقاف ماتزال بقوتها، ففي روسيا القيصرية، وبعد أيام فقط من قيام الثورة البلشفية ١٩١٧م والوعود التي قطعتها على نفسها للمسلمين في آسيا الوسطى -وهم شعوب تركية- قامت السلطات بمصادرة جميع الأراضي المملوكة للأوقاف على أنها قوة مادية في يد علماء الدين، وكانت هذه الأوقاف قد بلغت من الغنى والسعة بحيث وصلت إلى ٥٠٪ من مساحة الأرض في القرم والقوقاز وآسيا الوسطى، لقد كانت هذه الأوقاف مصدراً ثابتاً للإنفاق على المستشفيات والمدارس ودور العجزة ومساعدة الفقراء والمحتاجين من المسلمين[2].

كذلك في إحدى الولايات العثمانية الجديدة نسبياً نجد أنه قد قدرت مساحة الأراضي الزراعية التي تديرها دائرة أوقاف ولاية بغداد في مطلع القرن العشرين بما يقرب من ٢٠٪ من مجموع مساحات الأراضي الزراعية في ولاية بغداد[3].

وعلى الرغم من تعرض أراضي الأوقاف للاغتصاب، وإنفاق دائرة الأوقاف تلك الولاية بين آونة وأخرى لمبالغ مالية على ترميم أبنية المؤسسات التي تخضع لإشرافها... وتقديم مساعدات مالية لبعض المؤسسات الحكومية، على الرغم من ذلك كله فإن موارد دائرة الأوقاف كانت تفيض كثيراً على مصروفاتها ونفقاتها، فيرسل فائض الأموال هذا إلى العاصمة استانبول كل عام[4].

وإذا أردنا أن نأخذ مثالاً حياً باستعراض قطاع رأسي في شريحة طولية أي مثال للأوقاف في منطقة ما خلال فترة معينة في التاريخ العثماني.

عند الرجوع إلى المصادر الأولى لهذه الأوقاف في أرشيف المديرية العامة للأوقاف نجد عدد ستة آلاف من الأوقاف التي أوقفت في القرن السابع عشر الميلادي والتي تأسست داخل حدود جمهورية تركيا الحالية، ولقد

خصص من هذه الأوقاف السالفة الذكر عدد ٣٣٠ للخدمات العامة وهي: ٦٠ جامعاً، ٧ مساجد، ٤٩ مدرسة ابتدائية، ٣٦ مدرسة إعدادية، ٣ دور لتعليم الحديث، ٣ دور لعلم القراءات، ٢٦٠ تكية وزاوية، ١٢ مكتبة، ٨ تكايا، فنار واحد، قلعة واحدة، ١٦ سبيل، ٩٤ عيناً للماء، مخزن للثلج، مكان للوضوء، سبعة حمامات عمومية[١].

وآخر مثال للتدليل على حجم الأوقاف التي أوقفت للأعمال الخيرية هو وقفية السيدة ماه بيكر والدة سلطان (كوسام سلطان) التي نشرتها مجلة التاريخ التركية:

«أوقفت السيدة ماه بيكر سلطان... عدداً من القرى الواقعة في لواء أغريبوز التابع لولاية الروملي... وتلك القرى المذكورة هي: قرية وادي، راهوفة، ديفور، قيلة، أدبة، أكر خورة، مارت مورق، برانتسيا، بما فيها من مساجد ومعابد وطرق عامة وأراضي مقابر...»[٢].

هذا عن حجم الأوقاف في الحضارة التركية عامة، والدولة العثمانية بصفة خاصة.

العثمانيون والأوقاف :

إن النظام العثماني يقضي بأن تقوم الدولة بتأمين النواحي الداخلية والخارجية باعتبارها الأساس، ومع ذلك لم تكن مكلفة بتقديم الخدمات للمواطنين مثل التعليم والصحة وإنشاء الطرق ومساعدة الفقراء[١]. فقد كان ذلك من نصيب مؤسسة الوقف.

وقد تضخم هذا الدور للوقف أكثر وأكثر في العهد العثماني... إلى حد أنه أخذ مهمة الدولة في هذا المجال[٢].

ونذكر على ذلك مثالاً ما كتبه داماد لطفي باشا[٣] أحد صدور عظام السلطان سليمان القانوني وزوج أخته في مذكراته المسماة «أصافنامه»، إن على رجل الدولة المثالي أن يقسم إيراداته إلى ثلاثة، ثلث لمصروفاته، والآخر

للمؤسسات الخيرية، والثالث للتوفير، هكذا كان النظام العثماني تقريباً[٤].

أوقاف السلطان أورخان غازي[١] :

أقيمت أولى المدارس العثمانية على يد السلطان أورخان غازي في إزنيك، إذ قام ذلك الحاكم بعد فتح إزنيك (٧٣١هـ / ١٣٣٠-١٣٣١م) بإقامة بناء لمدرسة جديدة هناك. وبعد أن خصص لها الأوقاف القادرة على الصرف عليها قام بتعيين مولانا داود القيصري(٢) (ت٧٥٠هـ/١٣٥٠-١٣٥١م) الذي أكمل تعليمه في مصر ليكون مدرساً لها ومتولياً لأوقافها، وتولى التدريس في تلك المدرسة كبار علماء العصر[٣].

وفي سجل للأوقاف الخيرية يرجع إلى عام (٨٥٩هـ/١٤٥٤-١٤٥٥م) يحصى آخر التبرعات التي قدمت إلى عديد من الإخوة (الفتيان الأخية) قد استفادوا من سخاء العاهلين العثمانيين الأولين أو من سخاء أفراد العائلة... كما يتمتع عديدون ممن يحملون لقب بابا[٤] بأراض بفضل عدد من المراسيم الصادرة عن أورخان[٥].

هؤلاء الدراويش وربطهم وزواياهم وتكاياهم كان لهم الأثر الأكيد كطلائع للجيش الفاتح ونشر الإسلام في المناطق المفتوحة، وتوطيد هيبة الدولة بها، وكذلك في تعميرها.

«إن المؤسسات العلمية والخيرية التي أمر السلطان أورخان بإنشائها ما مضى فحسب، لقد أمر بإنشاء مسجد في ... و... و... وأمر بإنشاء تكايا وزوايا في... و... و... ودور ضيافة... وقام بتخصيص أوقاف لهؤلا»[١].

بل إن أورخان غازي خدم بنفسه في مراسم افتتاح أول عمارت، وقام بتوزيع وتقديم الحساء للفقراء، وعندما حل المساء قام بإنارة قناديل العمارت[٢] بنفسه أيضاً[٣].

ومعروف أيضاً أنه تم فتح أول مستشفى عثمانية وذلك في سنوات تأسيس

الدولة في عهد الإمبراطور أورخان في بورصة[٤].

ولقد قام السلاطين العثمانيين بدءاً من أورخان غازي بوقف أوقاف كثيرة جداً وكذلك قام وزراؤهم وأمراؤهم والحاشية الثرية بنفس العمل فأوقفوا أوقافاً عديدة[٥].

تطور الأوقاف في العهد العثماني :

ولابد هنا أن نأخذ بعين الاعتبار الدور المزدوج للوقف، أي الإنشائي والإداري، إذ أن الوقف كان هو الذي يقيم المنشآت العمرانية المختلفة (جوامع، مدارس، حمامات، أسواق...) ويقوم بإدارتها، ومع تنوع وتضخم الوقف، برز نوعان من المنشآت الوقفية[١]:

١- المنشآت الخيرية: أي المنشآت التي تحتاج إلى دخل دائم لتغطية نفقات الخدمة التي تقدمها للآخرين (جوامع، مدارس، مستشفيات... إلخ).

٢- المنشآت المساعدة: أي التي تدر الدخل اللازم للمنشآت الأولى (خانات، قيسارات، وكالات، دكاكين، حمامات... إلخ).

نذكر مثالاً على ذلك من خلال كلية[٢] السليمانية، إذ طبقاً لوقفية السليمانية المؤرخة بـ٩٦٤هـ/١٥٥٧م، فلقد كان يوجد بين مصادر إيرادات، دخل، كلية السليمانة: حمام، الكثير من المحلات والمنازل، ٢١٧ قرية، ٣٠ مزرعة، اثنين من الأحياء، ٧ مطاحن، شركتين كبيرتين لصيد الأسماك، عدد ٢ ميناء، مرسى، مرعى، مزرعين، جزيرتين[٣].

كما أنه ضمن العلاجات التي شخصها المشرع العثماني وهو إنفاق جزء من الدخل على الإصلاحات حتى ولو أدى ذلك إلى ضرورة خفض الإعانات التي كان من الواجب دفعها من الوقف[٤].

وفي عهد العثمانيين كان يتم الحفاظ على الأوقاف وحمايتها والاهتمام البالغ الحساسية بمبدأ الإدارة طبقاً لشروط الواقف. ولذلك فإن الذين يخالفون الشروط الموضحة في الوقفية والذين استفادوا من مال الوقف ولا

حق لهم فيه، والذين يعملون على إدارته بشكل مختلف، كل هؤلاء يمنعون فوراً عن هذه الأعمال[1]. وتتم محسابتهم من قبل الجهات الإدارية الكثيرة المسؤولة عن الوقف بدءاً من متولي الوقف وحتى شيخ الإسلام في الدولة العثمانية.

وفي نفس الوقت طبق نظام خاص على مدى واسع كان المتولون طبقاً لهذا النظام (العثماين الخاص) يقومون بشراء عقارات من فائض أموال الوقف ولا يدفعون لباع العقار أكثر من نصف ثمن شرائه، وأحياناً أقل من ذلك بكثير بشرط أن يقوم البائع بتأجيره من المؤسسة... وكان ذلك يخدم مصالح كلا من الطرفين لأنه كان يضمن للوقف تأمين طيب بثمن بخس، وفي نفس الوقت كان يمكن فيه للمستأجر أن يواصل استثمار ما كان ملكاً له بعد أن أصبح في نجوة من الحجز عليه بسبب الدين بحكم تحويله إلى وقف[2].

ولا يصح أن نفهم من هذا النظام الخاص وجود أي شبهة استغلال، إذ من الواضح أنه كان لا يلجأ إلى هذا النظام إلا المتعثرين مالياً أو من يخاف عوائد الزمن من دين أو حجز وغيره، فكأنه يجيء بشريك قوي ليرفع من أسهمه السوقية ووضعه المالي، كما كانت مؤسسة الوقف كذلك تستفيد باستثمار فائض عائداتها باستثمار أموال قليلة في مشروعات أكبر بكثير من تلك الأموال، مع عدم تحمل عبئاً كبيراً في مسألة الإدارة.

إذاً ليس هناك أدنى شبهة غبن أو ظلم أو استغلال باسم الدين في هذه المسألة. وأورد هنا معلومة تدعم ما ذهبت إليه، فإن الأوقاف الكبرى للسلاطين كالجوامع الكبرى والكليات كانت تتم في أرقى أماكن المدينة، وبالطبع كان ذلك يتطلب مساحات شاسعة وما يستتبع ذلك من عمليات نزع الملكية، ولايت كانت تتم مقابل تعويضات ضخمة، بل كان هناك استغلال، ولكن من جهة أصحا الأراضي ضد السلطان.

وطبقاً لما أورده يلماز أوزتونا[1]، «كانت حقوق أصحاب الأملاك تبلغ أرقاماً خيالية، وكان الاتفاق يجري مع صاحب العرصة ويقبض القيمة، وكثيراً ما

دفع أكثر من القيمة الحقيقية، لأن العثماني يؤمن بصورة جازمة أن التأسيس الذي يشيد على أراض أخذت قسراً من صاحبها، لا يكون مقبولاً عن الله، ولا يمكن أن تكون هذه الخيرات، وقد شوهد من دخل في مساومة قاسية مع السلطان بالذات وطلب مبالغ فاحشة وحصل على طلبه».

حول أسباب انتشار الأوقاف واستمرارها :

ثمة علاقة جدلية بين الأوقاف وبين الحضارة التركية في وجهها السلجوقي والعثماني بصفة خاصة، تتبين قسمات هذه العلاقة في التأثير المتبادل بين الطرفين، ودور كل منهما في الارتقاء بالآخر، ونحاول هنا إبراز قسمات هذه العلاقة من خلال الحديث حول أسباب انتشار الأوقاف.

وهناك الكثير من الأسباب يمكننا أن نرجعها إلى عدة عوامل :

أولاً: العوامل الفطرية والدينية :

١- فالإحساس بمساعدة الآخرين في فطرة الإنسان لاشك أنه قديم مثل قدم التاريخ نفسه، وعند اتحاد هذا الإحساس مع الأحكام والأوامر الدينية فإنه يكتسب قوة أكبر، ويلزم البحث عن الوازع الديني هنا كسبب لقيام الأوقاف في البلاد الإسلامية بمهمة عظيمة على مر العصور[٢].

٢- لقد استند تطور الوقف[١] إلى الحديث النبوي: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٢]. فالوقف صدقة جارية لاشك، كما أن الدعاء للواقف كثيراً ما كان مطلباً ملحاً في الكثير من الوقفيات، والتركيز هنا على العلم الذي كانت مؤسساته هي ذاتها المؤسسات الوقفية في بدايتها ثم تطورت معه في المسجد إلى الكتاب فالمدرسة فالكليات الوقفية، وبقية خدمات الوقف الأخرى.

٣- وليس متغرباً هنا أن نذكر أنه قد ترجمت كلمة الصدقة الموجودة في بعض الأحاديث إلى اللغة الفارسية والتركية بكلمة الوقف[٣].

٤- ليس جميع الذين يقومون بالوقف أغنياء، ولم يتأخر أيضاً الذين لا تكفى قواهم لانتشار مؤسسات عظيمة في العالم الإسلامي التركي عن الانضمام إلى المؤسسات الخيرية، إن مئات السيدات كن يعطين ثرواتهن المالية مثل منازلهن وحدائقهن وحقولهن وأشياء زينتهن (حليهن) لتوفير مصادر دخل وإن كان محدوداً لمؤسسة الوقف التي يكون دخلها قليلاً. وهكذا فإن هؤلاء الذين ليست لديهم الإمكانيات قد انتهجوا طريق الوقف ولو بما يفي بنفقات القنديل الذي سيضيء مؤسسة الدين والعلم(٤).

ثانياً: العوامل الفقهية :

٥- لأن الأوقاف هي مؤسسات تحمل فكراً دينياً وعقيدة دينية فإنها ظلت خارج الاضطرابات الإدارية والسياسية(٥).

٦- أيضاً شرط أن تكون الأوقاف مستمرة شكل «أبدي» وبناء عليه فلا يمكن الرجوع عن الوقف بعد فترة معينة. ولذلك تحققت استمرارية الأوقاف، وعدم استطاعة الواقف استردادها... وهما محورين رئيسيين مهمين لضمان استمرارية هذه الأوقاف(١).

٧- وقد تضخم هذا الدور للوقف نتيجة لتطور فقهي سياسي جديد... فتوى عن الفقيه المعروف ابن أبي عصرون (٤٨٢-٥٨٥هـ/١٠٨٨-١١٨٨م) يتيح وقف أراضي بيت المال على جهات الخير كالمدارس والربط(٢).

٨- ويرى الباحث الأمريكي (جون ماندفيل J. Mandaville) الذي اهتم بموقف الفقه العثماني في قضية «الوقف النقدي»(٣)، في هذه المرونة الملفتة للنظر وإسهاماً آخر للعثمانيين في الحضارة الإسلامية، إن الوق النقدي - بعد تطور الموقف الفهقي بهذا الشكل - لم يعد مثيراً للحرج والشك عند الغالبية على الأقل، ولذلك فقد اكتسب رخماً جديداً في نهاية القرن السادس عشر والقرن السابع عشر حتى في المناطق التي لم ينتشر فيها من قبل ذلك كما في البلاد العربية(٤).

٩- كذلك لأن الأوقاف غير المنقولة لا يمكن مصادرتها... ولا يملك أيضاً تغيير مجال استخدامها، وليس لمتوليها الحق أيضاً في القيام بتصرف يتنافس مع أسس ومبادىء الوقف[٥].

ثالثاً: العوامل الراجعة لطبيعة الدولة وأيديولوجيتها :

١٠- وفي الواقع أن هذا الانتشار الواسع للوقف يعود فيما يعود إلى طبيعة الدولة العثمانية، فقد تمثلت الدولة العثمانية منذ بدايتها تقاليد الدولة السلجوقية -سلاجقة الروم- التي أصبح الوقف فيها يقوم بمهام دينية تعليمية اجتماعية مساعدة للدولة، واعتبرت نفسها منذ البداية دولة الإسلام[١].

١١- والعثمانيون كانوا يهتمون بالأوقاف منذ قديم الزمن دون أن يمسوا الأوقاف الكائنة في الأماكن التي فتحوه. إن وثائق عديدة تبرز وتوضح أن المديرين الجدد هؤلاء كانوا يولون شروط الأوقاف نفس الأهمية والاهتمام في الولايات الموجودة تحت سلطة الحكام المسلمين بعد فتح العثمانيين لها[٢].

١٢- كما أن السلاطين العثمانيين لم يكتفوا بالقيام بالأوقاف فحسب، بل أنهم ساهموا وساعدوا غيرهم في نفس الوقت ممن يقوموا بوقف أملاكهم من خلال المساعدات النقدية. وبجانب هذا فإنه يتم مساعدة الأوقاف بصورة مادية مثل محاصيل الأرز وغيرها[٣].

١٣- مما ساعد الدولة العثمانية على إنجاز المهام بوساطة الوقف، العلاقة التي كانت تربط السلطان بأفراد النخبة الحاكمة (أبناء الدوشرمة)... كان هؤلاء يعتبرون السلطان المثل الأعلى، الأب أو السيد المطاع... كانت هذه الدولة تمنحهم امتيازات واسعة تساعدهم على جمع ثروات كبيرة... كان من مصلحتهم أيضاً إنفاق بعض هذه الثروات من خلال الوقف لأجل استقرار واستمرار هذه الدولة[٤].

١٤- ومن ناحية أخرى تجدر الإشارة إلى الاهتمام الكبير لأفراد النخبة

الحاكمة بإنشاء الكثير من المنشآت العمرانية في إطار الوقف... في المناطق التي جاءوا منها وبالتحديد في أوطانهم، إذ أن هذه المنشآت العمرانية كانت تفيد مناطقهم وترفع كثيراً من قدرهم في نظر أبناء تلك المناطق[١].

العوامل العمرانية :

١٥- دخول مسلمي الشرق تحت الحكم التركي مع تأسيس الدولة السلجوقية العظمى قد تسبب في ظهور أضعاف مضاعفة من مؤسسة الوقف، وإن سياسة أهل السنة التي انتهجتها الدولة السلجوقية إزاء الدولة الفاطمية الشيعية قد تسبب في ظهور مؤسسات دينية كثيرة جداً من جديد في جميع أرجاء الدولة[٢].

١٦- تزايد الطرق الصوفية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر قد تسبب في ازدياد رأس مال الوقف بنسبة مذهلة[٣].

١٧- كما أن الوزير السلجوقي «نظام الملك» الذي كان يريد لدولته الفتية البقاء، ولأهدافه الإسلامية الانتشار كان عليه أن يتخذ الأهبة لمقابلة أصحاب المذاهب الهدامة وبنفس الوسائل التي استعملوها وأن يهيء لأعوانه ومسانديه الأسباب التي اتخذوها... من تأسيس المدارس ونشر علوم الدين... لم يتسلم منصبه الوزاري حتى شرع في تأسيس مدارسه النظامية[٤]، وكانت تلك المدارس مؤسسات وقفية.

خامساً : العوامل الإدارية والتنظيمية :

١٨- أصبح الواقف الحريص على نجاح الوقف أو استمراره... يسعى إلى ضمان نوع من التوازن بين المنشآت الأولى (الخيرية) والمنشآت الأخرى (المساعدة) لكي لا يتعطل عمل الوقف بعد موته... وضمن هذا التوازن لا يدخل فقط تغطية الخدمات المجانية التي تقدمها المنشآت الخيرية، بل يشمل الأمر أيضاً نفقات ترميم هذه المنشآت من وقت لآخر لكي تصمد في وجه

الزمن[١].

١٩- أما فيما يتعلق بالأوقاف المرصودة لها أملاك شاسعة فكان الأمر يتطلب من الواقف أيضاً أن يقوم أحياناً برصد مبلغ لتعيين سكرتير ومحصل ومعماري ومرمجي[٢] في الحالات التي توجد فيها مبان، بالإضافة إلى موظف مهمته التأكد من عدم تشويه الجدران بالنقوش[٣].

٢٠- كانت إيرادات الأعيان الموقوفة تزيد أحياناً على المصروفات المخصصة للإنفاق على المؤسسات الدينية أو الخيرية المحددة في نصوص الوقفية، فكانت هذه الزيادة أو الفائض تشكل مالاً احتياطياً يطلق عليه الدولاب[٤]... ومن هذا الدولاب أو الفائض كانت إدارة الوقف تشتري أعياناً جديدة... ثم تحبس هذه على المؤسسات الدينية أو الخيرية أو غيرها[٥].

٢١- وقد أثبتت تجارب عدة قرون في كثير من البلدان أن أملاك الوقف قد انهارت بسرعة ولمواجهة هذا الاحتمال وجدت خطة شبه قانونية تقتضي استدال أملاك الوقف بأملاك أخرى لها نفس القيمة تصبح أوقافاً[١]. فإن الإسلام ينظر إلى الأصول الثابتة المنتجة نظرة متميزة، ويحض على الاحتفاظ بها وتنميتها لما في ذلك من فوائد للتنمية[٢]، وقد ورد في هذا بعض الأحاديث النبوية، روي عن سعيد ابن حريث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من باع داراً أو عقاراً فلم يجعل ثمنه في مثله كان قمناً أن لا يبارك له فيه»[٣].

٢٢- كما أن دور الوقف في تنمية الثقافة أخذ يبرز منذ القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي، أي حين أصبحت المدرسة مؤسسة منفصلة عن الجامع، وذلك بعد أن بادر الوزير نظام الملك إلى إنشاء شبكة واسعة من المدارس في أهم مدن العراق وفارس وبلاد الجزيرة وديار بكر[٤].

مدينة الزقازيق
عاصمة الشرقية

د. عبدالحكيم الطحاوي
معهد الدراسات الآسيوية - جامعة الزقازيق

مقدمة

يشرفني أن أشارك في هذا الكتاب التذكاري عن أستاذي الجليل الدكتور رأفت غنيمي الشيخ مع هذه النخبة اطيبة من تلاميذه الكرام، وهو أحد أعلام التاريخ الحديث والمعاصر وصاحب مدرسة كبيرة في هذا التخصص تضم العديد من التلامي على مستوى العالم العربي.

وإذ أقدم مشاركتي المتواضعة بعنوان «مدينة الزقازيق عاصمة الشرقية»، التي تحمل في مضمونها المعاني الكبيرة لأنها تتناول تاريخ المدينة التي شهدت نشأة ونشاط أستاذي الجليل، كمقدمة لمشروع كتاب كبير كنا قد تناولنا الحديث عنه أنا وأستاذي في أحد الأيام، ولم أجد أطيب من هذه المناسبة لتكون هذه الكلمات ضمن الموضوعات التي يحتويها هذا الكتاب، لأن مدينة الزقازيق تحمل الكثير والكثير من المعاني والذكريات للأستاذ الدكتور رأفت الشيخ الذي يعد ضمن أبرز معالم جامعة الزقازيق وبالتالي مدينة الزقازيق عاصمة محافظة الشرقية.

مع خالص الشكر والتقدير

د. عبدالحكيم عامر الطحاوي

مدينة الزقازيق - عاصمة الشرقية
«دراسة تاريخية»

إذا كانت جمهورية مصر العربية تتمتع بموقع فريد بين دول العالم حيث تربط بين قارات أفريقيا وآسيا وأوروبا مما جعل منها محط أنظار الاستراتيجية العالمية قديماً وحديثاً، وشكلت من هذا الموقع واحدة من أعظم

الحضارات التي ظهرت عبر تارخ البشرية، فإن أرض محافظة الشرقية وبعاصمتها مدينة الزقازيق ظلت المدخل الرئيسي لذلك الموقع الفريد بين دول العالم.

ومن هنا نالت مدينة الزقازيق عاصمة محافظة الشرقية القدر الكبير من الأهمية بين عواصم المحافظات المصرية لما تتميز به من موقع متوسط أدى بها لأن تكون عاصمة لمحافظات شرق الدلتا بالكامل وليس لمحافظة الشرقية فقط.

فمدينة الزقازيق نقطة التقاء ووصل بين مدينة المنصورة عاصمة محافظة الدقهلية غرباً والإسماعلية شرقاً وبين دمياط وبور سعيد شمالاً ومدينة بنها عاصمة محافظة القليوبية جنوباً وصولاً إلى مدينة القاهرة عاصمة مصرنا الحبيبة التي تبعد عن مدينة الزقازيق بحوالي ٨٠ كيلومتراً.

ومدينة الزقازيق عاصمة لثاني محافظة من محافظات الجمهورية من حيث المساحة، والتي تضم الكثير من المراكز ولامدن المهمة بداية م مدينة بلبيس العاصمة السابقة للشرقية، والعاشر م رمضان والصالحية الجديدة أحدث مدن المحافظة مروراً بمدن ومراكز منيا القمح وأبوحماد وديرب نجم وههيا وأبوكبير وكفر صقر وحتى فاقوس والحسينية وغيرها، بما تضم من قرى ووحدات محلية حول مدينة الزقازيق العاصمة التي يرفرف عليها علم محافظة الشرقية الأخضر الذي يتوسطه الحصان العربي الأبيض أهم ما تشتهر به محافظة الشرقية.

أما نشأة مدينة الزقازيق تلك المدينة المهمة على هذا النحو، فقد ورد أول ذكر لموقعها في خرائط الحملة الفرنسية تحت اسم «كفر زجري»، ولعله كان تحريفاً لاسم المكان الذي يقطن فيه وأسرته الشيخ زقزوق على بحر مويس أحد فروع مياه نهر النيل والذي عرف بكفر الزقازيق.

وعندما تولى محمد علي باشا حكم مصر عام ١٨٠٥م وبدأ في بناء مصر الحديثة، كان مما فعله للسير نحو الاهتمام بالشؤون الداخلية، أن قام في

عام ١٨١٣م بمسح شامل للأراضي الزراعية المصرية، وأمر بتقسيم البلاد إلى سبع مناطق «مديريات» كان من بينها مديرية الشرقية وكانت مدينة بلبيس عاصمة لها، ثم أخذ يطبق سياسة الاهتمام بوسائل الري لزيادة الرقعة الزراعية في مصر فأمر بحفر الترع وإنشاء القناطر لتوزيع المياه لتوفير الري الدائم.

وكان مما أمر به عام ١٢٧م كما يذكر علي مبارك في الخطط التوفيقية إنشاء قناطر على بحر مويس ووقع الاختيار على مكان جنوب كفر الزقازيق بحوالي ٤٠٠ متر لإنشاء القناطر لتوزيع المياه في مديرية الشرقية، وعندما بدأ البناء كانت أسرة زقزوق تورد العمالة اللازمة له وتقيم لهم أماكن للسكن وفد إليها الباعة، وما أن تم الانتهاء من إنشاء القناطر عام ١٨٣٢م حتى اتسعت هذه المساحة وسميت نزلة الزقازيق، وكان من الضروري على رجال هندسة الري أن يطلقوا على القناطر اسماً في كشوفهم فأطلقوا عليها اسم قناطر الزقازيق.

وعندما جاء محمد علي باشا لافتتاح هذه القناطر قدم رجال الهندسة إليه الشيخ إبراهيم زقزوق ككبير للعمال الذين أنشأوا تلك القناطر، وأخبره مهندسو الري بأنهم أطلقوا عليها اسم قناطر الزقازيق، فما كان من محمد علي إلا أن أبدى ارتياحه وقال لهم «فلتن الزقازيق على بركة الله».

إذن ارتبطت نشأة مدينة الزقازيق بتلك الواقعة عام ١٨٣٢م، حيث بدأ اسمها يتردد وأخذ في الظهور وتصادف أن طلب مهندسو الري نقل ديوان هندسة الري من مدينة بلبيس عاصمة الشرقية إلى الزقازيق بجوار القناطر الجديدة، فلقي ذلك الطلب قبولاً لدى محمد علي باشا الذي وجد في موقع الزقازيق أقرب إلى وسط المديرية من بلبيس، فاتخذ قراره عام ١٨٣٣م بنقل هندسة الري إلى الزقازيق، والذي تبعه بقرار آخر بنقل ديوان المديرية من بلبيس إلى الزقازيق، وفي عام ١٨٣٦من أمر بإنشاء أول ديوان لأعمال موظفي المديرية والمصالح الحكومية، والذي ضم ديوان هندسة الري وديوان

الصحة وديوان المجلس المحلي ومجلس الدعاوي ومجلس المشيخة ومجلس التنظيم ومدرسة ابتدائية ومحكمة شرعية وحلقة لبيع القطن، بالإضافة إلى المسجد الكبير الذي كان قد بناه أثناء إنشاء القناطر فأصبحت منذ ذلك الوقت الزقازيق مدينة وعاصمة لمديرية الشرقية زادت مساحتها نتيجة لتردد أصحاب المصالح عليها حيث بدأ يقيم فيها بجوار المصالح الحكومية أصحاب الحرف والصناعات والتجار وأخذت تؤدي رسالتها كعاصمة لأحد أهم الأقاليم المصرية.

ولقد شهدت مدينة الزقازيق مع متصف القرن التاسع عشر الميلادي الكثير من التطور العمراني في عهد خلفاء محمد علي باشا، وهو الأمر الذي انعكس على أهمية الدور التاريخي الذي قامت به خلال الأحداث المهمة التي شهدتها مصر في تلك الفترة، فقد زادت مساحة المدينة حول بحر مويس وتعددت أحياؤها، بعدما كانت تشتمل على أحياء أخرى جاءت مع النقلة الكبرى التي طرأت على مدينة الزقازيق في عام ١٨٦٠م، عندما تم توصيل خط السكة الحديد الرئيسي الواصل بين القاهرة ومدينة الإسكندرية إلى الزقازيق، فكانت أول مدينة فرعية تصلها خطوط السكة الحديدية بعد العاصمة والميناء الرئيسي للدولة، مما أدى إلى زيادة أهمية مدينة الزقازيق وتوسعها العمراني خاصة وأن هذا الخط تبعه تفريع عدة خطوط كانت الزقازيق مركزاً لها، حيث تم توصيلها بمدينتي المنصورة وبلبيس عام ١٨٦٥م ثم بمدينة الإسماعيلية حيث كان حفر قناة السويس على أشده، الأمر الذي جعل من مدينة الزقازيق مركز تجميع للمواصلات ليس للدلتا فحسب بل من وسط وغرب الدلتا، ليذهب العمال إلى حفر القناة التي افتتحت في عام ١٨٦٩م، حيث كانت الأهمية الجديدة لمدينة الزقازيق في ربط مدن القناة بالدلتا والقاهرة، فانعكس الأمر على ازدياد العمران والسكان فنشأت كتلة سكنية جديدة حول تفريعات المواصلات المجاورة للأحياء الأخرى على بحر مويس، ونشأت أحياء النظام والإشارة والصيادين وكفر الزقازيق القبلي

ويوسف بك وغيرها.

وفي تلك الفترة كانت مصر تشهد أحداثاً مهمة في أعقاب افتتاح قناة السويس، فإذا كانت الزقازيق مركزاً لتجميع العمال الذين يذهبون لحفر قناة السويس فإن افتتاح القناة وازدياد أهميتها ونشأة المدن وازدهارها على ضفتيها مثل بورسعيد والإسماعيلية انعكس على زيادة أهمية مدينة الزقازيق أيضاً، ومن ثم عندما زادت أهمية القناة بالنسبة للدول الأوروبية خاصة انجلترا وفرنسا دار بينها الصراع لامتلاك أسهم القناة، وهو الأمر الذي أدى في النهاية إلى زيادة التدخل البريطاني في شؤون مصر، فقد قدر لمدينة الزقازيق أن تشارك في هذه الأحداث للدفاع عن مصر، عبر أحد أبنائها الذي نشأ وتعلم فيها وهو الزعيم الوطني أحمد عرابي، الذي ولد عام ١٨٤١م بمنطقة هرية رزنة إحدى القرى المجاورة للزقازيق، والآن هي ضمن أحيائها، حيث كان قد تلقى تعليمه الأولي في الكتاتيب ثم انتقل إلى المدرسة بمدينة الزقازيق قبل أن يرحل إلى الأزهر الشريف.

وفي القاهرة انضم إلى صفوف الجيش ووصل به الأمر إلى قيادة الحركة الوطنية ليكون الزعيم الوطني الأول في التاريخ المصري الحديث والمعاصر، من خلال قيادته لتلك الحركة الوطنية وتقديمه للمطالب الشهيرة التي قدمها اللخديوي توفيق في يوم ٩ سبتمبر عام ١٨٨١م، والتي كان رفض الخديوي لها بداية ثورة ضد الوجود الأجنبي انطلقت مع قول عرابي: «لقد خلقنا الله أحراراً ولن نورث بعد اليوم»، تلك الثورة التي نجحت في تحقيق أهدافها وغيرت الوزارة المصرية عندما تم عزل رياض باشا، وتولي شريف باشا الذي أيده زعماء الثورة، وكان ذلك بداية السير على طريق الديموقراطية بإجراء انتخابات ١١ نوفمبر ١٨٨١م والتي أعقبها قيام الخديوي توفيق بافتتاح مجلس الشورى المصري لأول مرة في٢٦ ديسمبر ١٨٨١م.

وفي مطلع عام ١٨٨٢م عين أحمد عرابي وكيلاً لوزارة الحربية، فكان إشراكه

في مسؤولية الحكم بداية مرحلة جديدة له وصلت به إلى منصب وزير الحربية، كأول مواطن مصري الأصول يصل إلى هذا المنصب، ضمن الوزارة التي ألفها محمود سمي البارودي والتي كانت انتصاراً للثورة ضد سلطة الخديوي والدول الأوروبية، فكان لابد من التصادم بين الثورة والدول الأوروبية، ويهمنا منه أن ابن الزقازيق أحمد عرابي أصبح الزعيم الوطني الذي يتمتع بالتأييد الكامل من كل طوائف الشعب المصري، الذي يتذكر كلماته التي قالها إلى جلادستون «إن مبدأ مصر للمصريين هو الشعور الذي أود أن أسلم به»، تطلع المصريون إلى أحمد عرابي كحامي للديار المصرية، ووقفوا خلفه، وشارك أهل بلدته الزقازيق بالثورة ضد الأجانب الموجودين بالمدينة، وكما ذكر الرافعي قاموا بقتل أعداد كثيرة منهم رداً على ضربة الإسكندرية، ولعل عربي ظل يدافع عن الأراضي المصرية في ظل التحالف الأجنبي ضده الذي انتهى بالاحتلال البريطاني وذلك موضوع آخر، وكان من نتيجة نفي عرابي خارج مصر لتقع مدينة الزقازيق كبقية القطر المصري تحت وطأة الاحتلال منذ عام ١٨٨٢م.

ولقد أطل القرن الشعرين على مدينة الزقازيق وقد أخذت أهميتها تبرز مع زيادة الاهتمام بمنطقة قناة السويس، فبدأت المصالح الحكومية تزداد في المدينة مع إنشاء العديد من المصانع، فأصبحت الحاجة ملحة إلى حدوث النقلة الجديدة لمدينة الزقازيق مع دخول المرافق إليها مثل مرفق المياه عام ١٩٠٧م، والذي تبعه العديد من الإنشاءات حتى كان إدخال الكهرباء للزقازيق عام ١٩٢٢م العلامة البارزة لتطور المدينة توسعها في جميع الاتجاهات، لتتكون من ثمانية شياخات هي أحياء النحال والحريري وحسن صالح وكفر الزقازيق البحري وكفر عبدالعزيز والحسينية ومنشأة أباظة، ويزداد عدد السكان والمصانع والمصالح الحكومية في ظل ربط المدينة بطرق المواصلات المرصوفة عام ١٩٣٦م مما زاد من مساحة وأهمية مدينة الزقازيق.

ولقد شهدت مدينة الزقازيق مع بداية منتصف القرن العشرين مع قيام

الثورة المصرية عام ١٩٥٢م أكبر مراحل النمو، وبعدما كان سكانها لا يزيدون على مائة وخمسة وعشرون ألفاً عام ١٩٦٠م، بدأت الزقازيق في أعقاب ذلك زيادة كبيرة في النمو العمراني والنمو السكاني لتصل إلى أضعاف ما كانت عليه منذ نشأتها وحتى ذلك العام ١٩٦٠م، الذي يعتبر من الأعوام الفاصلة في تاريخ الزقازيق حيث تحولت المديرية إلى محافظة وأصبحت عاصمة لمحافظة الشرقية، ويرفرف عليها علم الشرقية الأخضر الذي يتوسطه الحصان العربي الأصيل نسبة إلى شهرة أهل الشرقية بتربية الخيول العربية الأصيلة، ومن بينهم قبيلة عرب الطحاوية التي تنتشر في مدن وقرى مراكز بلبيس وأبوحماد وأبوكبير وكفر صقر وفاقوس والحسينية وجزيرة سعود.

ومنذ ذلك الوقت زادت مساحة مدينة الزقازيق إلى أكثر من خمسة أمثال ما كانت عليه مما أدى إلى وصول حدود المدينة إلى الأماكن المحيطة بها مثل تل بسطه المدينة الأثرية لتكون ضمن أحياء مدينة الزقازيق، التي تم وضع تقسيم جديد لها في عام ١٩٧٠م لتضم قسمين إداريين هما قسم أول: ويضم شياخات أو أحياء هي النحال والحسينية ومنشأة أباظة والحريري والمنتزه والنظام ومعوض وكلها جنوب بحر مويس، أما القسم الثاني: فيضم شياخات أو أحياء الإشارة وكفر عبدالعزيز والصيادين وكفر الزقازيق البحري والقبلي ويوسف بك وحسن صالح والحكماء والجامع وكلها تقع إلى الشمال من بحر مويس، ولعل ذلك التطور الهائل الذي طرأ على مدينة الزقازيق في الثلث الأخير من القرن العشرين إنما يرجع إلى عدة عوامل رئيسية من بينها:

١- إنشاء العديد من المصانع على مساحات واسعة في أطراف المدينة مثل مصانع الغزل والنسيج والمطاحن.

٢- ظهور المنشآت الحكومية التي بدأت في أعقاب إنشاء مبنى المحافظة الجديدة عام ١٩٦٠م، والذي تبعه إنشاء مجمع المصالح الحكومية ثم المديريات والأندية والساحات وغيرها من المنشآت الهامة.

٣- إنشاء جامعة الزقازيق بالقرار رقم ١٨ لسنة ١٩٧٤م، والتي بدأت بكليات الزراعة والتجارة والطب البيطري والتربية والعلوم والطب البشري ثم الآداب، والحقوق والصيدلة عام ١٩٧٥م، حتى شملت الآن جميع التخصصات التي تغطي مراحل التعليم المختلفة، بالإضافة إلى فروع جامعة الأزهر بمدينة الزقازيق، مما أدى إلى إنشاء المدن الجامعية ومستشفى الطلبة ومساكن للعاملين بالجامعة، وغير ذلك من الأمور التي أدت إلى زيادة التوسع العمراني لمدينة الزقازيق.

٤- إنشاء المناطق السياحية بمدينة الزقازيق خاصة تلك التي أقيمت بمدينة تل بسطه، حيث المتحف الذي يحكي تاريخ تلك المدينة الأثرية الفرعونية، ومتحف هرية رزنة الذي يحكي تاريخ الشرقية في العصر الحديث من مواقف عرابي إلى طلعت حرب إلى العدوان الإسرائيلي على أطفال مدرسة بحر البقر الابتدائية بالشرقية.

كل هذه العوامل وصلت بمدينة الزقازيق لأن تكون أكبر مدن شرق الدلتا من حيث المساحة والكسان الذين اقتربوا من مليون نسمة حسب تعداد عام ٢٠٠٠م.

تلك في عجالة مدينة الزقازيق التي أنشأها محمد علي باشا واتخذها عاصمة للشرقية ولعبت دورها من خلال أبنائها ومواقفهم الوطنية ضمن تاريخ مصر الحديث والمعاصر، بداية من مواجهة الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢م وحتى كانت أحد الخطوط الأمامية خلال نصر العاشر من رمضان السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م، ومازالت تؤدي رسالتها ضمن أبرز المدن في النهضة المصرية المعاصرة بقيادة الرئيس حسني مبارك.

المصادر

أ) العربية :

- محفوظات قصر عابدين، المحفظة رقم ٢٨ وغيرها.

- الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء.
- مركز المعلومات بالمحافظة: الشرقية في أرض التاريخ.
- أحمد عرابي: مذكراته.
- عبدالرحمن الرافعي: عصر محمد علي.
- د. عبدالعزيز الشناوي: السخرة في حفر قناة السويس.
- د. عبدالفتاح حزين: الإقليم الخاص.
- علي مبارك: الخطط التوفيقية.
- محمد أمين حسونة: مصر والطرق الحديدية.
- محمد رمزي: القاموس الجغرافي.
- نوال فؤاد حامد: محافظة الشرقية، دراسة في جغرافية الريف.

ب) الأجنبية :

- F.O.: 141/110-1977.
- F.O.: 78/3321-1881.
- F.O.: 146/2410-1882.
- F.O.: 141/166-1887.
- Blunt, W.: Secret isotry.
- Cromer: The Earl of Modern Egypt.
- Malet, E.: Egypt 1879-1883.

الشكر والتقدير

ملخص تحقيق مخطوط الطبيب العثماني شاكر القيصري

إعداد رشاد عبدالفتاح محمد خليفة

معهد الدراسات الأسيوية - جامعة الزقازيق

إهداء لأستاذنا الأستاذ الكبير رأفت الشيخ عرفاناً ووفاء وتقديراً متعه الله بالصحة والسعادة

انطلاقاً من المبدأ الإسلامي النبوي في قول الرسول صلى الله عليه وسلم «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»[1]. فإنني أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير، وعميق الامتنان والاعتراف بالجميل لهؤلاء جميعاً:

- الأستاذ الدكتور/ رأفت الشيخ -المؤسس والأب الروحي لهذا الصرح العلمي الفريد من نوعه- معهد الدراسات الآسيوية-، فجزاه الله عني وعن كافة طلاب العلم خير الجزاء.
- الأستاذ الدكتور/ محمد حرب -أحد رواد الدراسات العثمانية والتركية. وصاحب الفضل الأول في اختيار موضوع الرسالة، وإمدادي بالمخطوط الذي قامت عليه الدراسة.
- الأستاذة الدكتورة/ ماجدة مخلوف -الأستاذة التي تفيض علماً وخلقاً وسماحة وسعة صدر، والتي أثرت البحث والباحث بتوجيهاتها العميقة، وإشرافها على الرسالة.
- السيد الدكتور/ حاتم الطحاوي -العلامة، الواعد، وصاحب الجهد الأوفر، والعبء الأكبر في التوجيه والإرشاد وتذليل الصعاب لهذه الدراسة حتى ترى النور.
- الأستاذ الدكتور/ محمد عبدالعظيم -الذي تفضل مشكوراً لمناقشة الرسالة ليثريها بملاحظاته العميقة، ويصوب أخطاءها بتوجيهاته الدقيقة.

كما أتوجه بجزيل الشكر للإخوة الزملاء ولأسرتي الكريمة، وجميع من تفضل بمد يد العون لي أثناء إعداد هذه الدراسة، فلهم مني جميعاً كل الشكر والعرفان.

الباحث

(١) رواه الترمذي في سننه ك: البر والصلة، ب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك عن أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم ١٩٥٤، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، ٣٣٩/٤، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد ثقات، مجمع الزوائد، ١٨٠/٨.

المقدمة :

تعد الحضارة التركية من الحضارات المرتبطة في سياقها التاريخي بالاكتشافات العلمية العديدة التي يعد الطب رمزاً من رموزها منذ بداية ظهورها، وعلامة بارزة في مسيرة تطورها الحضاري، وحينما نضع مؤشرات التقدم الطبي -وخاصة في المجال الطبي- في سيا هذه الدراسة نلاحظ أن احضارة التركية استمدت تقدمها العلمي من الحضارة الإسلامية -خاصة في عهد السلطان سليمان القانوني- الذي اهتم بالدراسات العلمية بصفة عامة وبالدراسات الطبية بصفة خاصة، وأخذ يضع الحوافز المادية والمعنوية للعلماء المطورين والمحدثين، وذلك لزيادة التقدم والتطور في أساليب العلم والتعلم، على جانب منهاج التطبيق الخاصة بالعلاج ومتابعة تأثيراته، والعمل على إيجاد أفضل الأدوية والأعشاب التي من خلالها يمكن القضاء على الأمراض بشكل تام ومباشر.

ومن الأهمية بمكان أن نذكر للسلطان عبدالحميد الثاني -أيضاً- اهتماماته بالولايات التابعة للدولة العثمانية بصفة عامة، وبولاية الحجاز بصفة خاصة، وخاصة من الناحية الطبية نظراً لموسم الحج وما يحدث فيه من انتشار

لبعض الأمراض مثل مرض الكوليرا، لذلك فقد قام بإرسال الطبيب العثماني شاكر القيصري لتقصي الحقائق حول هذا الموضوع، واستطاع هذا الطبيب أن يقدم تقريراً إلى السلطان عبدالحميد الثاني بعد رجوعه من رحلة الحج، وضمنه كل الإجراءات التي يجب أن تتبع في ولاية الحجاز من الناحية الطبية عن طريق إنشاء مستشفيات (بيمارستانات) تفي بحاجة الحجاج، وهذا التقرير في مخطوط له أثره الطبي في الحضارة العثمانية. مما جعل العلوم الطبية في عصر السلطان عبدالحميد ذات مغزى علمي له صداه في سائر الولايات العثمانية.

وعندما انضم الباحث إلى مدرسة الدكتور/ محمد حرب، لينهل من علمه، ويتشرب من أخلاقياته، وجد لديه اهتماماً كبيراً بالدراسات العثمانية عامة، والجانب الحضاري من هذه الدولة بصفة خاصة.

كما أن انضمام الباحث إلى قافلة الدراسة في معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، والذي صاغ فلسفته الأستاذ الدكتور/ رأفت الشيخ، هذه الفلسفة التي ترمي إلى دراسة كافة الجوانب الحضارية الماضية والمستقبلية للقارة الآسيوية الصاعدة والواعدة في كافة المجالات.

كما أن إحياء التراث، ونشر المخطوطات، وترجمة التراث العلمي يحقق تفاعل التثقافات، ويبرز تاريخ العلوم العلوم في الحضارات المختلفة التي نشأت في البلدان الإسلامية، مما يوجد المبرر والحافز للحفاظ على استمرارية تواصل هذه الحضارة ذات الجذور البعيدة.

وكان تضافر هذه الأسباب السابقة جميعاً، سبباً مباشراً ومؤيداً في اختيار الموضوع محل الدراسة، وهو تتبع التاريخ الحضاري لأحد الجوانب العلمية البارزة في الحضارة الإسلامية وهو (الطب) وخاصة في الحضارة العثمانية، متخذاً لذلك نموذجاً هو أحد مخطوطات ذلك الموضوع، والتي لم تعمد إلى دراسة الأمراض وعلاجها، وإنما يمكن أن نطلق عليها «دراسة حالة» كما هو الوضع في العلوم الاجتماعية، إذ أن المخطوط جديد نسبياً، يرجع تاريخ

كتابته إلى العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، وهو عبارة عن تقرير طبي اجتماعي لوصف الحالة الصحية لبعض المدن المقدسة في منطقة الحجاز بوصفها إحدى الولايات التابعة للخلافة العثمانية، ويتعدى التقرير الناحية الوصفية والاستطلاعية، وإلى وضع المقترحات والحلول للمشكلات التي درسها الطبيب العسكري القائمقام (شاكر القيصري) وجعلها في صورة لائحة طبية في نهاية مخطوطه الذي تمت ترجمة القسم الثاني منه ليكون نموذجاً للموضوع محل البحث.

ولقد ظفرت الدولة العثمانية برقعة زمانية ومكانية قلما تيسرت لدولة أخرى في تاريخ البشرية، إذ امتد حكمها إلى قارات ثلاث (آسيا، إفريقيا، أوروبا)، وامتدت زمانياً إلى ما يزيد على ستة قرون، حكمت فيها شعوباً وأمماً شتى، ومرت خلال هذه القرون بحالات من القوة والضعف، والازدهار والانهيار، والتمدد والانكماش، كغيرها من بقية الدول في كثير من جوانبها، إلا أنها لم تأخذ حظها بعد من الدراسات الدقيقة والرصينة والمجردة من الأهواء والتحامل، أو حتى الدراسات المتعمقة والمستندة على أدلة علمية من الوثائق والمخطوطات اليت يذخر بها الأرشيف العثماني.

كما أن هذه الدولة رغم كثرة ما كتب عنها بكل اللغات، توجهت معظم هذه الكتابات إلى دراسة الجوانب السياسية والعسكرية لها، وقلت كثيراً تلك الدراسات التي تتناول الجوانب الحضارية في التاريخ العثماني، والسبب الأبرز في هذا الإهمال الحضاري شبه المتعمد هو الموقف العدائي الذي اتخذه معظم الدارسون الأجانب ضد الدولة العثمانية صاحبة الخلافة الإسلامية في أوروبا المسيحية، وثمة سبب آخر هو تراكم هذا الكم الهائل من الوثائق والمخطوطات بلغتها العثمانية الصعبة، تراكمها وتناثرها في كثير من مكتبات العالم دون تنظيم أو تنسيق أو تبويب يُسهّل على الباحث مهمته في البحث والتنقيب واستخراج الحقائق من مصادرها الأصلية.

وقد حاول الباحث -من خلال هذه الدراسة- اتخاذ خطوة أخرى على طريق

الدراسات الحضارية للدولة العثمانية، فتناولت إحدى ركائز الجانب العلمي في تلك الحضارة وهو الطب، كما جاهدت من خلال تلك الدراسة في اتخاذ خطوة أوسع نحو إيجاد نموذج لإحدى الدراسات الطبية والصحية التي تصف الواقع الطبي في إحدى الولايات العثمانية (الحجاز)، وقدمت ترجمة القسم الثاني من مخطوط (تقرير الطبيب العثماني العسكري القائمقام شاكر القيصري) وهو عبارة عن قسمين: الأول منهما يتناول رحلة شاكر القيصري من استانبول في طريق الحج والمدن المقدسة، والقسم الثاني وهو بعنوان (اللائحة الطبية) وهو الذي قمنا بترجمته، وقد قام بإعداد هذه الترجمة مجموعة من الباحثين بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر بالقاهرة.

وقد قابل الباحث كثيراً من المعوقات في إيجاد البيانات والمصادر والمراجع باللغة العربية، حيث خلت المكتبة العربية تقريباً من دراسات تتناول تاريخ الطب العثماني. كما ندرت دراسات تاريخ الطب العثماني حتى في لغتها العثمانية والتركية الحديثة، إلا من كتابين رئيسيين وإن كانا في الأصل مادة واحدة إذ هما لنفس المؤلف (الدكتور عثمان شوقي) وقد اعتمدت عليهما كثيراً في تلمس السياق الرئيسي لمسيرة تاريخ الطب العثماني، وقد كانت رحلة جمع البيانات شاقة، بخاصة في الموسوعات ودوائر المعارف التركية، وما تناثر في مقالات وعبارات في كتب التاريخ التركي عن الطب والأطباء.

محتويات الرسالة :

قسمت الرسالة إلى قسمين: القسم الأول وهو الدراسة، وتشتمل على مدخل تناول فيه الطب في الحضارة الإسلامية بصفة عامة، حتى عهد السلطان عبدالحميد الثاني، وكذلك ولاية الحجاز.

وتناولت في الفصل الأول نشأة الطب في الحضارة العثمانية وبدايته وتطوره وعصوره الذهبية ودور الأوقاف في الطب العثماني في مختلف الولايات

وكذلك المؤسسات الطبية العثمانية.

وجاء الفصل الثاني بعنوان: علم الطب عند العثمانيين، تناولت فيه النواحي الطبية الأكاديمية والإدارية كالتعليم الطبي والمدارس الطبية ونظام الحجر الصحي، وكذلك الصيدلة وصناعة الدواء، والمؤلفات والتراجم الطبية، والوسائل المختلفة وغير التقليدية في العلاج كالعلاج بالموسيقى والمياه المعدنية، ثم تدهور الحياة العلمية والطبية لدى العثمانيين.

وأما في الفصل الثالث والأخير من الدراسة فقد تحدثت فيه عن الحالة الصحية في منطقة الحجاز في الفترات القريبة من زمن كتابة المخطوط – أي قبل عهد السلطان عبدالحميد وأثناء عهده- والجهود التي قامت بها حكوماته تجاه الحالة الصحية هناك، وكذلك انتشار مرض الكوليرا في مواسم الحج، والمقترحات التي قدمت للحكومة العثمانية وماتم إنجازه بالفعل من هذه المقترحات.

ثم جاء القسم الثاني من الرسالة وهو عبارة عن ترجمة القسم الثاني من مخطوطة الطبيب العثماني القائمقام شاكر القيصري، وهي بعنوان (مشاهد من الأحوال العامة والصحية والتدابير الصحية اللازمة للحجاز)، قدمت لها بدراسة لهذه المخطوطة.

وجاءت بعد ذلك الخاتمة وما اشتملت عليه من نتائج وتوصيات. وأتبعت ذلك بإعداد مجموعة من الملاحق التي تتناول كثيراً من النقاط التي تعرض البحث في تاريخ الطب العثماني، ثم ثبت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها أثناء الدراسة.

وفي الختام، إن كان هناك كثير خير قدمته هذه الدراسة، فهو ما قصدت إليه، وإن كان ثمة نقص وتقصير فهو شأن كل عمل بشري، أسأل الله أن يكون عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وهو –سبحانه- ولي التوفيق.

التوصيات والنتائج :

وفي ختام هذا الجهد المبذول، أقول إنه ليس بخاتمة ولكنه بداية أو على الأقل هو إحدى البدايات والخطوات على الطريق لدراسة الجوانب الحضارية للدولة العثمانية من وجهة نظر متوازنة ومحايدة بعيدة عن إفراط المتعصبين لها، أو تفريط المتحاملين عليها، وهي كذلك توصية ودعوة لاستكشاف كنوز الأرشيف العثماني من الوثائق والمخطوطات وما تحمله من حقائق مازلت غائبة، وما تطويه من صفحات تحتاج إلى جهود عدد ضخم من الباحثين لنشرها، لأنها تحتوي فيما تحوي أصول مشكلات كانت ومازالت هي المحرك الأساسي لكثير من الأحداث على الصعيد الدولي (كمشكلة الأقليات العرقية في البلقان).

ومن خلال ماسبق من فصول البحث نستطيع الخروج بالنتائج التالية:

أولاً: أن الدولة العثمانية ليست فقط دولة عسكرية في كل مناهجها، إنما هي دولة عظمى مكتملة الأركان، وأن حضارتها وعطاءها الحضاري لا يقل بحال -إن لم يزد- عن عظمتها في المجال العسكري، واتساع رقعة الحكم، وامتداد سنوات البقاء.

ثانياً: أن الحضارة العثمانية حضارة راسخة الجذور قد استقت كيانها وأصالتها من الحضارات الإسلامية السابقة لها، وأضافت إليها ما توصل إليه علماؤها من عطاء، وما هضمته ثقافتهم وأضافت إليه الشعوب التي دخلت تحت لوائها، وكانت الحضارة العثمانية مكملة لمسيرة الحضارة الإسلامية خاصة، والحضارة الإنسانية عامة على طريق خير البشرية.

ثالثاً: أن الطب في الحضارة العثمانية قد شهد تطوراً كبيراً من حيث منشآته ووسائل تعليمه أو إدارته والرقابة عليه، وكذلك الترجمة والتأليف فيشتى مجالاته، كما شهد أيضاً الطب العثماني في عصره الذهبي ابتكارات شتى من حيث طرق العلاج غير التقليدية كنقل الأعضاء والعلاج بالموسيقى، والعلاج بالمياه والمياه المعدنية، وصناعة الدواء.

رابعاً: ذلك الاهتمام الكبير الذي أولته الحكومات العثمانية المتعاقبة بالولايات العربية -على عكس ماهو شائع- والعمل على حل ودراسة مشكلاتها ووضع الحلول العملية والسريعة والملائمة لها.

خامساً: اهتمام العثمانيون بالجوانب الطبية والحالة الصحية للولايات والسكان حتى أدق الأمور، ودراستها دراسة مستفيضة، والعمل الدائب لحل مشكلاتها، رغم ما تعانيه الدولة في بعض الفترات من إرهاق للميزانية ونقص شديد في الدخل، إلا أن الولايات ذات الطابع الخاص والمقدس - كالحجاز- كانت فوق كل الاعتبارات.

سادساً: نلحظ كذلك المحاولات المستميتة من القوى الكبرى للتدخل في شؤون الدولة العثمانية حتى الداخلي منها، وإيجاد المبررات ذلك -كانتشار الكوليرا- لتدعيم نفوذها، بل والعمل على تقويض النفوذ العثماني، وبالتالي القضاء على الدولة وهيبتها ومكانتها على الصعيد الدولي ولدى رعاياها.

وأخيراً، فإنني أتوجه إلى جمهور الباحثين لمواصلة الجهد في الموضوعات التي طرحتها، فقد كانت مجرد دراسات، وتوضيح للسياق العام لتاريخ الطب العثماني، ومازالت تحتاج إلى دراسات مستفيضة لاستقصاء شتى جوانبها، لرسم صورة متكاملة عن الحضارة العثمانية، والتي كانت آخر امتداد للحضارات الإسلامية التي شهدها العالم قبل تدهورها وانهيار أنظمتها في الربع الأول من القرن العشرين.

دور التكايا والزوايا الديني في تركيا

ملخص رسالة الماجستير التي حصلت عليها من معهد البحوث والدراسات الآسيوية، جامعة الزقازيق، أهديها لأستاذنا وأستاذ الجيل الأستاذ الدكتور رأفت الشيخ مؤسس معهد الدراسات الآسيوية تقديراً لشخصه كعالم متميز قدم لنا الكثير من العلم والخبرة... وقاه الله كل مكروه، وأبعد عنه حسد الحاسدين.

محمد حمدان

معهد الدراسات الآسيوية

دور التكايا والزوايا الديني في العالم الإسلامي نموذج تركيا

إن التكايا والزوايا تمثل إحدى الركائز الهامة لتربية النشء المسلم دينياً واجتماعياً. كان لأهل التكايا على طول التاريخ الإسلامي أسس وقواعد، وكان لها دورها في الحفاظ على فريضة الجهاد، وقد استشهد الكثير من مشايخ الصوفية وذلك أثناء مقاومتهم للغزو المغولي، وكان للصوفية تشكيلاتهم ودورهم داخل الجيش العثماني نفسه، فكانوا يفتحون تكاياهم وزواياهم حيثما يحل الجيش. وللتكايا الدور الفعال في نشر الإسلام في أواسط آسيا وأفريقيا ولقد خاب أمل المؤسسات التعليمية في بلاد الغرب في إعداد نشء صالح أدبياً ودينياً وفكرياً واجتماعياً بينما قامت التكايا والزوايا لمعالجة تلك الجوانب، وكان لها الأثر في المجتمعات الإسلامية وخاصة المجتمع التركي. ولما أرادت الحركة الكمالية فصل الشعب التركي عن تراثه الإسلامي وكيانه الفكري قامت التكايا باتخاذ قرارات وعمل فعلي ضد الحركة الكمالية الهدامية، وتعرض أصحاب التكايا إلى الحبس والإعدام أحياناً من أجل الحفاظ على هوية الدين والدولة. فهي مؤسسة تربوية تعليمية تنمي حياة الفرد المسلم من خلال أصحابها، حيث وجدت

تكايا كثيرة في مناطق الأناضول.

الظروف التاريخية لظهور التكايا

تعريف التكايا :

التكايا جمع تكية وهي: مكان تجمع الأشخاص إلى المنتسين إلى الطرق الصوفية وهي أيضاً: الأماكن التي يقيم فيها شيوخ الطرق الصوفية شعائرهم.

التكية : هي مؤسسة تربوية تعليمية تنمي في حياة المسلم علاقة فريدة من نوعها. ويطلق على التكية الصغيرة زوايا والكبيرة دركاة والكبيرة جداً أستانة. ولكل تكية شخيها ومريدها وبلغت هذه التكايا في أستانبول عام ١٦٤٠م حوالي ٥٥٧ تكية، ٢٢٠٠٠ زاوية وحجرة للدراويش الذين يعيشون فيها.

التكية: يطلق عليها الرباط، وهي التي تستضيف المسافرين والقوافل كالقلعة، وهي تشيد في مناطق صحراوية، وهذه التكايا توجد بها الدراويش وهم: أتباع الطريقة المختصة لكل تكية وهؤلاء يحيطون بالشيخ - شيخ التكية- في أثناء حلقات العلم، والذكر، وينامون فيها.

أماكن التكايا وتكوينها :

عادة ما يتم بناء التكايا بجوار شيوخ الطرق الصوفية أو بجوار قبورهم. وقد تكون هذه التكايا في أماكن صحراوية كما قال: «أوليا جلبي» في رحلته إلى الأناضول. وأنه توجد تكايا في مناطق مختلفة في جميع أنحاء تركيا. وتتكون التكية عادة من السلاملك، والحرملك، والمطبخ، وغرف الدرويش وغرف الشيخ، وأماكن الخلوة والضريح. يقوم شيخ الطريقة هو والدراويش بتنظيم جلسات للذكر، واستقبال الناس في التكية والأيام التي لها قدسية خاصة مثل: ليلة القدر، والنصف من شعبان، ويوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم.

وعند التكية المولوية يستقبل الشيخ والدراويش زوارهم في المكان الذي يطلق عليه السماع خانة ويطلق على التكايا التي يوجد بها أضرحة مشايخ الطرق الصوفية الذين أسسوا الطريقة لفظ بيت الشيخ كما يطلق على التكية التي يوجد بها أضرحة مشاهير الطرق الصوفية الأستانة.

تقسيمات التكايا :

وإذا ما أردنا تقسيم تلك التكايا على حسب الطرق الصوفية في تركيا نجد خمساً منها للمولوية، وإحدى وخمسين تكية للنقشبندية، وأربع وأربعين للقادرية، وأربعين للرفاعية، واثنتين وثلاثين للخلواتية، وإحدى وعشرين للطرق السنبلية، وخمس عشرة تكية للسعدية، وأربع عشرة للشعبانية، وثماني للبدوية، وسبع للجرجية، وأربع للجولشنية، واثنتين للشاذلية، وأربع للعشاقية، وأربع للبرامية.

أدب التكايا :

أدب التكايا هو فرع من فروع الأدب، وهو عبارة عن الآثار والمؤلفات التي خلفها لنا مشايخ ودراويش الطرق الصوفية. وتشكل أدب التكايا في القرن الخامس الهجري. وانتشر في مساحة جغرافية شاسعة. وبالطبع عملت الطرق الصوفية على تطوره وازدهاره.

وأول ما ظهر أدب التكايا ظهر في تركستان وما حولها حيث وجد ديوان الحكمة «لأحمد اليسوي» في خراسان في القرن الثاني الميلادي. كما أن أشعار «يونس أمره» تعد من أجمل النماذج في أدب التكايا. وقد ازدهر أدب التكايا خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر الميلادي حتى ظهر الأدب الديواني، والأدب الشعبي عند الأتراك. وعلى الرغم من أن الأخيرين نال شهرة وانتشاراً أكثر من أدب التكايا، إلا أنه استطاع أن يثبت على الساحة التاريخية حتى القرن العشرين.

كما استطاع أدب التكايا أن يجد لنفسه إمكانات التطور بالرغم من الاضطرابات والضغوط الاجتماعية والسياسية، والإدارية التي عانى منها شعب الأناضول في القرن الثالث عشر الميلادي فقد ساءت الأحوال بصفة عامة في الأناضول خلال ذلك القرن في شتى النواحي وذلك بسبب استيلاء المغول على الأناضول من ناحية وهجمات الألخانيين من ناحية أخرى وكذلك أيضاً ثورة البابيين.

خصائص أدب التكايا :

١- أدب التكايا لم يكن معقداً في لغته مثل الآداب الأخرى وخاصة الأدب الديواني.

٢- احتواء بعض مصطلحاته على مجموعة من الرموز الصوفية التي لا يفهمها إلا المنتسبين للطرق الصوفية.

٣- كل ماهو موجود في أدب التكايا ليس على الوزن المعروضي إلا في مواطن قليلة.

٤- الإلمام بالخصائص والمصطلحات حيث توجد بعض المصطلحات الفلسفية في بعض المواطن.

أهم الطرق والتكايا في مدن الأناضول :

وجدت تكايا وطرق صوفية كثيرة في مدن الأناضول قبل تأسيس الدولة العثمانية من أهمها: المولوية، والرفاعية، والخلواتية، والنقشبندية، والبكتاشية، والكازونية، والقيرشهرية، والبابائية، واليسوية والقادرية، والحيدرية، والشاذلية، والبرامية، والخالدية، والسنبلية، والشعبانية، والبدوية، والكبراوية. كل هذه الطرق كان لها أهمية خاصة عند أمراء الدولة العثمانية، وأيضاً عند عامة الشعب التركي. وهذه الطرق لم يكن الغرض من انتشارها أغراض سياسية، أو المقصود منها منافع خاصة بل كان الغرض

الأساسي هو خدمة الدين الإسلامي.

معنى كلمة زاوية :

الزاوية لغة: كلمة مشتقة من اللغة العربية الزوي أي الإنزواء وهي مكان تجمع الناس وجمعها زوايا كما تعنى أيضاً الركن أو الغرفة في المنزل.

اصطلاحاً: تعني مكان تجمع الدراويش، والمنتسبين إلى الطرق لصوفية المختلفة. وكانت الزاوية تنسب إلى شيخ الطريقة، أو من يندب عنه، كما تعني أيضاً المكان الذي يستضيف أبناء السبيل والمسافرين. ويوفر لهم الطعام واشراب، ومكان للنوم وكل هذا بلا مقابل مادي. وعرفها البعض بأنها التكية الصغيرة كما يطلق لفظ الزاوية على النزل الموجود على طرق المسافرين وذلك مثل: «الكروان سراي». وكان هؤلاء الأشخاص أصحاب الزوايا يعافون من الضرائب في مقابل تلك الخدمة التي يقومون بها وكان يوجد أشخاص مقيمون بتلك الزوايا يقومون بخدمة الوافدين إليهم. وكان يطلق على الواحدة منهم «زاوية دار». وكانت الزاوية بمثابة مدرسة للتعليم، أو كتاب لتحفيظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة بل الأمر لم يقتصر على ذلك، ولكن تعلموا فيا علم دنيوي وأخروي وكانت الزاوية الموجودة بتركيا في عام ١٦٤٠م حوالي ٢٢٠٠٠ ألف زاوية ويصف ابن بطوطة هذه الزوايا وذلك خال رحلته إلى أنحاء تركيا ويعبر عن كرمهم الذي شاهده خلال الرحلة ويتعرض رلى هذه الزوايا التي نزل بها.

دور التكايا اقتصادياً واجتماعياً وتربوياً :

النظم الفتية: هي جماعة متصوفة أصحاب حرف، وعلم ودين، وأخلاق قاموا بتوحيد الحياة مع الدين. ولهم أماكن خاصة بهم تعرف بالتكايا، أو الزوايا. ولاشك أن الحركة الفتية هي حركة أخلاقية وليست اقتصادية اعتباراً من أول صدورها، لكن الحركة بعد ذلك أخذت صفة اقتصادية

وتحولت إلى مؤسسة للحرفيين. وتدخلت الحياة الاقتصادية بجانب الأخلاق الإسلامية. والحركة الفتية يرأسها واحد يسمى «أخي» ومعنى الأخية: هم جماعة من الشباب غالباً لهم رئيس منتخب يلقب «بأخي». وهم بجميع بلاد الرك فيكل قصبة وقرية ومدينة. وتقوم هذه الجماعة على قضاء حوائج الناس والأخذ بأيديهم إلى طريق النور. ويوجد في هذه الحركة أهمية بارزة وصفة إسلامية بحتة ويه تقديم إخوانهم الآخرين على أنفسهم، وهم أصحاب نبل وشهامة وهمة وشجاعة اشتهروا ببناء زاوية لكل جماعة منهم لا تقل عن مائتي شخص ويضع في هذه الزوايا كل ما تحتاجه من لوازم مثل: المنزل والمسجد معاً، حيث بها الفراش والإضاءة، وكتب العلم وأماكن للطعام وما يحتاجون إليه من آلات، ويعملون بالنهار في حرفهم ثم تخصص أيام وأوقات لطلب العلم، وأوقات لكسب معايشهم، وصفتهم الكرم، والشفقة ويذكر أيضاً: أنه مر على بلاد ومدن كثيرة بلاد التركمان، ولم يجد أحداً من يضيفه إلا الأخية أصحاب الزوايا والتكايا في زواياهم.

أهم مبادىء أعضاء الحركة والفتية :

إن الدولة العثمانية لم تعمل إصلاحات في الساحة الزراعية، ولم تجعل لها رقابة على الإنتاج بشكل كاف، ولكنها قامت بعمل رقابة على الصناعة التي تتم داخل نظام حركة الفتوة هذه. وكانت فروع هذه الصناعة تتبع حكم مركزي بواسطة الشيوخ. ولقد كان للحكومة تأثير واسع على الصناعة حتى أنها وضعت سعر سوقي لمراقبة ومتابعة مقدار إنتاجها وبجانب تطبيق نظام الحكم الذاتي على الصناعة من خلال حركة الفتوة هذه. وهو نظام قوي من شأنه أن يمنع أي تطور ينافسه من قبل أي جهة أخرى لكن نظام الدولة الرقابي هذا سيعوق أيضاً تطور الصناعة المنافسة المستقلة.

ولقد استطاع المريدون الموجودون في الزوايا والتكايا جذب الناس إليهم من ناحية توسيع رقعة الأراضي التي سيتم فتحها من ناحية، واستصلاح بعض

الأراضي الصالحة للزراعة من ناحية أخرى وبالطبع تم هذا بشكل محكم ومخطط تخطيطاً جيداً مما كان له الأثر البين. ووجدت في بعض الأماكن في الأناضول نزولاً مازالت حتى الآن بأسماء صوفية مثل الدرويش والشيخ. وتعد التأثيرات والأضافات الكبيرة التي قام بها أهل التكايا والزوايا من التسكين، وتوفير أماكن للنزل لراحة الناس، سواء مسافرين أو مقيمين تعتبر سياسية فريدة من نوعها خاصة بالدولة وحدها.

وجد الناس في الدولة العثمانية دوراً حضارياً كبيراً أنشىء من ناحية أهل التكايا الذين كانوا بالنسبة لأهل الأناضول بمثابة طعم الدين الحلو الذي يظهروه للشعب ونجحوا في ذلك.

أسس أهل التكايا منظومة عجيبة الشكل تبهر العقول وتثير الأذهان بالالتفات إليهم. حيث قربوا الناس إليهم بشتى النواحي من وجود سماحة في المعاملة، وهذه حالة اجتماعية فريدة.

العوامل التي ساعدت على نشر الإسلام في الأناضول من خلال أهل التكايا :

١- عمل الموجودون حول المؤسسات الصوفية التي تأسست في العصر العثماني في المناطق المختلفة في الأناضول على أن تكون كل الأعمال التي يقومون بها أعمالاً نافعة وجعلوها بمثابة العبادة.

٢- كانت المناقب التي تروى والحكايات عن الأولياء والمشايخ ذات تأثير كبير على الشعب، بل إن كثيراً من الناس ظلوا تحت تأثير الكرامات.

٣- ظهور المراكز العمرانية الأولى في الأناضول بالقرب من التكايا والزوايا، وطورت هذه المراكز العمرانية بمساعدة التكايا والزوايا.

٤- وجدت مئات القرى في الأناضول باسم التكايا والزوايا حباً في مشايخ هذه التكايا وأهلها.

٥- قامت التكايا والزوايا بدور هام وهو التقريب بين الشعب سواء قبل

الفتوحات التي قاموا بها أو بعدها وهذا مما سهل مسألة نشر الإسلام في المنطقة، وكذلك سهل الفتوحات التي قاموا بها.

٦- استطاع أهل التكايا جذب الناس إليهم وتوسيع رقعة الأراضي الإسلامية.

الوظائف التي تقوم بها التكايا - اقتصادية - اجتماعية - تربوية :

١- التكايا كانت تشيد في الأماكن التي يختارها شيوخها بأنفسهم، وذلك في سنوات التأسيس بصفة خاصة، وسبب ذلك أن التكايا تكفل حاجة الناس المعنوية في من حولها وكانت تمتلك أثاث هذه المناطق، وهكذا كانت تدعو الناس إلى الدين الحقيقي بالحكمة والموعظة الحسنة. كما أوصى بذلك القرآن الكريم.

٢- إن جزءاً من التكايا والزوايا كان يتم تأسيسه خارج العمران في الأماكن الخطيرة من قبل الدولة لمراعاة أي رحلة كي لا يصيبها أي خطر في هذه الأماكن، ومن هذه الناحية فإن التكايا التي تأسست في الجبال، والمضايق المخيفة، وبين المدن بعضها البعض، كانت تقوم بمهمة حماية الناس من اللصوص وقطاع الذين يعوقون التجارة. وكذلك تقوم بتسهيل السيطرة على الجيش وقيادته. وبهذا تكون التكايا مأوىً وملاذاً للقوافل التجارية في الأيام الممطرة وذات الجليد.

٣- إنه من الطبيعي ظهور بعض التمردات في الأماكن التي يظهر بها ضعف في السلطة والحكم بسبب بعدها عن عاصمة الدولة العثمانية ومركزها، لأن هذه الدولة كانت تمتلك أراضي كثيرة ومساحات شاسعة حين ذلك. فالدولة كانت ترى من المفيد جداً وجود تكية في هذه الأماكن من أجل العمل على استقرار الحال في الدولة. ومن هذا النوع الجيد تم القضاء على هؤلاء المردة من خلال بناء التكايا والزوايا للحد من المخاطر الي تعرقل مسيرة الحياة.

٤- إن إحدى الخدمات الهامة والمهام التي حظيت بها التكايا التي تأسست في أماكن سكنية، وفي مراكز عمرانية كانت تقوم بنشر الثقافة والعقيدة بين الشعب، وبكثرة إقبال الناس كثرت التكايا والجوامع.

٥- استخدمت التكايا والزوايا على أنها مركز لعلاج الأمراض النفسية والعصبية والروحية أحياناً. ووصلت خدماتها بطريق الإرشاد والتلقين في مرات عديدة. وكانت تبحث عن وسائل لمداواة جروح المجتمع بزعامة شيوخهم في هذه الساحة (التكايا).

٦- ظهر لكل طريقة أدب صوفي مستقل، وأسس ومبادىء يسير عليها المريد.

وكان للشيوخ فكر صائب مفيد من أجل استمالة الناس إلى الشعر حتى يكونوا أكثر جاذبية للبيئة الصوفية.

علاقة خلفاء الدولة العثمانية بأهل التكايا :

ارتباط السلاطين بأهل التكايا: كانت نشاطات تأسيس الدولة العثمانية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتشكيلات الصوفية التي كانت موجودة في ذلك الوقت ووجدت الصدقا، والعلاقة بين رجال الدولة، وبين مشايخ الطرق الصوفية، واستمرت العلاقة قوية مع العلماء، وتقدم الحب والاحترام لأهل الطرق.

وكان الحكام يعدون معرفة العلماء المتصوفة شرفاً لهم أي للحكام وكانوا يقبّلون أيديهم، بل إن بعضهم يعتبر التراب المنثور من حافر جواد الشيخ كحلاً يكتحل به.

وحينما تكون جيش نظامي للدولة العثمانية في عهد عثمان الأول أخذ السلطان عدداً كبيراً من الجيش إلى شيخ الطريقة، البكتاشية وكان ذلك من أجل الدعاء لهم، فما كان من شيخ الطريقة إلا أن وعظهم ببعض أمور دينهم، ودعا لهم بانصر، وإعلاء كلمة الله -تعالى- على أيديهم في شتى بقاع

الأرض، ثم قال: ليكن اسمهم «ينى تشارى» -يكى جرى- المحرفة بالعربية إلى كلمة إنكشاري.

عرف فيدولة العثمانيين ما يسمى بـ«سيف الدولة العثمانية» الذي أطلق فيما بعد «بسيف عثمان» الموروث عن «عثمان الأول» وكان من العادة تسلم هذا السيف من شيخ الطريقة المولوية بمسجد أبي أيوب الأنصاري. وكان تسليم السيف يكون في حشد عظيم من الناس واحتفالات كبيرة يسلم هذا السيف سلاطين الدولة العثمانية واحداً تلو الآخر من أول عثمان الأول عام ١٢٩٩م إلى آخر خليفة عبدالمجيدا لثاني عام ١٩٢٢م.

إن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى وجود أهل التكايا في فكر، ووجدان الشعب عامتهم وخاصتهم، وحتى حكامهم أصحاب الكلمة الأولى.

وبدأ الإسلام ينتشر ويجوب في أنحاء بقاع الأناضول وفي وسط آسيا على أيدي كثير من الدراويش وكانت الاستعاة بهم في الفتوحات من توطيد ملك الدولة العثمانية. وبأهل التكايا استفاد العثمانيون من تقريب الناس إليهم وتعليمهم مفهوم الدين الإسلامي ومن منطلق هذه الفتوحات بدأ العثمانيون يستعينون بأهل التكايا في أن يفهم الداخلون في الدين الإسلامي الجديد هذا الدين، وتسود الحركة الافتتاحية لكثير من البلدان.

وكان لابد للداخلين في الدين الإسلامي أن يعملوا على حماية الدين، وحماية الوطن، واعتمد سلاطين الدولة على أهل التكايا في كثير من الفتوحات في وسط آسيا، وفي أفريقيا، وفي أوروبا، والاعتماد عليهم بالأخص داخل تركيا.

فظهرت روح أهل التكايا مع سلاطين الدولة، وحب الشعب لسلاطين الدولة من خلال الدراويش، وكانوا أحد دعائم بناء الدولة العثمانية وازدهارها داخل تركيا وخارجها من خلال تعليمهم للناس سماحة الدين الإسلامي الجديد.

ظهرت التكايا بأدوار متعددة المجالات سواء كان حضارياً أو اجتماعياً أو

اقتصادياً بجانب الدور الديني الثقافي الفعال.

إعلان الجمهورية وإغلاق التكايا الصوفية :

أتاتورك وسياسة التغريب:

أصدر أتاتورك عام ١٩٢٤م قانوناً يلغي الحروف العربية واستبدالها بحروف لاتينية، وقانوناً لتوحيد المدارس تحت إشراف وزارة المعارف في مارس عام ١٩٢٤م حيث أعلن أتاتورك بربط جميع المؤسسات العلمية والتدريس والأوقاف الشرعية إلى وزارة المعارف وبعد أن انبثقت كلية الإلهيات في تخريج علماء أجلاء يخدمون الدين في عهد السلطان عبدالحميد الثاني.
ألغى أتاتورك هذه الكلية عام ١٩٣٣م وحل محلها معهد الدراسات الشرقية وألغى التعليم الديني نهائياً.

وقال أتاتورك في خطابه: إن الثقافة الإسلامية هي سبب تأخر الأتراك وأصبح الهم الأكبر هو النهضة في مجال الزراعة، والصحة، والتجارة، والبعد تماماً عن التعاليم الدينية.

نظم أتاتورك برنامجاً يسير بموجبه على مقاومة الشعب وهدم الخلافة العثمانية وكان يعاونه في ذلك مجموعة كبيرة حتى قيل: إن السلطان عبدالحميد الثاني كان معجباً بأتاتورك وخاصة حينما انتصر في إحدى المعارك المشهورة المسماة «جاناق قلعة». ويعد أتاتورك أحد الباشاوات الذين كان لهم أثر مع الدولة العثمانية.

أراد أتاتورك أن يحمي تركيا، ويعلن الجمهورية التركية، ويسيطر على زمام الأمور بمساعدة الآخرين، وعمل برنامجاً خاصاً ظل يخطط له طوال تسع سنوات يركز فيه على التصدي لكل من يعتدي على حياة الأتراك، وأصدر بذلك مرسوماً يبين فيه إصلاحاته، وقيام الجمهورية التركية واقتراحاً بإلغاء الخلافة الإسلامية.

واتجهت الحركات الكمالية التي نهجت على منوالها الدولة البعد عن كل

ماهو إسلامي وحذف كلمات «الله-الرب-الخالق» وانتشرت وانتشرت مدارس التفكير الوضعي بمبادئها الثلاثة: الخير، والحق، والجمال. وتم إسقاط التاريخ الإسلامي من المناهج الدراسية، وترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية مما يجعل من الصعب فهم معانيه، ووصلت نسبة الأمية الدينية في تركيا عام ١٩٢٨م إلى حوالي ٩٠٪ وجاء هذا نتيجة تحويل المدارس المختصة بالأئمة والخطباء إلى مدارس لا تتصل بشيء من أمور الدين الإسلامي.

وألغى أتاتورك نظام الخلافة العثمانية في مارس عام ١٩٢٤م، وحدث انقلاب سياس دستوري، واجتماعي. وقال أتاتورك: إن الأديان تعبر عن أحكام ثابتة بينما الحياة تتحول وتحتاج إلى كثير من التغيير، وأكد أن المعاناة التي فيها تركيا بسبب الدين الذي تستمد منه حياتها وأحكامها وأن الحياة تحتاج إلى متطلبات وتطورات ليست في الدين.

أولاً: القوانين والقرارات الخاصة بالدولة العثمانية :

١- إصدار قرار في ٣ مارس عام ١٩٢٣م بخلع الخليفة، وإلغاء الخلافة الإسلامية وجعل تركيا جمهورية.

٢- طرد العائلة العثمانية والخليفة المخلوع من جميع أنحاء تركيا، ولا يحق لهم الإقامة في تركيا أكثر من عشرة أيام من تاريخ صدور القرار.

٣- نقل أموالهم وملكياتهم إلى الدولة، وكل ما في قصور السلطة من لوحات ومفروشات وتحف..

ثانياً: إصدار قوانين وقرارات تجاه اللغة العربية :

قرر أتاتورك بعد إلغاء الخلافة الإسلامية العثمانية إلغاء الحروف العربية واستدالها بحروف لاتينية وكان من ضمن قراراته إلغاء وزارة الأوقاف عام ١٩٢٤م وتكون وزارة المعارف هي القائمة بجميع مستلزمات التعليم، وأصدر

قوانين عدة منها:

١- إلغاء الحروف العربية واستبدالها بحروف لاتينية.

٢- ربط جميع مؤسسات التعليم بوزارة المعارفة.

٣- ضم وزارتي الأوقاف والشرعية وما يخصها إلى وزارة المعارف.

٤- ضم ما في وزارتي الأوقاف والشرعية من أموال وممتلكات إلى ميزانية وزارة المعارف.

٥- أصدر قرار عام ١٩٣٠م بإلغاء مدارس الأئمة والخطباء.

٦- تكليف العلماء والأدباء في تركيا لتأسيس الجمعية اللغوية لإبراز اللغة التركية وصدور ذلك عام ١٩٢٣م.

٧- إغلاق مدارس الشريعة والوعظ والإرشاد والمدارس الأجنبية الخاصة.

٨- اتخاذ المساجد ودوائر الحكومة والمقاهي أماكن للدراسة لكل من تجاوز سن التعليم.

٩- جعل اللغة التركية وسلية كاملة للتعبير عن الثقافة القومية العصرية.

١٠- طرح الكلمات الأجنبية من لغة الكتابة، ودعوة المثقفين إلى توحيد لغة الكتابة.

١١- شكل الدولة جمهوري، ودينها الإسلام، ولغتها التركية.

إغلاق أتاتورك للتكايا :

أصدر أتاتورك قوانين متعددة بشأن التكايا عام ١٩٢٥م ومن هذه القرارات:

١- إغلاق جميع التكايا والزوايا الموجودة في تركيا سواء كانت ملكاً لشيخ من مشايخها، أو كانت وقفاً.

٢- إلغاء كل أنواع الطرق الصوفية، وإلغاء لقب الدرويش والمريد، والخليفة، والأمير، والأستاذ والسيد، ومنع كتابة الأحجبة.

٣- حظر أتاتورك استعمال أزياء تخص أهل الطرق الصوفية، أو استعمال عناوين تتصل بهم.

٤- إغلاق جميع المزارات، وقبور الأولياء والصالحين، ومشايخ الطرق، وقبور السلاطين.
٥- تحويل كل ما يخص الزوايا والتكايا من أثاثا إلى متاحف تابعة للدولة مثل: مسجد مولانا جلال الدين الرومي في «قونية» الذي تحول إلى متحف.
٦- زي العلماء يكون جبة سوداء، وعمامة لونها أبيض.
٧- يجبر العلماء على رفع غطاء الرأس عند إلقاء التحية، بأيديهم، ومنع السلام الإسلامي.
٨- يحكم على كل من يخالف هذه القرارات بالحبس مدة لا تقل عن خمسة أشهر وغرامة لا تقل عن خمسين ليرة.

وبعد أن كان أصحاب الطرق الصوفية أصحاب نفوذ وكلمة لدى سلاطين الدولة العثمانية أصبح الأمر غير ذلك في عهدة أتاتورك حيث حكم عليهم بالجمود.

دور التكايا ضد الحركات الكمالية :

حدثت ردود فعل ضد ما أصدره أتاتورك بشأن القوانين الصادرة ضد أهل التكايا والزوايا. وكان لمشايخ هذه الطرق والزوايا الصوفية في تركيا وقت إعلان الجمهورية لها الأثر في زيادة العصبية، والاجتماعات السرية ضد الحكومة الكمالية وكانت تركيا في ذلك الوقت منتشر فيها جميع الطرق من بكتاشية، ومولوية، ونقشبندية، ورفاعية، وخلواتية، وشاذلةي، وتيجانية، وملامية، وعشاقية، وغيرها من الطرق التي كان لها أثر في حياة الناس الاجتماعية والثقافية والتربوية. ولما أصدر أتاتورك قوانين عدة تجعلهم خشب مسندة قام أصحاب الطرق الصوفية بردود فعل ضد ما قاله وصنعه لديهم ومنها:

١- قام أتباع الطريقة التيجانية بتحطيم صور مصطفى كمال أتاتورك وتماثيله التي كثرت في الميادين، وذلك في الثلاثينيات، وإقامة الصلاة بأذان

شرعي وعلني رداً على هذه الإجراءات العنيفة التي اتخذها أتاتورك ضد مشايخ أهل التكايا.

٢- معارضة أتباع الطريقة القادرية لإجراءات أتاتورك، وقيام ثورات ومقاومات من جانب أتباع هذه الطرق ومشايخها، وكان مركز هذه القوة مدينة «طرازون».

٣- قيام أتباع الطريقة الرفاعية بمعارضة هذه الإجراءات، وكان لها دورها الكبير في الأناضول حيث كانت تدعم الحركات القومية قبل عام ١٩٨٠م، ثم انتلت إلى تأييد حزب الوطن الأم.

٤- اتخذت الطريقة النقشبندية شكل صراع دموي في محاربة الإجراءات المضادة من قبل الحكومة تجاه المشايخ والدعاة، حيث قام هؤلاء الدعاة بالجهاد ضد الدولة الجديدة والعمل على الحفاظ على الهوية الأصلية للشعب التركي.

الطالبة/ فتحية خليل علي
تمهيدي ماجستير تاريخ حديث
كلية الآداب - جامعة الزقازيق

«شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم...».
ليس المكان وإن كان شاهق البنيان يضع الإنسان وإنما الإنسان بضميره الحي وولعه بأداء رسالته هو الذي يجعل للمكان قيمة وللزمان أهمية والشخصية التي نحن في صدد الحديث عنها هو الدكتور «رأفت غنيمي حفني الشيخ».
ولد في قرية البلاشون التابعة لمركز بليت محافظة الشرقية ١٩٣٤/٢/٢٤م من عائلة ذات أصول عريقة من أكبر العائلات في تلك الفترة لأب من ذوي الأملاك والأوقاف تدر عليه موارد جمة لتضفي عليه بحبوبة من العيش. كان ترتيبه الثالث بين إخوته، تلقى تعليمه الأولي في البلاشون، وحفظ القرآن الكريم ولأن والده لم يبخل عليه بأي شيء أرسله إلى القاهرة حتى حصل على الابتدائية من مدرسة محمد علي في حي السيدة زينب بالقاهرة، ثم حصل على التوجيهية من مدرسة الخديوية الثانوية عام ١٩٥٣م،و ولقد تفجرت وطنيته منذ صدر شبابه فكانت الحربية حلم من أحلامه كشاب من شباب الوطن معجب بالثورة متحمس لها وللدفاع عنها وعن الحرية. كان يريد أن يكون فارساً من فرسان الحربية ولكن الأقدار لم تشأ له ذلك، حيث في تلك الفترة عام ١٩٥٣م عقدت اتفاقية السودان عام ١٩٥٣م ولقد قبلوا في الكلية الحربية الطلبة السودانيين وبالرغم من أنه لم يستطع حلمه أن يتحقق كفارس من فرسان الحربية إلا أنه أصبح فارساً من فرسان الإرادة والتحدي ولم يرن اليأس في نفسه ولأن الوطن كان في دمه، وحبه للوطن، ولأن الوطن كان شغله الأول والأخير التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة، وحصل على ليسانس الآداب بتقدير جيد وكان ترتيبه الثاني على الدفعة من

قسم التاريخ.

وهاهو اليأس يقف أمامه مرة ثانية في تحقيق حلمه أن يكون معيداً في الكلية، لكن اليأس لم ينجح في أن يكون صديقاً له، بل الأمل والتطلع والإقدام إلى الحياة السياسية ويبدأ مشواره التاريخي دون أن يعرف ما يخفي له القدر، حيث شغف بالتاريخ وأولع به، ..... حباً لوطنه في تلك الفترة وملأ حب الوطن عقله وقلبه، وظل يكافح حتى حصل على درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة القاهرة، وفي نفس الفترة حصل على دبلوم التربية ودبلوم في الصحة النفسية من عين شمس ودبلوم ثالث من عين شمس في الإرشاد النفسي. وفي عام ١٩٦٧م سافر إلى ليبيا معاراً لوزارة المعارف حتى عام ١٩٧٢م.

ثم عاد إلى القاهرة في تلكا لفترة ولم يرضي طموحه وأحلامه إلا بحصوله على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة وقام بجولة في جامعات ليبيا وقطر في عام ١٩٧٦-١٩٨١م ثم عاد إلى القاهرة في أوائل الثمانينات عام ١٩٨٠م ثم يشرف جامعة الزقازيق بانتقاله إليها عام ١٩٨١م أستاذاً وكابن من أبناء الزقازيق يمتع بالذكاء والتواضع ودائماً ما يحمل عبق الماضي إلى الحاضر ثم عيّن وكيلاً لكلية الآداب ثم عميداً للكلية.

ومع أنه كان يؤمن دائماً بأن المؤسسات التعليمية ماهي إلا جزء من رسالة الإنسان فقد بنى من خلالها ماض ورث للحاضر فأنشأ معهد الدراسات الآسيوية وهو الآن عضو في جماعة الرابطات الإسلامية وأستاذاً في كلية الآداب قسم الدراسات العليا جامعة الزقازيق ومازال يسعى ليقدم للغد مستقبل أفضل.

ولا يسعنا في هذا الصدد إلا تقديم الحية لذوي العلم مما نسجوا للحاضر قيمته وأمدوه بمدد الرسالة حيث أتقنوا صنع الماضي ومازالوا يؤدون الأمانة التي استودعها الله فيهم.

وهو من الذين جادوا بعلمهم وتخرج من بين أيديهم أجيال يفخر المكان بهم

بالإضافة إلى أخلاقه العالية التي زينته في أعين ذوي العلم ممن كانوا في جيله أو جاءوا من بعده فهو مدرسة وقدوة يحتذى به لأنه مازال يحمل عبق الماضي إلى الحاضر. دائماً ماكان يهدف إلى حب الحقيقة حقاً فلا نقدس القديم لقدمه ولا الجديد لجدته وطلب الحقيقة لذاتها وهو ذا شعور علمي دقيق فإن الطبيعة لا توحي بحقائقها إلا لمن دق حسه وتنبه عقله بالإضافة إلى تواضعه فهو مفتور على .... تلاميذه. وإلى جانب صبره فإنه ليس له حدود.. لأن الصبر مفتاح العلم.

فلا يمل منه ولا يتكبر، لأن أي صبر يوصل إلى أي حقيقة وهو رمز من رموز الماضي والحاضر... عاصر الماضي والحاضر حيث الماضي شديد الأسر قوي الجاذبية يبدو أجمل وأروع إذا ما قورن بالحاضر لأن الحاضر مشكلات والماضي ذكريت والفرار من المشكلة إلى الذكريات طبيعة إنسانية بالإضافة إلى القوة الروحية عنده النابعة من إيمانه الخالص وعقيدته الثابتة.

وأصله العربي والعنصر الطيب وجهاده المتواصل وصلابة عوده وصلابة بأسه وشدته. قد اكتملت لديه له صفات المؤرخ الصادق الذي يصعب إخضاعه ويستعصي كسره، حيث أنه يتدبر الماضي ويستخلص عبر التاريخ ويتطلع إلى المستقبل.

فهو من المؤرخين الذين خلفوا لنا تراثاً ينم عن مناهجهم وأساليب تفكيرهم، ومستوى ثقافتهم وهو في معظم كتاباته قد أثار اهتماماً كبيراً لم يقتصر على المهتمين بتاريخ مصر الحديث من العرب، بل إن العرب اعتبروه مصدراً أساسياً على واجهة كبيرة من الأهمية ومعظم كتاباته تفيض بالحرارة التي من من ورائها عق انفعاله بالأحداث، ثم أنه محب لبلده ولا ينظر للأحداث من بعيد مما يجعل تاريخه صورة نابضة للحياة فقارئه يحث بالحياة الجياشة التي يصورها مباشرة إلى لب الموضوع الذي يدونه ويرسم صورة كاملة نابضة بالحياة ولم يدع شيئاً نمى إلى علمه إلا دوّنه في دقة ودهشة وهو محب للإتقان، لذلك نراه دقيق التحري أمين في النقل دقيق الملاحظة

نافذ البصيرة، دائماً ما يقف موقف الناقد لمستحدثات الأمور، رغم ذلك كله فهو من المؤرخين الذين خلفوا لنا التاريخ.

ورغم ذلك تبقى مكانة مؤرخنا الكبير راسخة كالطود، فهو لصدقه ودقة تعبيره أصبح مصدراً هاماً لا يستغنى عن تاريخه كل من يتصدى للكتابة عن ناحية أو أخرى من تاريخ مصر والوطن العربي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

ونقول له دائماً كما يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

فاعمل ما استطعت لعل جيلاً سيأتي يحدث العجب العجابا

وخيركم من تعلم العلم وعلمه.

السيرة الذاتية
للأستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ

- تعلم الأستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ بالمدرسة الأولية بالقرية.
- حفظ القرآن الكريم كاملاً بجمعية تحفيظ القرآن الكريم بالقرية.
- تعلم بالمدرسة المحمدية الابتدائية بحي الحلمية الجديدة بالسيدة زينب بالقاهرة.
- حصل علي الشهادة الابتدائية من مدرسة محمد علي الابتدائية بحي السيدة زينب بالقاهرة عام ١٩٤٨م.
- التحق بمدرسة الخديوي إسماعيل الثانوية وبمدرسة الدواوين الثانوية، ثم بمدرسة الخديوي الثانوية (مدرسة مصطفى كامل) وحصل على الشهادة التوجيهية عام ١٩٥٣م.
- تقدم للالتحاق بالكلية الحربية عام ١٩٥٣م ونجح في جميع الاختبارات، ولكن لم يقدر له أن يكون ضابطاً لقبول عدد كبير من الطلاب السودانيين.
- التحق بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة) في أكتوبر عام ١٩٥٣م وأصبح طالبًا بقسم التاريخ.
- حصل على ليسانس الآداب من قسم التاريخ عام ١٩٥٧م.
- التحق بكلية التربية جامعة عين شمس في أكتوبر ١٩٧٥م وحصل على الدبلوم العام في التربية في يونيو ١٩٥٨م.
- عين بإحدي مدارس أسيوط في سبتمبر ١٩٥٨ لمدة سنة.
- عمل بمعهد معلمات أسوان لمدة عامين.
- عمل بمعهد المعلمين الخاص بالعباسية من سبتمبر ١٩٦١م حتى ١٩٧٢م.
- حصل على الدبلوم الخاص في الصحة النفسية من كلية التربية جامعة عين شمس عام ١٩٦٢

- حصل على دبلوم في الإرشاد النفسي بكلية التربية جامعة عين شمس عام ١٩٦٣م.

- حصل على الماجستير في الآداب من جامعة القاهرة في سبتمبر ١٩٦٧م في موضوع: سياسة انجلترا إزاء إجلاء مصر عن السودان من ١٨٨١-١٩٨٥م بإشراف كل من أ.د. محمد فؤاد شكري، وأ.د. محمد أحمد أنيس.

- سافر للعمل في ليبيا في معاهد المعلمين والمعلمات ووزارة التربية والتعليم في المدة من أكتوبر ١٩٦٧م حتى ديسمبر ١٩٧٢م.

- أعد رسالته لدرجة الدكتوراه في الآداب من جامعة القاهرة في سبتمبر عام ١٩٧١م في موضوع: تاريخ التعليم في ليبيا في العصور الحديثة من ١٨٣٥ إلى ١٩٤٣م بإشراف أ.د. محمد أحمد أنيس.

الوظائف التي تقلدها:

- عين مدرسًا بقسم التاريخ بكلية التربية جامعة عين شمس في نوفمبر ١٩٧٢م.
- تمت إعارته للعمل بجامعة قطر في الفترة من أكتوبر ١٩٧٦م حتي يونيو ١٩٨٠م.
- حصل على درجة أستاذ مساعد في التاريخ الحديث في نوفمبر عام ١٩٧٧م.
- حصل على درجة أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في سبتمبر ١٩٨١م.
- وافق على الانتقال من جامعة عين شمس (كلية التربية) إلى كلية الآداب جامعة الزقازيق في يونيو ١٩٨٢م.
- عين وكيلاً لكلية الآداب جامعة الزقازيق في أكتوبر ١٩٨٢م.
- عين عميدًا لكلية الآداب جامعة الزقازيق في سبتمبر ١٩٨٦ حتى سبتمبر ١٩٩٢م.
- انشأ معهد البحوث والدراسات الأسيوية بجامعة الزقازيق في ديسمبر ١٩٩٣م.
- أصبح عميدًا ثم مشرفًا على معهد الدراسات الأسيوية حتى سبتمبر ١٩٩٨م.
- ساهم في إنشاء كلية الآداب جامعة قناة السويس بالإسماعيلية في المدة من ١٩٨٩م حتى صدر قرار المجلس الأعلى للجامعات بالموافقة على إنشائها في ٧ مايو ١٩٩٥م.

- انتدب مشرفًا على كلية الآداب جامعة قناة السويس لمدة يومين أسبوعيًا خلال المدة من فبراير ١٩٩٤ حتى مارس ٢٠٠١م.

- اصبح أستاذًا متفرغًا بكلية الآداب جامعة الزقازيق اعتبارًا من ٢٤ فبراير ١٩٩٤م.

- اصبح أستاذًا غير متفرغ بكلية الآداب جامعة الزقازيق اعتبارًا من ٢٤ فبراير ٢٠٠٤م.

- المشرف العام على أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا . فرع الزقازيق.

النشاط العلمي والثقافي:

١- عضو بالاتحاد القومي.

٢- عضو بالاتحاد الاشتراكي العربي.

٣- أمين لجنة كلية التربية جامعة عين شمس للاتحاد الاشتراكي من عام ١٩٧٥م.

٤- عضو بالحزب الوطني الديمقراطي.

٥- عضو لجنة التعليم والبحث العلمي بالحزب الوطني الديمقراطي بالأمانة العامة.

٦- عضو الجمعية التاريخية المصرية.

٧- عضو لجنة تطوير المناهج بوزارة التعليم منذ عام ١٩٧٥م.

٨- عضو المجلس الأعلى للشباب بمحافظة الشرقية.

٩- عضو لجنة تنشيط السياحة بمحافظة الشرقية.

١٠- عضو المجلس الأعلى للامتحانات بمحافظة الشرقية.

١١- أمين الفكر والإعلام بالحزب الوطني بالشرقية.

١٢- عضو مجلس الدفاع الاجتماعي بمحافظة الشرقية.

١٣- عضو مجلس إدارة جمعية رعاية الطلبة بمحافظة الشرقية.

١٤- عضو مجلس محو الأمية بمحافظة الشرقية.

١٥- المستشار الأكاديمي للمواد الاجتماعية لبرنامج تأهيل معلمي المرحلة الابتدائية للمستوى الجامعي بوزارة التعليم برئاسة معالي الوزير.

١٦- عضو لجنة قطاع الآداب والعلوم الإنسانية بالمجلس الأعلى للجامعات.

١٧- عضو لجنة إنشاء كلية العلوم الإنسانية بجامعة قناة السويس.

١٨- عضو لجنة الإشراف على مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر بالهيئة العامة للكتاب.

١٩- عضو اللجنة العلمية الدائمة للتاريخ بالمجلس الأعلى للجامعات وظائف الأساتذة.

٢٠- عضو اللجنة العلمية الدائمة للتاريخ بالمجلس الأعلى للجامعات "وظائف الأساتذة المساعدين".

٢١- عضو لجان ترقية أساتذة التاريخ في الجامعات السعودية وجامعة الكويت.

النشاط القومي:

١- تنظيم مؤتمر مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في ديسمبر ١٩٨٥م بالرياض بعنوان " تاريخ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود " تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود-رحمه الله-.

٢- تنظيم ندوة مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أبريل ١٩٨٧م بالزقازيق بعنوان " العلاقات المصرية السعودية في النصف الأول من القرن العشرين " تحت رعاية الرئيس/ محمد حسنى مبارك.

٣- تنظيم ندوة مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ورابطة الجامعات الإسلامية (ومقرها المغرب) في أكتوبر ١٩٨٨م بالزقازيق بعنوان "التضامن المصري السعودي في حرب رمضان" أكتوبر، تحت رعاية الرئيس/ محمد حسنى مبارك.

٤- تنظيم ندوة مع رابطة الجامعات الإسلامية في أكتوبر ١٩٨٩م. بالزقازيق بعنوان "تاريخ الأمة الإسلامية بين الموضوعية والتحيز" شارك فيها علماء من مختلف الأقطار العربية والإسلامية، تحت رعاية الاستاذ الدكتور/ أحمد عصمت عبدالمجيد نائب رئيس مجلس الوزراء- وزير الخارجية.

٥- تنظيم ندوة مع اتحاد المؤرخين العرب ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية في فبراير ١٩٩٠م بالزقازيق بعنوان "العلاقات المصرية العراقية"،

تحت رعاية الرئيس/ محمد حسنى مبارك حيث تسلم سيادته وسام المؤرخ العربي يوم ١٤ فبراير ١٩٩٠م.

٦- تنظيم ندوة مع وزارة الإعلام العمانية في أغسطس ١٩٩٠ بمسقط بعنوان "عمان في التاريخ" تحت رعاية السلطان قابوس بن سعيد.

٧- تنظيم مؤتمر مع رابطة الجامعات الإسلامية في أكتوبر ١٩٩٠ بعنوان "الحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً بالزقازيق، تحت رعاية الأستاذ الدكتور/ أحمد فتحي سرور وزير التعليم.

٨- تنظيم ندوة مع وزارة التراث القومي والثقافة العمانية في مسقط بعنوان "العلاقات المصرية العمانية"، تحت رعاية صاحب السمو السيد/ فيصل بن علي بن فيصل وزير التراث القومي والثقافة.

٩- تنظيم ندوة مع جامعة صنعاء في العاصمة اليمنية بعنوان "العلاقات المصرية اليمنية"، تحت رعاية الرئيس/ علي عبدالله صالح رئيس الجهورية اليمنية.

١٠- عضو مجلس اتحاد المؤرخين العرب ومقره العراق- ممثلاً لمصر حتى عام ١٩٩١م.

١١- شارك في تسليم وسام المؤرخ العربي للسيد/ محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية في فبراير ١٩٩٠م.

١٢- الحصول على وسام المؤرخ العربي المهدى من حاكم رأس الخيمة بدولة الإمارات العربية المتحدة في ١٩٩٠/١٠/٢م.

١٣- عضو اتحاد المؤرخين العرب بعد نقله للقاهرة من ديسمبر ١٩٩١م.

المؤلفات:

١- تأليف ٢٢ كتاباً في التاريخ الحديث والمعاصر لمصر والسودان وليبيا والسعودية وأفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا.

٢- كتابة أكثر من٨٠ بحثاً في التاريخ المعاصر نشرت في مؤتمرات ومجلات علمية.

أولاً: الكتب:

١- تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة - طرابلس ١٩٧٢م.

٢- أفريقيا في العلاقات الدولية - القاهرة ١٩٧٤م.

٣- في تاريخ العرب الحديث - القاهرة ١٩٧٥م.

٤- التعليم المصري في ليبيا ١٩٤٣م-١٩٦٩م - القاهرة ١٩٧٧م.

٥- مصر والسودان في العلاقات الدولية - القاهرة ١٩٧٩م.

٦- أمريكا والعلاقات الدولية - القاهرة١٩٧٩م.

٧- قضايا إسلامية معاصرة - القاهرة ١٩٨٠م.

٨- إفريقيا في التاريخ الحديث والمعاصر - القاهرة ١٩٨٢م.

٩- العرب: دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر - القاهرة ١٩٨٣م.

١٠- علاقات الولايات المتحدة بأقطار الخليج العربي - القاهرة ١٩٨٤م.

١١- العلاقات السعودية الأمريكية في التاريخ الحديث والمعاصر - القاهرة ١٩٨٦م.

١٢- تاريخ العرب الحديث والمعاصر - القاهرة ١٩٨٧م.

١٣- فلسفة التاريخ. القاهرة ١٩٨٧م.

١٤- التاريخ المعاصر للأمة العربية والإسلامية - القاهرة ١٩٩١م.

١٥- الحرمان الشريفان وآل سعود - الرياض ١٩٩١م.

١٦- الحق التاريخي للعراق في الكويت دعوى شيطانية - القاهرة ١٩٩١م.

١٧- تاريخ العرب الحديث - القاهرة ١٩٩٣م.

١٨- تاريخ العرب المعاصر - القاهرة ١٩٩٤م.

١٩- المسلمون في العالم تاريخياً وجغرافياً. القاهرة ١٩٩٨م.

٢٠- آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر - القاهرة ١٩٩٧/٢٠٠١م.

٢١- تفسير مسار التاريخ - القاهرة ١٩٩٩م.

ثانياً: البحوث:

١- الزوايا السنوسية - مؤتمر الاحتفال باليوبيل الذهبي لكلية الآثار جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م.

٢- النشاط المصري في الجزيرة العربية والخليج في النصف الأول من القرن التاسع عشر - مؤتمر تاريخ شرقي الجزيرة العربية - الدوحة مارس ١٩٧٧م.

٣- وثائق تاريخ ليبيا في العصر العثماني الأخير ١٨٣٥-١٩١١ ندوة وثائق تاريخ العرب، سيمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس عام ١٩٧٧م.

٤- بدء انهيار الامتيازات الأجنبية في مصر مجلة الجمعية التاريخية المصرية القاهرة ١٩٧٧م.

٥- أمن البحر الأحمر بين ميثاق أمن جدة عام ١٩٥٦م ومؤتمر تعز عام ١٩٧٧م الأسبوع العلمي الثالث سيمنار جامعة عين شمس للتاريخ الحديث يناير ١٩٧٩م.

٦- علاقة الولايات المتحدة بالعراق في مجال التعليم ندوة الإنسان والمجتمع في الخليج العربي مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة مارس ١٩٧٩م.

٧- Climate as factor for the faillure of General Hicks, s Expedition Kordofan 1983. International Conference on Climate and History, 8-14 July 1979, University of East Anglia, U.K.

٨- قطر قبيل الحرب العالمية الأولى المجلة التاريخية المصرية القاهرة، ١٩٨٠م.

٩- علاقة الولايات المتحدة بسلطنة عمان أثناء الحرب العالمية الثانية مجلة المؤرخ العربي العدد ١٢ عام ١٩٨٠م.

١٠- دور سلطنة عمان الحضاري في شرق أفريقيا في النصف الأول من القرن التاسع عشر مهرجان التراث العماني وزارة التراث القومي والثقافة مسقط نوفمبر ١٩٨٠م.

١١- الجهاد البحري الإسلامي في الخليج العربي - مجلة التربية شعبة اليونسكو القطرية الدوحة ١٩٨١م.

١٢- الولايات المتحدة وإنشاء الجامعة العربية مجلة الشرق الأوسط مركز بحوث الشرق الأوسط جامعة عين شمس القاهرة ١٩٨١م.

١٣- علاقات الولايات المتحدة بسلطنة عمان في النصف الأول من القرن التاسع عشر- مجلة المؤرخ العربي بغداد العدد ١٦ عام ١٩٨١م.

١٤- مستقبل العلاقات الدولية في الخليج العربي الندوة العلمية الرابعة لمركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة مارس ١٩٨١م.

١٥- الولايات المتحدة وبترول البصرة ندوة وثائق تاريخ البصرة كلية التربية جامعة البصرة ديسمبر ١٩٨١م.

١٦- التربية الخلقية كما أبرزها المجددون الإسلاميون - مجلة رسالة المعلم وزارة التربية والتعليم الأردنية عمان يناير ١٩٨١م.

١٧- الجيش المصري في السودان ١٨٧٤-١٨٩٩م ندوة تاريخ الجيش المصري في التاريخ الحديث، الكلية الحربية القاهرة ١٩٨١م.

١٨- الولايات المتحدة الأمريكية وبدء الاحتلال البريطاني لمصر مجلة المؤرخ العربي - بغداد ١٩٨١م.

١٩- مصر والصومال قبيل الثورة العرابية وأعقابها ١٨٧٥-١٨٨٥م ندوة الثورة العرابية سيمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمن ديسمبر ١٩٨١م.

٢٠- الوحدة الفكرية أساس الوحدة الوطنية المصرية ندوة الوحدة الوطنية في مصر عبر التاريخ . كلية الآداب جامعة المنيا ديسمبر ١٩٨١م.

٢١- الجهاد البحري الإسلامي في البحر المتوسط المجلة الإسلامية رابطة الجامعات الإسلامية . الرباط ١٩٨٢م.

٢٢- العلاقات المصرية السعودية في النصف الأول من القرن العشرين مجلة المؤرخ العربي بغداد العدد، ٢٢.

٢٣- الوحدة الوطنية في قطر مجلة الدارة الرياض فبراير ١٩٨٢م.

٢٤- قناة السويس ومشروعات الدفاع العربية ندوة تاريخ قناة السويس جامعة عين شمس ١٩٨٢م.

٢٥- النشاط الروسي في القرن الأفريقي في أواخر القرن التاسع عشر الندوة الدولية للقرن الأفريقي معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة يناير ١٩٨٥م.

٢٦- العلاقات الاقتصادية بين الولايات المتحدة والسعودية أثناء الحرب العالمية الثانية مؤتمر تاريخ الملك عبدالعزيز جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ديسمبر ١٩٨٥م.

٢٧- العلاقة الخاصة بين مديرية دنقلة السودانية ومصر الندوة الدولية عن دول حوض النيل معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة يناير ١٩٨٧م.

٢٨- الحياة الاجتماعية في ولاية طرابلس أثناء العهد العثماني ندوة الحياة الاجتماعية في الولايات الغربية أثناء العهد العثماني مركز الدراسات العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات تونس مارس ١٩٨٧م.

٢٩- الحرب العراقية الإيرانية وتأثيرها على الدعوة الإسلامية، مؤتمر الدعوة الإسلامية، الجامع الأزهر الشريف مارس ١٩٨٨م.

٣٠- المدرسة الحديثة والمجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر مجلة كلية الآداب جامعة الزقازيق العدد الأول ١٩٨٧م.

٣١- مسيرة مصر والسعودية تحقيق لهدف عربي إسلامي واحد ندوة العلاقات المصرية السعودية في النصف الأول من القرن العشرين، الزقازيق ابريل ١٩٨٧م.

٣٢- مكة المكرمة في عيون المصريين، ندوة قدسية الحرمين الشريفين - وزارة الأوقاف والمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين. القاهرة نوفمبر ١٩٨٧م.

٣٣- كتابة تاريخ الأمة العربية - وجهة نظر- مؤتمر حول كتابة تاريخ الأمة العربية . اتحاد المؤرخين العرب . بغداد ديسمبر.

٣٤- التعليم الأزهري والتعليم الحديث في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر - دراسة مقارنة- ندوة الحياة الفكرية في الولايات العربية في العهد العثماني. مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات تونس مارس ١٩٨٨م.

٣٥- دور المؤسسات الدينية في وحدة المغرب العربي - الجامعة الشتوية كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سيدي محمد بن عبدالله بفاس بالمغرب مارس ١٩٨٨م.

٣٦- تقييم أثر البحر المتوسط على الجزائر خلال العهد العثماني - الملتقى الدولي الأول حول حقيقة الوجود العثماني في الجزائر، معهد العلوم الاجتماعية جامعة قسنطينة بالجزائر- أبريل ١٩٨٨م.

٣٧- التضامن المصري السعودي ركيزة للعمل العربي المشترك ندوة التضامن المصري السعودي في حرب رمضان الزقازيق ١٩٨٨م. بالتعاون بين كلية الآداب جامعة الزقازيق وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣٨- ،أقرصنة أم جهاد بحري إسلامي، صفحة من محاولة تشويه تاريخ الأمة الإسلامية ندوة تاريخ الأمة الإسلامية بين الموضوعية والتحيز الزقازيق ١٩٨٩م. بالتعاون بين كلية الآداب جامعة الزقازيق ورابطة الجامعات الإسلامية.

٣٩- مصر والعراق في مجلس التعاون العربي بين مجلس التعاون الخليجي واتحاد المغرب العربي. ندوة العلاقات المصرية العراقية الزقازيق فبراير ١٩٩٠م. بالتعاون بين كلية الآداب جامعة الزقازيق واتحاد المؤرخين العرب ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية.

٤٠- إدعاء الصهيونية كحركة معادية للإسلام بالحق التاريخي لليهود في فلسطين وإدعاء العراق بالحق التاريخي في الكويت ،دراسة مقارنة، ندوة الحركات الهدامة في التايخ الإسلامي قديماً وحديثاً الزقازيق نوفمبر ١٩٩٠م. بالتعاون بين كلية الآداب جامعة الزقازيق ورابطة الجامعات الإسلامية.

٤١- الأقليات الدينية في ولاية طرابلس الغرب في العهد العثماني. ندوة الإدارة في الولايات العربية في العهد العثماني.

٤٢- مصر وعمان في النصف الأول من القرن التاسع عشر والنصف الثاني من القرن العشرين ندوة العلاقات المصرية العمانية عبر التاريخ، مسقط مارس ١٩٩١م. بالتعاون بين كلية الآداب جامعة الزقازيق ووزارة التراث القومي والثقافة العمانية.

٤٣- ارتباط خروج المسلمين من الأندلس بحركة الجهاد البحري الإسلامي في الحوض الغربي للبحر المتوسط. ندوة رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع مركز البحوث والدارسات العثمانية الموريسكية الاندلسية ديسمبر ١٩٩١م.

٤٤- مراحل تطور الحضارات عند كل من ابن خلدون وأرنولد توينبي دراسة مقارنة لتفسير مسار التاريخ. ندوة التاريخ بين التسجيل والإبداع كلية الآداب- جامعة عين شمس- نوفمبر ١٩٩١م.

٤٥- من تجارب محو الأمية في بعض الدول العربية بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الرابع عن الأمية في الوطن العربي، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية القاهرة - فبراير ١٩٩١م.

٤٦- العلاقات العمانية الأمريكية في القرن التاسع عشر. بحث مقدم إلى ندوة عمان في التاريخ مسقط أغسطس ١٩٩٠م.

٤٧- محاولات إيران فرض السيطرة على أقطار الخليج العربي في القرن العشرين، بحث مقدم إلى ندوة الدس الشعوبي بغداد - ديسمبر ١٩٨٩م.

٤٨- حريق المسجد الأقصى وقيام منظمة المؤتمر الإسلامي. بحث مقدم إلى ندوة أمن وقدسية المسجد الأقصى، جمعية الشبان المسلمين القاهرة - ديسمبر ١٩٨٨م.

٤٩- عمان بين عهدين سعيد بن تيمور وقابوس بن سعيد. بحث مقدم إلى ندوة عمان في التاريخ مسقط- أغسطس ١٩٩٠م.

٥٠- جذور التحديات الحضارية للأمة الإسلامية. مؤتمر رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر القاهرة ١٩٩٤م.

٥١- التحديات الحضارية للأمة الإسلامية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مؤتمر رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر القاهرة ١٩٩٥م.

٥٢- أشكال العمل الإسلامي كتحدي حضاري للأمة الإسلامية. مؤتمر رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة عين شمس القاهرة سبتمبر ١٩٩٦م.

٥٣- العثمانيون والعشائر الخليجية تأثير متبادل. مؤتمر بمركز الدراسات العثمانية والموريسيكية تونس نوفمبر ١٩٩٦م.

٥٤- استقلال قطر بين اتفاقيتي عامي ١٨٦٨ و ١٩١٣م. مؤتمر قطر في التاريخ الدوحة قطر ١٩٩٧م.

٥٥- تطور الإدارة المصرية في القرنين ١٩ و ٢٠ مؤتمر ،مصر في قرنين، مركز بحوث الشرق الأوسط جامعة عين شمس.

٥٦- الجماعات الموريسكية بشمال أفريقيا. مؤتمر الإسلام والغرب جامعة فلورنسا-إيطاليا.

٥٧- عمليات على بك الكبير العسكرية بالصعيد. مؤتمر التاريخ العسكري للصعيد- جامعة أسيوط ١٩٩٥م.

٥٨- الأقليات الإسلامية في أوروبا دراسة تاريخية - الأكاديمية الإسلامية في فينا- النمسا عام ٢٠٠٠م.

٥٩- السوق العربية المشتركة في ضوء تجربة السوق الأوروبية المشتركة، مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط ١٩٩٩م.

٦٠- قيادات نسائية من الصعيد خدمت التنمية نموذج هدى محمد سلطان (شعراوي) جامعة أسيوط ٢٠٠١م.

٦١- حق الإنسان المسلم في الهند، أكاديمية نايف للعلوم العربية الأمنية-المملكة العربية السعودية ٢٠٠١م.

٦٢- دور الترجمة في التفاعل الحضاري - نموذج عصر محمد على في مصر، كلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر يونيو ١٩٩٨م.

٦٣- التعليم العثماني في البلاد العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مركز بحوث الشرق الاوسط جامعة فيرات (الفرات) تركيا.

٦٤- زيادة الاهتمام بلغة القرآن: الأداب والفنون، العادات والتقاليد، المؤتمر الحادي عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية-وزارة الأوقاف.

٦٥- تطوير الوقف في مصر في العهد العثماني ١٥١٧-١٧٩٨م، جامعة قناة السويس، بورسعيد مايو ١٩٩٨م.

٦٦- الصلات الروسية الحبشية أواخر القرن التاسع عشر الجمعية التاريخية المصرية.

٦٧- أسد بن الفرات من تلاميذ مالك بن أنس في القيروان، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، تونس ١٩٩٦م.

٦٨- دور الزعامات الإسلامية الصومالية في استقلال الصومال معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة مارس ٢٠٠٢م.

٦٩- التوجيه العثماني من خلال محمد على باشا وأسرته نحو الخليج العربي رأس الخيمة دولة الأمارات العربية المتحدة نوفمبر١٩٨٨م.

٧٠- مكانة الحرمين الشريفين في قلوب المسلمين، جمعية الشبان المسلمين سبتمبر ١٩٨٨م.

٧١- النشاط الاقتصادي الإيطالي في ليبيا قبل الغزو عام ١٩١١م. اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة نوفمبر ١٩٩٨م.

٧٢- ملقا ودورها التجاري في جنوب آسيا. مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، جامعة الأزهر أبريل ١٩٩٨م.

٧٣- التغيرات الثقافية العالمية وآثارها على مستقبل الثقافة العربية كلية الأداب، بنها، سبتمبر ١٩٨٨م.

٧٤- صفحات من تاريخ الإسلام والمسلمين في ماليزيا. كلية الآثار جامعة القاهرة ديسمبر ١٩٩٨م.

٧٥- الملك عبدالعزيز وقضية فلسطين خلال اتصالاته بالرئيسين الأمريكيين روزفلت وترومان دارة الملك عبدالعزيز، الرياض أبريل ٢٠٠١م.

٧٦- شخصية الحسين بن طلال، النسب والإرث العقائدي جامعة الحسين بن طلال، الأردن، أغسطس ٢٠٠١م.

ثالثاً: المؤتمرات المحلية والعربية والدولية

١- جميع المؤتمرات والندوات التي يقيمها سيمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس منذ عام ١٩٧٤م. وحتى الآن.

٢- مؤتمر تاريخ شرقي الجزيرة العربية، الدوحة مارس ١٩٧٧م.

٣- معظم ندوات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة.

٤- معظم مؤتمرات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس.

٥- مؤتمر تاريخ الصومال. مقديشو يوليو ١٩٨٠م.

٦- مؤتمر المناخ والتاريخ جامعة إيست أنجليا، بريطانيا، يوليو ١٩٧٩م.

٧- ندوة المهرجان العماني، وزارة التراث والثقافة، مسقط نوفمبر ١٩٨٠م.

٨- الجامعة الشتوية، جامعة سيدي محمد بن عبدالله، فاس المغرب مارس ١٩٨٨م.

٩- الملتقى الدولي، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة الجزائر أبريل ١٩٨٨م.

١٠- مؤتمر تاريخ الملك عبدالعزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ديسمبر ١٩٨٥م.

١١- ندوة العلاقات المصرية السعودية، كلية الآداب جامعة الزقازيق أبريل ١٩٨٧م.

١٢- المؤتمر الإسلامي العام، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة أكتوبر ١٩٨٧م.

١٣- مؤتمر قدسية الحرمين، وزارة الأوقاف والمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية القاهرة نوفمبر ١٩٨٧م.

١٤- مؤتمر الدعوة الإسلامية، الجامع الأزهر، القاهرة، مارس ١٩٨٨م.

١٥- معظم ندوات مركز الدراسات العربية المعاصرة، جامعة جورجتاون واشنطن منذ عام ١٩٨٣م.

١٦- ندوة العلاقات العثمانية الخليجية رأس الخيمة نوفمبر ١٩٨٨م.

١٧- ندوة كتابة تاريخ الأمة العربية، اتحاد المؤرخين العرب ببغداد أول ديسمبر ١٩٨٨م.

١٨- ندوة حرمة المسجد الأقصى. المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة، ديسمبر ١٩٨٨م.

١٩- ندوات ومؤتمرات مركز دراسات المستقبل جامعة أسيوط عن: قضية فلسطين، قضية المياه في الوطن العربي، التجمعات العربية.

٢٠- ندوات جامعة الحسين بن طلال - معان الأردن عن: شخصية الملك حسين، العولمة.

٢١- مؤتمر الحضارة الإسلامية والعربية ودور أسبانيا في نقلها - غرناطة أسبانيا.

٢٢- مؤتمر الإسلام والمنهج العلمي. جامعة شريف هداية الله، جاكرتا. اندونيسيا.

٢٣- مؤتمر نماذج مضيئة في تاريخ الوحدة الإسلامية رابطة العالم الإسلامي. مكة المكرمة أغسطس ٢٠٠٥م

٢٤- مؤتمر الإسلام وأوروبا. جامعة فلورنسا إيطاليا.

٢٥- مؤتمر المسلمون في أوروبا. فيينا. النمسا.

* * *

تقدير جهود الأستاذ الدكتور رأفت الشيخ

١٣٧م ٢٩رع رياسة الجمهورية ٣٧ ١٤ ١٤٠٢

الدكتور/ رافت الشيخ عميد كلية آداب الزقازيق

أشكركم على ما أعربتم عنه في برقيتكم من مشاعر وطنية صادقة بمناسبة انتخاب الدكتور بطرس غالي أمينًا عامًا للأمم المتحدة.

مع صادق تحياتي.

محمد حسني مبارك

الرياض الديوان الملكي ٧٦ ٧ ١٥١٩

حكومي الرقم ٣٨١٤

الدكتور رأفت غنيمي الشيخ

عميد كلية الآداب بجامعة الزقازيق

والأمين العام لندوة التضامن السعودي المصري ١٠٦

مصر القاهرة

.... عن مشاعركم الطيبة ومشاعر زملائكم بمناسبة انتهاء ندوة التضامن السعودي المصري في حرب رمضان التي عقدت في جمهورية مصر العربية العزيزة وإذ نقدر لكم وإخوانكم الذين شاركوا في هذه الندوة ما أعربنا عنه نأمل لكم جميعًا التوفيق في خدمة الأهداف الأخيرة التي تتطلع إليها الأمة العربية والإسلامية.

فهد بن عبد العزيز آل سعود

السيد الأستاذ الدكتور رافت غنيمي

عميد كلية الآداب جامعة الزقازيق

والأمين العام لندوة العلاقات المصرية السعودية

تحية طيبة وبعد

إنني أنتهز فرصة انعقاد ندوة العلاقات المصرية التي تتم بالتعاون مع جامعة الإمام محمد بن سعود من المملكة العربية السعودية الشقيقة وجامعتي قناة السويس والزقازيق على أرض الكنانة لأبعث لرؤساء الجامعات الثلاث والسادة المشاركين في الندوة من العلماء والباحثين من المملكة العربية السعودية ومصر بخالص تهنئتي على تفكيرهم في هذه الندوة ودأبهم ومثابرتهم في إعداد البحوث التي ستثري العلاقات بين الدولتين وتعمق أواصر الروابط التاريخية بين الشعبين. ولا شك أن هذه الندوة العلمية القيمة تمثل إسهامًا كبيرًا في سبر غور الأبعاد التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية بين مصر والسعودية الأمر الذي من شأنه أن يمثل ركيزة أساسية في تطوير ذلك المستقبل. وإنني من موقعي أحيي جهودكم العلمية الهامة والتي تتوازى مع نشاطنا الدبلوماسي لتعزيز العلاقات بين الدولتين. وأتمنى لكم التوفيق في مداولاتكم وارجوا أن تنقلوا هذه الرسالة لجميع السادة المشاركين في الندوة.

د. أحمد عصمت عبدالمجيد

نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية

السيد الأستاذ الدكتور/ رأفت غنيمي الشيخ

رئيس قسم التاريخ والعميد السابق لكلية آداب الزقازيق

تحية طيبة وبعد

تقليت ببالغ الامتنان رسالة سيادتكم حول متابعتكم للسياسات التي اضطلعت بها اثناء عملي محافظاً لأسيوط ثم بعد تكليفي لحمل أمانة الأمن في مصر من خلال مسؤولياتي كوزير للداخلية.

ويسرني أن أبعث إليكم بأصدق تحيات الشكر والتقدير على مشاعركم النبيلة وقد عبرتم عنها في رسالتكم الرقيقة التي لها أعمق الأثر في نفسي.

ومع خالص إعزازي أرجو لسيادتكم أطيب التمنيات بموفور الصحة ودوام التوفيق.

وتقبلوا خالص تحياتي

وزير الداخلية

حسن الألفي

١٩٩٣/٧/٣١م

السيد الأستاذ الدكتور رافت غنيمي

عميد كلية الآداب/ جامعة الزقازيق

يسرني أن أبعث إليكم بخالص شكري وتقديري على مشاعركم الكريمة التي أعربتم عنها في رسالتكم الرقيقة التي تيشيدون فيها بالجهود المتفانية لرجال الشرطة تحقيقاً للأمن والأمان على أرض مصر.

وإنه لمبعث اعتزاز أو يوفق الإخوة والأبناء من رجال الشرطة في أداء رسالتهم النبيلة على النحو الذي يلقي مثل ذلك الثناء والإنصاف من جانبكم.

ومع أطيب تمنياتي أرجو لكم وأسرة كلية الآداب جامعة الزقازيق كل توفيق.

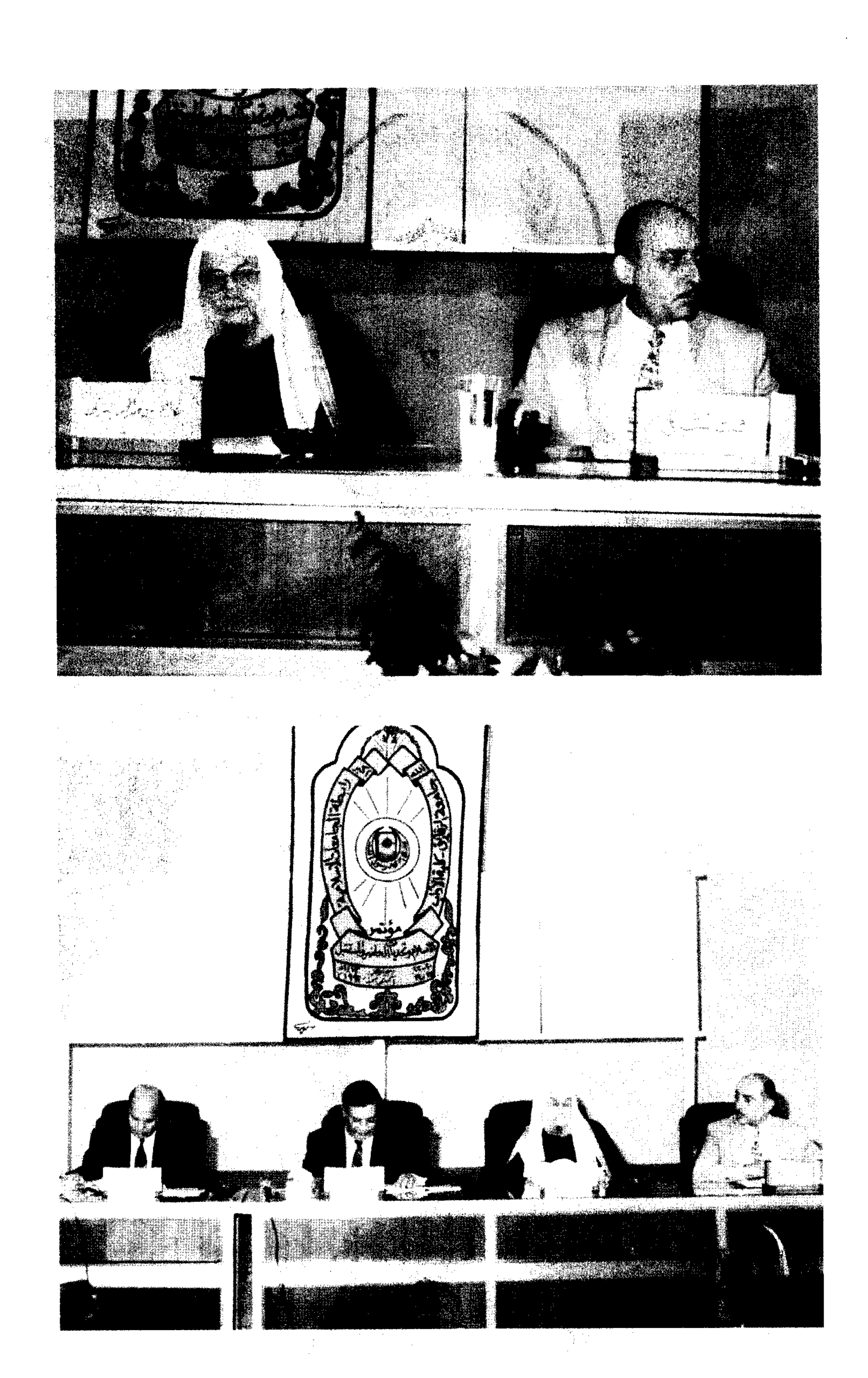
وتقبلوا خالص تحياتي.

وزير الداخلية

زكي بدر

١٩٨٨/٨/٢٨م

لقاءات مصورة






















TURKEY
TURKEY









رقم الإيداع: ٢٠٠٦/٤٣٥٨